



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع



أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا
الموسومة بـ:

عادات و طقوس الزواج مقاربة أنثروبولوجية للمجتمع المحلي بالشرية

إشراف

أ.د قويدر سيكوك

إعداد الطالبة

نافة عبد المالك

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة مستغانم		
مشرفا ومقررا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ.د قويدر سيكوك
عضوا مناقشا	جامعة		
عضوا مناقشا	جامعة		
عضوا مناقشا	جامعة		

السنة الجامعية: 2017 - 2018



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع



أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا
الموسومة بـ:

عادات و طقوس الزواج مقارنة أنثروبولوجية للمجتمع المحلي بالشرية

إشراف

أ.د قويدر سيكوك

إعداد الطالبة

نافة عبد المالك



إهداء

اهدي عملي هذا الى صانع مجدي " والدي " العزيز أدامه الله
الى رمز العطاء المتواصل و رمز التضحية " أمي " الغالية أطال الله عمرها
الى زوجي العزيز الدكتور " قدارة جعفر "
الى روح والديه " الشافعي " و " شهيدة " و كل عائلته
الى أخوي الغاليين " عبد الحليم " و " حمزة "
الى أخواتي الغوالي " سناء، زكية، حفيدة و عواطف و زوجما و ابنتهما "

شكر و تقدير

للله الحمد و الشكر بكرة و أصيلا و من شكر زاده الله من عطاءه دائما و كثيرا لأنه القائل
جل جلاله " و لئن شكرتم لأزيدنكم"

لأجل ذلك نحمد الله كثيرا و نشكره شكرا جزيلا على التوفيق في انجاز هذا العمل
أتقدم بالشكر الجزيل و عرفاني بالجميل لأستاذي الدكتور "قويدر سيكوك" الذي كان
إشرافه على مذكرتي شرفا لي، و كانت توجيهاته ونصائحه سنايل من ذهب
كما أعرب عن امتناني الكبير لأستاذي الدكتور "منصور مرقومة" على توجيهاته التي
كانت مشكاة تضيء دربي

و لا يفوتني أن أشكر أساتذة لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذا البحث ونقده

ملخص الدراسة

التراث الشعبي تسجيل للحياة الثقافية، الفكرية، الاجتماعية والسياسية لدى المجتمعات

عبر سنين طويلة، يتضمن العديد من العناصر منها تلك المرتبطة بدورة الحياة والمتعلقة بالعبادات والطقوس الشعبية الخاصة بالزواج وهي موضوع دراستنا الموسومة بـ " عادات وطقوس الزواج- مقارنة أنثروبولوجية للمجتمع المحلي بمدينة الشريعة "، الذي تناولناه بالدراسة ضمن إطار منهجي مفاهيمي تضمن تساؤل رئيسي يتمثل في الإشكالية، وكل ما يتعلق بها من أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهدافه، مدخله ومنهجه والتقنيات الموظفة لمعالجته. وأيضاً فضاءات البحث المتمثلة في الفضاء البشري، الفضاء المكاني والفضاء الزمني. إضافة إلى الإطار الميداني المدعم بالتنظير، الذي احتوى على ثلاث فصول فرضتها معطيات الميدان والتي قمنا بتحليلها وتفسيرها وصولاً إلى نتائج الدراسة التي أجبنا فيها على إشكالية البحث وتساؤلاتها، حيث كشفنا على العادات والطقوس المرتبطة بالزواج في مختلف مراحلها ووظائفها المختلفة ودلالاتها الرمزية المتعلقة بها.

الكلمات المفتاحية: العادات، الطقوس، الزواج، المجتمع المحلي، المقدس، الأسطورة، التقاليد، الفضاء، طقوس العبور.

Résumé de l'étude

Le patrimoine folklorique est un enregistrement de la vie culturelle et intellectuelle, sociale et politique des communautés depuis de nombreuses années, y compris de nombreux éléments, y compris ceux qui sont associés au cycle de vie et liées aux coutumes et rites du mariage folklorique spécial et fait l'objet de notre étude tagguées avec « les habitudes et les rituels du mariage - une approche anthropologique de la communauté locale en droit », qui nous avons abordé l'étude dans un cadre conceptuel systématique pour assurer une question majeure est le problème, et tout ce qui concerne les raisons du choix du sujet et de son importance et de ses objectifs, et son approche d'entrée et les techniques utilisées pour y faire face. Ainsi que les espaces de recherche de l'espace humain, de l'espace spatial et de l'espace temporel. En plus du cadre sur le terrain soutenu par voie endoscopique, qui contenait trois chapitres imposées par le champ de données que nous avons analysé et interprété l'accès aux résultats de l'étude Agena où la problématique de recherche et de ses questions, où nous avons dévoilé les coutumes et les rituels associés au mariage en différentes étapes et différentes fonctions et implications Avatar lié à eux.

Mots-clés: coutumes, rituels, mariage, communauté, sacré, mythe, espace, rites de passage

Summary

Popular Heritage The cultural, intellectual, social and political life of societies over many years includes many elements, including those related to the life cycle and customs and rituals of marriage, which are the subject of our study "Marriage customs and rituals - Anthropological approach to the community In the city of Sharia, "which we dealt with the study within the framework of a conceptual approach to ensure the main question is the problem, and all related to the reasons for the choice of the subject and its importance and objectives, input and methodology and techniques employed to address it. As well as the research spaces of human space, spatial space and temporal space. In addition to the field framework supported by endoscopy, which contained three chapters imposed by the field data, which we analyzed and interpreted to reach the results of the study, which we have on the problem of research and its questions, where we revealed the customs and rituals associated with marriage in different stages and functions and various implications Avatar related to them.

Keywords: customs, rituals, marriage, community, sacred, myth, space,

فهرس المحتويات

الفهرس

	الإهداء
	الشكر
	ملخص
01	مقدمة.....
	الفصل الأول: الإطار المنهجي و المفاهيمي للدراسة
06	تمهيد الفصل.....
07	1- الإطار المنهجي.....
07	1.1-الإشكالية.....
18	2.1-النماذج والتقنيات المنهجية.....
18	1.2.1- الدراسة الاستطلاعية.....
19	2.2.1- الدراسة الميدانية.....
20	3.2.1- المنهج الاثنوميثودولوجي.....
22	1.3.2.1- الملاحظة بالمشاركة.....
24	2.3.2.1- المقابلة.....
25	1.2.3.2.1- المقابلة الفردية.....
25	2.2.3.2.1- المقابلة الجماعية.....
26	3.2.3.2.1- دليل المقابلة.....
28	3.3.2.1- الإخباريون.....
29	4.3.2.1- التصوير الفوتوغرافي.....
30	3.1- فضاءات البحث.....
30	1.3.1- الفضاء البشري.....
32	2.3.1- الفضاء المكاني.....
32	1.3.1-الفضاء الزمني.....
33	2- الإطار المفاهيمي.....
33	1.2- المفاهيم الأساسية.....
33	1.1.2- العادات.....
37	2.1.2- الطقوس.....
39	3.1.2- الزواج.....
42	4.1.2- المجتمع المحلي.....

442.2- المفاهيم الفرعية
441.2.2- المقدس
472.2.2- الفضاء
483.2.2- التقاليد
494.2.2- الأسطورة
525.2.2- طقوس العبور
523- الدراسات السابقة
57خلاصة الفصل
الفصل الثاني: الخطبة: مراحلها، عاداتها وطقوسها	
59تمهيد الفصل
601-أسس التمهيدية للخطبة
601.1- طرق اختيار الزوجة
611.1.1- الاختيار الوالدي
632.1.1- الاختيار الذاتي أو الشخصي
653.1.1- فضاءات ومناسبات التعارف والاختيار
704.1.1- النظريات الاجتماعية والثقافية للزواج على المستوى النظري والميداني
721-2- معايير اختيار الزوجة
721.2.1- الأخلاق والتربية والسمعة الحسنة
732.2.1- الأصل الطيب والحسب
743.2.1- الجمال
764.2.1- البكارة
765.2.1- صغر السن
783.1- الزواج وأنماطه
781.3.1- الزواج الداخلي
792.3.1- الزواج الخارجي
812- الخطبة المبدئية
811.2- مرحلة البحث عن العروس
852.2- تعارف العائلتين
853.2- الشوفة
863- الخطبة الرسمية

87	1.3 - التهنية: عقد الجماعة المؤجل
88	1.1.3 - إعلان الارتباط والاتفاق على الشروط والمهر
88	2.1.3 - خاتم التهنية
90	3.1.3 - فال التهنية والجهاز المقدم
91	2.3 - العقد
91	1.2.3 - عقد الجماعة الفوري
92	2.2.3 - العقد المدني
94	3.3 - زيارات الخطيبة وهدايا المناسبات
98	خلاصة الفصل
الفصل الثالث: العرس: العادات والطقوس	
100	تمهيد الفصل
101	1- الحمام العام و دوره
101	1.1 - نبذة عن الحمام
104	2.1 - دور الحمام ووظائفه الاجتماعية
105	2- حمام العرس ودلالاته الرمزية
105	1,2- الحلاقة والعناية بجسد العروس
107	2.2- حمام العروس
107	1.2,2- ملابس وأدوات الحمام
109	2.2.2- طقوس الدخول والخروج
110	3.2.2- الطقوس التطهيرية للاستحمام ورمزيتها
111	3- يوم الكباش
111	1.3- إعدادات العروس بعد الحمام
111	1.1.3- السخاب (كيفية إعداد السخاب)
114	2.1.3- الفحص الطبي وشهادة العذرية
116	2.3- شاة الحلال وطقوسها
116	1.2.3- رمز الكباش
118	2.2.3- طقوس ذبح الكباش
121	4- يوم العقود
121	1,4- عقد الجماعة
121	1,1,4- قراءة الفاتحة

122المهر. 2.1.4 -
124ليلة الحنة. 2.4 -
124حنة العروس. 1.2.4 -
127حنة العريس. 2.2.4 -
127يوم المرواح (الدخول). 5 -
127زينة العروس. 1.5 -
127الإستراتيجية المظهرية. 1.1.5 -
129وظيفة تعاضدية لثوب الزفاف. 2.1.5 -
130التهيئة الاحتفالية للسلطان. 2-5 -
130فضاء السلطان ووزيره. 1.2.5 -
132الحلاقة والاستحمام الاحتفالي. 2.2.5 -
133موكب العرس. 3-5 -
133عادات خروج العروس. 1.3.5 -
134طقوس دخول العروس. 2.3.5 -
135قصة الركابي. 3.3.5 -
138نصرة العروس. 4.5 -
138حل التصفيح أو فك الربط. 1.4.5 -
140ليلة الدخلة. 2.4.5 -
144خلاصة الفصل.
	الفصل الرابع: المراحل التحضيرية والتكميلية للعرس والممارسات الشعبية والعروض الرمزية
146تمهيد الفصل.
1471 المراحل التحضيرية.
1471.1- التحضيرات عند أهل العروسين.
1471.1.1- في بيت العريس.
1492.1.1- في بيت العروس.
1502.1- الدعوات والهدايا.
1501.2.1- دعوة الأقارب والجيران والأصدقاء.
1522.2.1- الهدايا المقدمة في الزواج ودورها.
1562- المراحل التكميلية.
1561-2- صباح العروس.

156	1.1.2- التفتيلة ولباس العروس والطقوس المرافقة.....
158	2.1.2- التحزيم(الحزام).....
160	3.1.2- طقس فتل الكسكسي ولعبة العصيدة.....
164	4.1.2- المسنونة.....
166	2.2- مغادرة أم العروس.....
166	1.2.2- الزيارة والمتبوع.....
168	2.2,2- عشاء العودة.....
169	3.2.2- قُصعة الحجابة.....
171	3- الممارسات الاحتفالية والعروض الرمزية.....
171	1.3- الغناء والرقص.....
171	1.1.3- غناء الفتيات.....
177	2.1.3- غناء الطواحي.....
179	3.1.3- الرقص.....
181	2.3- سهرية العقد.....
181	1.2.3- الرحبية أو الرحابة.....
184	2.2.3- الطعام في العرس.....
186	4- ممارسات طقسية: وظائف ودلالات رمزية.....
186	1.4- احتفالية الحنة.....
186	1.1.4- الحنة الاختيارية والنقش.....
187	2.1.4- رأسمال رمزي مقابل رأسمال اقتصادي.....
190	3.1.4- حراسة العروس ووظائف المرافقات لشاة الحلال.....
190	2.4- ممارسات وطقوس مرافقة لشاة الحلال.....
190	1.2.4- القيمة الإعتقادية لمرآة الكيش.....
192	2.2.4- طقوس طهي الكيش واقتسام الرأس.....
193	3.2.4- الممارسات التحصينية.....
196	3.4- بتات العروس (جهاز).....
196	1.3.4- اللباس والحلي.....
199	2.3.4- أثاث و لواحق البيت.....
201	خلاصة الفصل.....

203	نتائج الدراسة.....
207	الخاتمة.....
ملاحق الدراسة	
210	ملحق رقم 01: دليل المقابلة.....
214	ملحق رقم 02: مونوغرافيا مدينة الشريعة.....
227	ملحق رقم 03: جدول معلومات الخاص بالمبحوثات والمبحوثين.....
228	ملحق رقم 04: جدول معلومات الخاص بالإخباريات والإخباريين.....
230	المصادر والمراجع.....

مكتبة

مقدمة

يمثل التراث الشعبي جزءا من التراث الإنساني، ومدخلا أساسيا لدراسة حضارة الإنسان وجزء من الثقافة التي ترتبط بالأنساق والنظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع، وهو إبداع بشري متميز يحوي بين طياته الجوانب المادية والجوانب اللامادية المتضمنة لعناصر قيمية، جمالية، فكرية، ثقافية واجتماعية ينتجها الإنسان عبر مسيرته وتاريخه الطويل، تعد كلها خصائص حضارية للقيم الاجتماعية التي تحمل تراث الأجداد والتي يتطبع عليها الأفراد منذ نعومة أظافرهم من خلال تفاعلهم المباشر مع بيئتهم.

إن حديثنا عن الموروث الشعبي هو حديث عن الثقافة التي تعمل على تكيف الإنسان مع بيئته و تساعده على إشباع حاجاته والتوافق مع جماعته، كما تكفل في الوقت ذاته وحدة المجتمع وبقائه لأنها توفر له خاصية التجانس الاجتماعي والثقافي بين أفرادها، تلك الخاصية الأساسية لوجود التفاعل الاجتماعي. وعليه فاستمرار نمط حياة الإنسانية في المجتمع يعتمد على العلاقة التبادلية والتساندية بين النسق الثقافي بصفة عامة وما يحويه من عادات وتقاليد وطقوس ومعايير وأعراف وغيرها، وبين العلاقات الاجتماعية التي يتكون منها نمط الحياة. وتشكل العادات والتقاليد والطقوس الممارسة في كل مناسبة، ومنها الزواج عنصرا من عناصر الثقافة التي تشكل مادة هامة لمرجعية أي مجتمع، إذ تعد تلك العادات والطقوس التي يقوم بها الأفراد ويصرون على تتابعها تتابعا محددًا ومقننا في كثير من الأحيان وفي تفاعلها مع كل ما يحيط بها من أفراد وفاعلين اجتماعيين من العناصر الهامة المكونة لثقافة أي مجتمع، وتمثل العادات والطقوس المرتبطة بالزواج موضوع دراستنا في مدينة الشريعة ولاية تبسة بمثابة البصمة التي تعطي تفرد هذا المجتمع المحلي وخصوصيته التي تميزه عن غيره.

والزواج من حيث شكله عام، لكن تختلف عاداته وطقوسه من مجتمع لآخر، حتى داخل المجتمع الواحد باختلاف الزمان والمكان. والزواج مرحلة انتقالية في دورة حياة الفرد

ويمثل مرحلة هامة تحفل بالكثير من العادات والطقوس التي تعبر عن انتقاله من وضع إلى آخر وتتم عملية الانتقال هاته بصورة رمزية تختلف أساليبها من ثقافة إلى أخرى.

والعادات هي سلوكيات وأساليب اجتماعية يشترك فيها أفراد المجتمع الواحد ويكتسبونها من خلال التفاعل الاجتماعي مع بعضهم البعض. وتمارس سلطة على هؤلاء الأفراد إذ يؤدي عدم الانصياع لها بالاستهجان الاجتماعي وعدم الرضى.

أما الطقوس فهي سلوكيات متنوعة تخضع للغاية التي تمارس من أجلها فتبعا للطقوس الملاحظة نجدها تستعمل في تصرفات تقرها العادات الاجتماعية لمجتمع البحث. ويتخذ العرس في منطقة الدراسة مدينة الشريعة طابعا خاصا يتجلى في مظاهر الاحتفالات المتعددة، التي تتجسد في مراحل الزواج المختلفة من خطبة وعقد قران وزف العروس، وما يرافقها من عادات وممارسات شعبية وعروض طقسية ذات دلالات رمزية عميقة.

ونظرا لأهمية موضوع الدراسة ارتأينا تناول مراحل الزواج منذ بدايته حتى نهايته لإبراز العادات والممارسات والطقوس والاحتفالات التي ترافق كل مرحلة، محاولة منا لكشف وظائفها الاجتماعية والقيم المتضمنة فيها ودلالاتها الرمزية المتعددة. على هذا الأساس وللإجابة عن تساؤلات البحث جاءت دراستنا في أربعة فصول كما يلي:

تمثل الفصل الأول في المقارنة المنهجية والمفاهيمية للدراسة والتي أبرزنا فيها المدخل الذي اعتمدنا عليه في تفسير وتحليل معطيات الدراسة، معتمدين على المقارنة البنائية الوظيفية بالتكامل مع المنهج الإثنوميثودولوجي بوسائله وتقنياته المتمثلة في الملاحظة بالمشاركة والمقابلة، والأدوات المساعدة المتمثلة في الإخباريين والصورة الفوتوغرافية حيث أتاحت لنا مجتمعة جمع المعلومات بصورة مكثفة وعلمية ممنهجة بمنظور أنثروبولوجي من مجتمع البحث، منطلقين من مفاهيم أساسية مثلت قاعدة له، كما عرضنا فيه بعض الدراسات السابقة.

أما الفصول الثلاثة اللاحقة كانت كلها ميدانية نستدعي فيها التنظير متى دعت الحاجة إلى ذلك، حيث تناولنا في الفصل الثاني الخطبة وعاداتها تعرضنا فيها لأساليب

الاختيار الزواجي وأنماطه والنظريات الاجتماعية للزواج على المستوى النظري والميداني، ثم مراحل الخطبة المتمثلة في خطبة مبدئية ثم رسمية وما يرافقها من إجراءات كتقديم خاتم الخطبة وحفلتها وما ينتج عنها من التزامات تتمثل في زيارات المناسبات وهداياها، وختما الفصل بالعقد المدني الذي يتبع مباشرة بالعرس.

أما الفصل الثالث فجاء وصفا مكثفا لعادات العرس وطقوسه، حيث كنت ألاحظ وأسجل كل ما يدور في الأعراس وأشارك في الكثير من العادات والاحتفالات كالغناء والرقص والزغاريد وإعطاء الباروك في احتفالية الحنة وتقديم الهدايا للعرائس والعريسان، وأيضا مرافقة بعض العرائس للحمام لملاحظة طقوسه عن كثب، كما أنني عايشة هذه التجربة شخصيا خلال دراستي الميدانية هذه، حيث مكنتني من الكشف عن بعض الطقوس التي تجري بصور فردية وشخصية تخص العروس في حد ذاتها.

وتوقفنا في الفصل الرابع عند المراحل التحضيرية والتكميلية للعرس وما تحويه من ممارسات شعبية وعروض طقسية لبعض مظاهر الاحتفال كالإطعام، الغناء والرقص النسوي والرجالي الفردي والجماعي كالرحبية. والوقوف على رمزية هذه العادات والطقوس ورموزها ودلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في مجتمع الدراسة، والتي تعطي بعض التفرد والخصوصية للمنطقة.

تعد دراستنا هذه إسهما بسيطاً لتوثيق بعض العناصر في الجوانب المادية والجوانب اللامادية في منطقة الدراسة مدينة الشريعة ولاية تبسة، ودعوة منا للباحثين للالتفات إلى دراسة ما تزخر به هذه المنطقة من تراث ثقافي أصيل الذي بدأت بوادر التغيير تدخل إلى عناصره وجوانبه المختلفة.

الفصل الأول

الإطار المنهجي و المفاهيمي للدراسة

تمهيد الفصل

1- الإطار المنهجي

1.1- الإشكالية

2.1- النماذج و التقنيات المنهجية

3.1- فضاءات البحث

2- الإطار المفاهيمي

1.2- المفاهيم الأساسية

2.2- المفاهيم الفرعية

3- الدراسات السابقة

خلاصة الفصل

تتميز الروح العلمية بستة استعدادات ذهنية وهي: الملاحظة، المسائلة، الاستدلال، المنهج، التفتح الذهني وأخيرا الموضوعية. لكل واحد من هذه الاستعدادات دور في هذه اللحظة او تلك من لحظات إجراء البحث. فإذا كانت الملاحظة تسمح بالتحقق من الافتراضات، فان المسائلة تساهم في تحديد موضوع البحث، وإذا كان الاستدلال هو الأساس في صياغة مشكلة البحث، فان المنهج يتضمن الإجراءات التي تهدف الى تنظيم البحث، وأخيرا، إذا كان التفتح الذهني يسمح بالابتعاد عن الأفكار المسبقة، فإن الموضوعية ستظل مثلا أعلى ينتظر بلوغه.

موريس انجريس

تمهيد الفصل

من أهم الأساسيات التي يعتمد عليها الباحث لانجاز بحثه التصميم المنهجي، وهو نشاط علمي يحتاج إلى تحديد عقلائي واعي يلم فيه بموضوع الدراسة ويستجيب لمتطلباته المادية وآجاله الزمنية، من أجل تحقيق الأهداف المسطرة. يبدأ هذا التخطيط بصياغة الإشكالية حول الموضوع المثار. ومن ثم تبني مدخل ملائم من بين البدائل المتاحة واستخدام أدوات وتقنيات تستجيب وتخدم منهج البحث المستخدم لمعالجة مشكلة البحث.

1- الإطار المنهجي

1.1- الإشكالية

الزواج ظاهرة إنسانية تلازم أي مجتمع بشري، ولا خلاف على وجوده في كل المجتمعات القديمة والحديثة ، الفقيرة والغنية، المتخلفة والمتقدمة. إلا أن الخلاف الأساسي يكمن في كثير من الأمور المرتبطة بالزواج مثل طريقتيه، وعدد الزوجات والمراسم والطقوس المتبعة في إجرائه¹.

يعد الزواج مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد خلال حياته، أي أنه مرحلة انتقالية، وحسب فان جنب فان الزواج شعيرة من شعائر المرور التي يتحتم على الأفراد فيها تحمل أعباء ومسؤوليات عديدة وجديدة وفقا للمكانة الاجتماعية الجديدة التي أصبح الأفراد يمتلكونها. وتتميز هذه المرحلة بعادات وطقوس واحتفالات على مراحل عدة، تبدأ بالاختيار الزوجي ثم الخطبة فالعقد ثم العرس ثم يوم "الصبحة" ويوم "المسنونة" و هو اليوم الذي تتحزم فيه العروس بحزام خاص له رمزية. يكتسي الحزام معنى قويا في ربط العروسة بعائلتها الجديدة. ويجسد هذا الرمز في بعض نواحي البلاد في حفل طقسي². وهو ما يجري فعلا في منطقة الدراسة "الشرعية" إذ يتم التحريم مع بعض الطقوس الفريدة. و تعد المراحل المذكورة سابقا مراحل أساسية في الزواج في منطقة الدراسة والتي تتبع بعض العادات والطقوس الإضافية في مراحل ما بعد إقامة حفلة العرس مثل "قصعة لفراف" أو "الصك" وهي مراحل تتميز بها منطقة الدراسة عن غيرها من مناطق الجزائر.

ما نلاحظه في هذه العادات والطقوس أنها تعبر عن مظاهر تضامن وتلاحم للمجتمع ، كما تعكس بعض العناصر الفلكلورية التي تعمل على ثبات بعض الجوانب الثقافية وانتقالها

¹ - على محمد المكاوي، الأنثروبولوجيا و قضايا الإنسان المعاصر مدخل اجتماعي و ثقافي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط1، 2007، ص 65 .

² - فاطمة الزهراء قشي، الزواج و الأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص 42.

من جيل إلى آخر، كالغناء الشعبي الذي تتميز به احتفالات الزواج وخاصة حفلة العرس الذي تكون فيه بعض الأغاني الشعبية التي لا بد منها وهي بمثابة افتتاح لحفل الزفاف. والزواج من حيث شكله عام أي أنه اقتران الرجل بالمرأة وإنتاج نسل، ولكنه يختلف من حيث عاداته وطقوسه التي ترافقه من مجتمع إلى آخر حتى في المجتمعات المحلية ضمن المجتمع الكبير. وتتميز الملامح والسمات الثقافية وبوجه خاص العادات والتقاليد والعقائد والخرافات والأساطير بقدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن بل إن كثيرا منها تحتفظ بكيانها لعدة أجيال لا لشيء إلا أنها وجدت في وقت من الأوقات في المجتمع (...). وقد يتعرض المجتمع كله لبعض عوامل التغيير بشكل مفاجئ أو بالتدريج (...). ومع ذلك تستطيع بعض السمات البقاء والاستمرار مع احتفاظها بصورتها الأصلية.¹

لذا يتفرد مجتمع الدراسة "منطقة الشريعة" ولاية تبسة بعادات وطقوس تمارس خلال الزواج في مراحلها المختلفة، وهي عادات وطقوس توارثتها الأجيال عن بعضها عبر الزمان وبالرغم من اندثار واختفاء بعضها كوسائل وأدوات الزينة التقليدية وبعض أثاث العروس إلا أنها بقيت محافظة على بعض الخصوصيات التي لا نجدها حتى في المناطق المجاورة. إن دراسة العادات والطقوس الخاصة بالزواج من الدراسات الهامة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على حد سواء لما لهذا الموضوع من أهمية في تماسك وترابط أفراد المجتمع. فالطقوس الممارسة خلال مراحل الزواج المتعددة هي سلوكيات مجتمعية عامة لا يمكن الخروج عنها وعدم الامتثال لها يواجهها باستنكار المجتمع ونبذها ورفضه، وتخضع هذه الطقوس والعادات لثقافة كل مجتمع. فما يستحسنه مجتمع ما ويعتبره ضروريا ومن عاداته في الزواج يستهجنه مجتمع آخر ويعتبره من الغرائب أو من العار القيام به. وتعد هذه العادات والطقوس ملزمة للأفراد وتتمارس وضغطا عليهم دون شعورهم بأنهم مكرهون على القيام بها. لذا نرى الجميع يتمسكون بها ويحافظون عليها إلى حد التطرف أحيانا. ويمكن أن نلمس ذلك مثلا من خلال ما ينجر عن الزواج من تكاليف باهظة ولكن إن وجهت ملاحظة

¹ - فاتن محمد شريف، الثقافة و الفلكلور، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2008، ص 33 .

إلى أحد أطراف هذا الزواج بأنه لا حاجة لكل هذا يكون رده مباشرة بأنه من الضروري بل من البديهي القيام أو الخضوع لمثل هذه العادات ويعتبر التخلي عنها نذير شؤم وفساد للأمر وخروج عن إرادة المجتمع.

حسب راد كليف براون Radcliffe Brown فان العادة قوة معيارية تتطلب الامتثال الاجتماعي فهي تفرض بواسطة عدم الرضا الاجتماعي عن خرقها.¹ كما يرى كروبر Kroeber أن العادات عمياء لا ترى وأن الذين يتبعونها لا يدركون سبب قيامهم بها إلى أن تبلى، كما أنهم لا يشعرون بنظام المبادئ الذي يحكمها، أو بالتعارضات الجزئية الموجودة داخلها² وهي غالباً ما تتضمن معتقداً بأنها مرغوبة ومستحسنة ومقبولة اجتماعياً. وتظهر هذه العادات جلياً في المناسبات على الملأ وحتى وإن كانت بدائية وبسيطة فهي تحمل بصمات مجتمع معين وتعبر عن شخصيته فهي تعبر عن منطقة بعينها وعن تراث تاريخي معين.

أما الطقوس فتهدف إلى التخلص من التوتر والاضطرابات النفسية فهي تعمل على مد الفرد بالراحة والطمأنينة إذ أن الفرد من خلال القيام ببعض الطقوس الرمزية في موقف معين يشعر أنه قدم شيئاً ما للتغلب على المشكلة أي أنه يتخلص من مخاوفه. فالعروس مثلاً أثناء قيامها ببعض الطقوس عند دخولها إلى بيت زوجها كدهن أعلى العتبة بالدهان فتشعر إثر هذا الطقس أنها في أمان لأنها تشعر بأنها بالقيام بهذا الطقس لن تغادر هذا البيت أبداً إلا إلى القبر. ومن خلال بعض الطقوس التي تمارس عند نحر الكباش "شاة الحلال" فإنها تنتبأ بسعدها الجيد أو السيئ وذلك من خلال موقع ووضع المرأة التي توضع في فم الكباش فإن كانت مقلوبة فستكون هناك مشاكل ومنغصات في حياتها، وإن كانت غير مقلوبة فستحظى بحياة سعيدة وهانئة. والكارثة إن انكسرت المرأة من شدة تخبط الكباش فهذا دليل على فساد الأمور وتبقى العروس وقرباتها متوجسات من ذلك دائماً ويذكرنه في أحاديثهن في كل

¹ - مرفت العشماوي عثمان العشماوي، دراسات في التراث الشعبي دورة الحياة - دراسة للعادات و التقاليد الشعبية، دار المعرفة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 2011، ص 22 .

² - المرجع نفسه، ص 23 .

مناسبة، وكل ما يحصل من سوء تفاهم أو مشاكل فيما بعد بين العائلتين أو الخطيبين يرد إلى تلك المرأة المكسورة.

وابتداء من سنوات 1960، انتبه باحثون مثل م. غلوكمان M.Gluckman و ف. و. تورنر V.Turner و ت.أ. بيدلمان Beidleman إلى أن الظواهر الطقوسية تتجاوز بكثير المهمات التي لم تزل محصورة بها، ف أخذوا يبحثون عن طاقاتها التعبيرية وعن وظائف اجتماعية أو نفسانية كامنة فيها وعن انطوائها على أبعاد وجدانية **تجد عن** قنوات المؤسسات الناطمة للمجتمع.¹ إذن لكل هذه الأمور دلالات عميقة وجذور وربما أساطير في الماضي ، حيث تؤدي الطقوس وظيفة تغير مكانة الفرد ومركزه ، فالفرد خلال زواجه ينتقل إلى فئة أخرى يؤدي فيها أدوار جديدة ويأخذ مكانة أخرى غير التي كان يشغلها.

تمارس خلال الزواج عادات وطقوس كثيرة ترتبط بكل مرحلة من مراحلها وهي كثيرة ومتنوعة فهناك طقس الحنة حيث تعد الحناء لأغراض الزينة و التجميل خاصة في مناسبات الأفرح والأعراس العربية لدرجة أن الحناء قد صارت جزءا من التقاليد والعادات المرتبطة بتلك المناسبات حيث يعرف الجميع- ليلة الحناء- التي تسبق ليلة الزفاف.² ولكن تتفرد هذه الليلة في منطقة الشريعة بطقوس خاصة. وأيضا طقس الحمام الذي يحمل رمزية ، حيث أن يوم الحمام هو نقطة انطلاق لعملية معقدة عند الفتاة للتحويل إلى امرأة ونستطيع القول أن الحياة الجنسية تبدأ عندنا بالحمام³ .

كما تعد العذرية وغشاء البكارة وليلة الدخلة وما يتعلق بها من طقوس أخرى ، كالتصفيح الذي هو بمثابة تحصين للفتاة من الرجل ، من الأمور الهامة في منطقة الدراسة والتي بقيت من مواضيع التابو التي لا تقبل النقاش حولها في هذه المنطقة. وجدير بالذكر

¹ -بيار بونت و ميشال إيزار، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة محمد الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 632 .

² - محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشعبية " الثبات والتغير"، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الإسكندرية، 2009، ص 216.

3- Radia Toulbi Taalibi, LE MARIAGE DES FILLES EN ALGERIE (de l'imaginaire au réel), OUNOUTH, Alger, première édition, 2003, p 65 .

أن استمرار هذه العادات والطقوس لها جذور تدعمها ووظائف تقوم بها ولها دلالات عميقة وأبعاد اجتماعية واقتصادية ورمزية وربما هذا ما يفسر استمرارها كما أنها تمثل خطابا في حد ذاتها.

من خلال ما سبق يمكن انطلاق هذه الدراسة من تساؤل رئيس هو :

* ما هي عادات وطقوس الزواج ودلالاتها ووظائفها المختلفة ؟

انطلاقا من هذا التساؤل الرئيس يمكن طرح تساؤلات فرعية لتغطية الموضوع وهي كالتالي:

1 - ما هي مراحل الزواج ؟

2- ما هي العادات والطقوس الخاصة بكل مرحلة ؟

3- ما هي الوظائف المختلفة والدلالات الرمزية للعادات والطقوس المتبعة خلال مراحل

الزواج ؟

وتتمثل أسباب اختيار الموضوع في أسباب علمية وعملية تتمثل فيما يلي:

- تمثل العادات والطقوس بصفة عامة وعادات الزواج وطقوسه بصفة خاصة جزء من التراث الثقافي في منطقة الدراسة والذي يعد مادة خام لا مثيل لنوعيتها وتنوعها تستدعي الدراسة والتنقيب عنها، في ظل غياب دراسات أنثروبولوجية حولها فالمنطقة بكر لمثل هذه الدراسات.

- الشغف بالموروث الثقافي الشعبي الذي جعل لدينا رغبة في التعريف بمنطقة الدراسة من خلال تراثها الأصيل الم تفرد وتميزها بعادات وطقوس تمارس خلال احتفالات الزواج مما يعطيها خصوصية ثقافية وتراث شعبي محلي لأن المنطقة لم تحظ بالاهتمام الكافي أو بالأحرى التهميش .

- ملائمة الموضوع لأن يدرس من طرف امرأة باحثة يتسنى لها متابعة كل ما يجري من عادات وطقوس لأن هناك طقوس سرية و خاصة لا يمكن للرجل الباحث الاطلاع عليها فهي في الغالب تخص العنصر النسوي ، كما النساء هن اللاتي يمارسن كل الطقوس ويوجهن الآخرين إليها حتى تلك التي تخص الرجل وبصفة خاصة الأم أو القائم على

أمور العروس أو العريس. بالتالي إمكانية التعرف على تلك الوظائف الكامنة لهذه العادات والطقوس.

- إتقان الباحثة لهجة مجتمع الدراسة لأن عدم فهم بعض العبارات المتداولة في مجتمع البحث يشكل عائقا أمام الباحث. كما أن انتماء الباحثة إلى مجتمع الدراسة يسهل التعمق في أدق التفاصيل التي تكون خلال مراحل الزواج.

- تمسك أفراد منطقة الدراسة بعاداته وتقاليدهم الخاصة بالمناسبات، خاصة تلك المتعلقة بالزواج لأنه من أهم مراحل العمر بالرغم من أنهم يعيشون في زمن التحضر والرقمنة.

لدراسة موضوع عادات الزواج وطقوسه في منطقة الشريعة أهمية بحيث أنها:

- تعد هذه الدراسة توثيق لجزء من التراث الشعبي وهو العادات والطقوس الخاصة بالزواج قبل أن تندثر نهائيا في ظل التغيرات الشاملة التي تشهدها المجتمعات على جميع الأصعدة بالإضافة إلى موت كبار السن الذين يحملون هذا التراث في ذاكرتهم وممارساتهم.

- احتواء عادات الزواج على الكثير من الجوانب المادية والجوانب اللامادية كالحلي واللباس، والفنون الشعبية و الآداب وفنون المحاكاة وغيرها.

- تبيان مدى تأثير أفراد المجتمع بهذه العادات والطقوس وما تعود عليه من فائدة أو ضرر على الأطراف المعنيين بهذا الزواج أي الزوج والزوجة وعائلاتهم وأقاربهم ومن ثم المجتمع.

- بساطة مجتمع الدراسة مما يجعل عاداته وطقوسه تعكس الكثير لما كان سائدا في الماضي أي أننا أمام فرصة للكشف عن أشكال الممارسات الثقافية المحلية المتمظهرة في بعض عادات وطقوس الزواج خاصة، كما أن مثل هذه المجتمعات لا تتقبل التغيير أو التخلي عن طقوسها وعاداتها بسهولة لأنها تمارس عليها سلطة كبيرة لأنها تتعلق في أغلبها بأمور غيبية.

- إن التأكيد على ممارسة عادات وطقوس الزواج الخاصة بمنطقة الدراسة ليس فقط إعادة إنتاج لممارسات جماعية بصور عفوية، إنما هي تأكيد على انتماء وهوية وتواصل للأجيال مع بعضها البعض.
- تأتي أهمية هذه الدراسة ضمن ما تسعى إليه الدراسات الأنثروبولوجية عامة والبحوث الأكاديمية الجزائرية بصورة خاصة حول الموروث الشعبي الجزائري في مناطق مختلفة الذي أصبح جمعه ضرورة ملحة وعاجلة قبل اندثاره من خلال الدراسات الميدانية في شتى أوجهها وأشكالها سواء كانت بحوث ودراسات فردية أو جماعية، وذلك بالاعتماد على كبار السن كإخباريين يمثلون الذاكرة الشعبية وحلقة الوصل بين جيل وآخر فهم حملة التراث الشعبي لذا يجب المسارعة إلى الاستفادة منهم لتسجيل كل ما تحمله صدورهم من تراث قبل موتهم الذي يؤدي إلى ضياعه.
- وتهدف دراستنا هذه في جوهرها إلى جملة من الأهداف نوجزها فيما يلي:
- التعرف على الجوانب الرمزية والأبعاد والوظائف المختلفة للاحتفالات الخاصة بالزواج في مختلف مراحلها والبحث في معانيها والكشف عن دلالاتها وهو الهدف الملح للأنثروبولوجيا كعلم يهتم بدراسة الإنسان.
- الوصف الإثنوغرافي المكثف للعادات والطقوس الخاصة بنظام إجتماعي هو الزواج، لكن لا نكتفي عند حدود الوصف فقط، بل نتعداه إلى التحليل والتفسير من خلال البحث في وظائف وكوامن العادات والطقوس وما تؤديه من أدوار التلاحم والتضامن بين أفراد المجتمع ومن ثم الحفاظ على بقائه واستمراره.
- تكوين وعي جماعي وذاكرة ثقافية حول منطقة الدراسة مدينة الشريعة تكون بمثابة انطلاقة لدراسات أنثروبولوجية مستقبلية حول مواضيع عدة حول الموروث الثقافي في المنطقة.
- التركيز على ممارسة وتكرار هذه العادات في هذه المناسبة لما لها من قيمة لدى أفراد المجتمع واستنباط القيم العليا الاجتماعية والروحية والدينية والثقافية والأخلاقية التي تتضمنها.

- معرفة مختلف البنى خاصة الرمزية واختراقها لفهم معانيها والخصائص الكامنة في المجتمع من خلال تجليات المقدس ومظاهر الاحتفالات والأساطير المؤسسة للطقوس والعروض والممارسات ذات الدلالات العميقة وهذا ما سيتيح لنا العمل في ظل المدخل البنائي الوظيفي واستخدام المنهج الإثنوميثودولوجي.

أما بالنسبة للصعوبات فنتميز الدراسات الميدانية بصفة عامة بصعوبات منها ما يتعلق بدخول الباحث إلى مجتمع البحث وتقبل أفراد له، ومنها ما يخص البحث في ذاته من مراجع ومصادر للمعلومات، وقد تعرضنا في بحثنا الميداني هذا إلى بعض الصعوبات التي ذلتها إرادتنا ورغبتنا الملحة في الإحاطة بجميع جوانب الموضوع.

بالنسبة للنقطة الأولى لم تشكل لنا عائقا لأننا ننتمي إلى مجتمع البحث ونعرف دقائق الأمور فيه و متمكنين من اللهجة المتداولة. بالنسبة للمصادر فقد عانينا من ندرة بعض المراجع وأحيانا انعدامها في منطقة الدراسة ومكتبات جامعة الولاية مما اضطرنا إلى تكبد عناء السفر ومشاقه إلى ولايات بعيدة جدا للحصول على ما نبغي.

كما تعرضنا لبعض الصعوبات الخاصة بدخول بعض الفضاءات، حيث تعذر علينا الولوج إلى بعض الفضاءات كحمام العريس وأصدقائه، والدخول بصعوبة إلى بعض الفضاءات الرجالية الخاصة كالفضاء المخصص للحجابه وأيضا صعوبة معايشة بعض الممارسات التي تجري في الفضاءات العامة كالشارع مثل الرحيبة وهذا بسبب الذهنية السائدة والعادات المحافظة في المنطقة والتي تقضي بالفصل التام في الأعراس بين فضاءات الرجال والنساء.

انطلاقا من أن البحث يجري في إطار منهجية بحث تلتقي فيها المنظورات الفكرية أو النظرية بالطريقة من أجل إرشاد الباحث وتوجيهه لتنفيذ خطة بحثه ابتداء من صياغة الإشكالية وتساؤلات الدراسة وانتهاء بعرض التحليلات، " فإن الباحث يجد نفسه أمام التساؤل

الخاص بالمقارنة التي يمكن أن تميز موضوع بحثه" ¹. ونظرا لطبيعة الموضوع فإن بحثنا يندرج ضمن المقارنة البنائية الوظيفية، حيث ينطلق استخدامنا لها كإطار مرجعي للتفسير والتحليل بناء على مقولاتها وأفكارها الرئيسية التي تنطلق منها، وتتخذها كقاعدة لمعالجة وتحليل القضايا المواضيع المدروسة بصورة واقعية في مختلف البحوث سواء النظرية أو الميدانية. إذ نجدها اهتمت بالعديد من المفاهيم المتداخلة والمتكاملة التي نجدها مهمة في دراستنا هذه كدراسة سوسيولوجية أنثروبولوجية، حيث اهتمت البنائية الوظيفية بفكرة النسق الاجتماعي والبناء الاجتماعي وأحيانا البنية الاجتماعية والوظيفية.

ظهرت فكرة النسق الاجتماعي لدى عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز Talcott Parsons الذي أكد على الفكرة باعتبار المجتمع بناء نظام اجتماعي متكون من مجموعة أنساق اجتماعية متبادلة وظيفيا والمؤثرة في مكونات البناء الاجتماعي أو المجتمع ووظائفه بصورة عامة وحسب الأنثروبولوجيين الاجتماعيين فإن الأنساق الرئيسية في بنية البناء الاجتماعي في أربعة أنساق تتفرع عنها مجموعة من النظم وتتمثل في النسق الاقتصادي، السياسي والديني القرابي.

يتجلى في هذه الأنساق مجموعة أنظمة حيث يعم النسق الاقتصادي نظم التبادل والملكية ونظم تقسيم العمل، أما النسق السياسي فيحتوي على نظم الزعامة والسلطة ونظم الجزاء والقانون. إضافة إلى النسق الديني الذي يضم نظم الزواج والمصاهرة ونظم القرابة والميراث². من هنا نتبين موضوعنا كنظام اجتماعي يتفرع عن النسق القرابي أي أننا أولا حددنا انتماء موضوع بحثنا في مجموع البناء الاجتماعي الكلي، ومن ثم كيفية دخوله تحت هذا الإطار البنائي الوظيفي من خلال واحدة من مقولاته وأفكاره.

كما نجد فكرة الأنساق أو البناءات الاجتماعية في تحليلات علماء الأنثروبولوجيا أمثال

مالينوفسكي Malinowski وراي كليف براون R.Brown وإيفانز بريتشارد E.Pritchard

¹ شارلين هس بيير وباتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص 119.

² رايح درواش وعبد القادر خريش، الأنثروبولوجيا العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011، ص 177.

وآخرون انطلاقاً من فكرة أن لكل نسق يقوم بأداء وظيفة، حيث أن كل نسق هو بناء يعمل على تحقيق وظيفة معينة. وعليه يتعين علينا تعريف البناء الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية كمفهومين أساسيين انطلاقاً منهما دراسة وفهم وتحليل المجتمع باعتباره مجموعة بنيات اجتماعية تشعب وتحقق المتطلبات اللازمة لبقائه واستمراره. ومنه يعرف البناء الاجتماعي على أنه " مجموعة العلاقات الاجتماعية التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية " ¹ وتعرف الوظيفة الاجتماعية بأنها " الدور الذي يساهم به الجزء في الكل " ².

كما تندرج دراستنا ضمن هذا الإطار اعتباراً لتأكيد الدراسات الأنثروبولوجية على ضرورة دراسة الظواهر في إطارها وسياقها الكلي أي ابتعادها عن عزل النظم الاجتماعية عن سياقها البنائي، هذا من أجل معرفة الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من الأنظمة، وبالتالي معرفة طبيعة البناء الاجتماعية للمجتمع ككل ³. ومنه قمنا بوصف وتحليل العادات والطقوس المتعلقة بالزواج وأدوارها ووظائفها التي تؤديها في المجتمع تبعاً لرؤى علماء الأنثروبولوجيا خاصة مالمينوفسكي الذي اتخذ مفهوم الوظيفة عنده جانبين. يذهب الجانب الأول للوظيفة حسبه إلى اعتبار الثقافة كيان كلي وظيفي متكامل أي أنه لا يمكننا فهم أي جزء من أي ثقافة إلا في ضوء علاقته بالكل، والجانب الثاني هو تحديد الوظيفة النهائية لكل الثقافات وتفسيرها في المجتمعات ⁴.

أما راد كليف براون فقد اهتم بدراسة المجتمع ونظر إليه على أنه أجزاء متداخلة وظيفياً حيث أن للأبنية الاجتماعية في تساندها لأداء ووظائفها المتداخلة تحافظ على البناء الاجتماعي الكلي.

ولم يبتعد راد كليف براون في تعريفه للوظيفة عما جاء به مالمينوفسكي حيث ينظر إلى الوظيفة ويعرفها من خلال تركيزه على البناء الاجتماعي وباختصار فهو يذهب إلى أن

¹ - حسن أبو حمود، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الملايين للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009، ص 104.

² - حسن أبو حمود، المرجع نفسه، ص 104.

³ - مصطفى عمر حمادة، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012، ص 40.

⁴ - مصطفى عمر حمادة، مرجع سبق ذكره، ص 41.

"الوظيفة رابطة بين البناء الاجتماعي وعملية الحياة الاجتماعية"¹ ففي موضوعنا الزواج فضلا على أنه يعمل على تكوين أسرة وإنجاب الأطفال، فإنه يؤدي وظائف الإشباع العاطفي والجنسي وتحقيق الرغبات والمتطلبات الدينية والأخلاقية، كما يعمل ويمكننا فهم النظم بصورة واضحة حين نفهم التداخل والتساند القائم بينها، بمعنى أننا في دراستنا هذه نفهم العادات الاجتماعية فهما وظيفيا حين نعتبرها ونراها أجزاء من مجموع كلي في حياة الأفراد الاجتماعية للجماعة المحلية موضوع الدراسة. ومنه نتجه دراستنا الميدانية هذه اتجاهها وظيفيا يهتم بتحليل وكيفية عمل العادات في الزواج في الإطار العام والأوسع للمجتمع حيث تلعب العادات الممارسة دورا في الضبط الاجتماعي، حيث تعبر عما هو مقبول، وما هو مرفوض وكمثال على ذلك دور العادات في الحفاظ على العلاقات القرابية وتوطيد أواصرها مما يؤدي الاندماج والتضامن الاجتماعي والعائلي وهو تضامن جمعي قائم على تجانس القيم والسلوك والولاء للجماعة القرابية وهو ما يحافظ على استمرار المجتمع.

إذا تفحصنا مجتمع الدراسة نجد أن الزواج فيه يحظى بالكثير من الطقوس باعتباره مرحلة مهمة في حياة الفرد، في حين تحظى بعض المراحل الانتقالية بتهميش أو طقوس أقل. من بين التفسيرات هو أن هذا الانتقال ينطوي على تغيرات في المكانة ومشاركة الفرد في المجتمع من خلال المسؤوليات الجديدة التي تناط به. إذا الزواج من الأحداث المهمة في دورة حياة الفرد الذي يصاحبه عدد هائل من الطقوس، بتعبير آخر هناك تمركز لشعائر المرور حول الزواج أي أنه يأتي في المرتبة الأولى من حيث الأهمية الطقوسية، ونجد اختلاف بين الثقافات والمجتمعات التي تزيد فيها الطقوس أو تنقص.

هناك مجتمعات لها ميول قوية تجاه التعلق بالطقوس مثل التي نجد فيها تنافس على المكانة الاجتماعية والذي يتخذ صورة إهدار وتدمير للثروة². يتجلى هذا الإهدار مثلا في مجتمع البحث في كثرة الذبائح والطعام المقدم في ولاءم العرس من أجل التفاخر والتباهي وأيضا الهدايا والباروك التي تتعلق بمركز الفرد والتي تدخل كلها ضمن النسق الاقتصادي والذي يؤدي وظائف في البناء الكلي. كما نجد في مجتمع البحث قوة الشعور بالاعتماد على القوى الغيبية والاعتقاد فيها. هنا نجد أن راد كليف براون³ أوضح أن العين الشريرة مثلا

¹ - إيكه هولنكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف،

مصر، ط2، 1973، ص 369.

² - محمد عبد محجوب، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005، ص 173.

تعمل كميكانيزم يسمح باستمرار حدوث توترات بين الناس الذين يشغلون أدوارا اجتماعية معينة دون أن يتمزق البناء الاجتماعي¹ وهي تفسيرات في ضوء المبادئ البنائية. نخلص في الأخير أن لكل موضوع بحث إطار نظري يدعمه ويعطيه صفته العلمية الأكاديمية. وقد لازمت المقاربة البنائية الوظيفية بحثنا كاملا ببني لها وظائف التضامن والترابط وتقوية الولاء وتدريب القيم والسلوكات ووظائف نفسية علاجية وأخرى تحصينية بالتعاون والرقى والحروز والثقاف وغيرها، وقد أعطينا بعض الجوانب منها كأمثلة على كيفية استخدامنا لها وتبريرها في آن واحد.

2.1- النماذج والتقنيات المنهجية

1.2.1- الدراسة الاستطلاعية

بما أن دراستنا لهذا الموضوع كفي فإنه من الضروري القيام بدراسة استطلاعية كخطوة تمهيدية لمعرفة ميدانها بدقة والتعرف على مجموعة الإخباريين وربط علاقات ودية معهم. لقد تخمرت فكرة هذا الموضوع "عادات وطقوس الزواج" في ذهننا قبل اختياره كموضوع لأطروحة الدكتوراه، هذا لأنه كان محل ملاحظاتنا منذ الصغر، بحكم أن احتفالات الزواج تتكرر دائما وبكثرة عند الأقارب، الجيران، الأصدقاء والمعارف، وكان حضورها متاحا للجميع وليس حكرا على فئة اجتماعية خاصة أو شريحة عمرية معينة، إذ كنا نشاهد الكثير من العادات والطقوس الظاهرة في حفلات الخطوبة وعقد القران والزفاف.

كانت ملاحظتنا تلك متدرجة شيئا فشيئا حسب عمرنا، فما كان لا يسمح لنا مشاهدته أو الحضور فيه في صغرا - خاصة بعض الطقوس - أصبح مسموحا في مراحل عمرية لاحقة، بل أصبحنا مشاركين في بعض العادات والطقوس، لكن كانت تلك الملاحظات والمشاركات عفوية وبسيطة وكانت الكثير من العادات والطقوس الممارسة خلال احتفالات الزواج في شتى مراحلها تثير تساؤلاتنا حولها، بل استغربنا في الكثير من الأحيان، إذ كنا لا نجد تفسيرات تشبع فضولنا عندما نسأل الوالدة أو الجدة أو القريبات خاصة بالنسبة لبعض الطقوس التي تعد "تابو" لا سبيل للسؤال أو الاستفسار عنها أو مناقشتها. إضافة الى ذلك منع الدخول الى بعض الفضاءات الخاصة بالاحتفالات خاصة الرجالية منها. من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع الذي كانت خطوته الأولى القراءات المنوعة والمكثفة والجمع

¹ رايح درواش وعبد القادر خريش، مرجع سبق ذكره، ص 173.

البليوغرافي الذي انطلق من تساؤل رئيس مبدئي قمنا على إثره بالدراسة الاستطلاعية ، التي أجرينا خلالها بعض المقابلات مع أطراف عدة من أصحاب الأعراس ومع بعض من أتاحت لنا الفرصة للقائهم والحديث معهم ومع الوالدة والوالد والجدة وغيرهم. وحضرنا بعض حفلات خطوبة وزفاف لبعض الصديقات والزميلات. كان الهدف من هذا العمل الاستطلاعي التقرب أكثر والتعرف على مجتمع البحث في نواحي كثيرة والشيء الذي مكنا من تحديد زوايا الموضوع المراد دراسته وبحثه، إذ كان الاستقرار على مفاهيم للدراسة واتضح السبيل المنهجي الذي سلكناه لمعالجة موضوع البحث، كما ساعدت الدراسة الاستطلاعية على بناء خطة مبدئية تميزت بالمرونة وقابلية التعديل من حين لآخر. ومن الأهداف الهامة أيضا لهذه الدراسة بناء دليل مقابلة يتماشى والمحاور والقضايا المعالجة في موضوع البحث.

2.2.1- الدراسة الميدانية

بخصوص العمل الميداني كانت لنا أحاديث مطولة أجريناها مع كبار السن لأن هؤلاء هم حملة التراث القديم، إذ كانت الأسئلة موجهة إلى الشيوخ فيما يخص الأدوار التي يقوم بها الرجال في مختلف مراحل الزواج، وركزنا حواراتنا مع العجائز من النساء أكثر لأنهن معنيات أكثر من الرجال بشؤون الأعراس وتفاصيلها وعاداتها وطقوسها وهن اللاتي كن مؤهلات للحديث والإخبار عن طقوس وعادات الأعراس في الماضي. وكانت ملاحظتنا وعملنا الميداني مكثفا خاصة في فصل الصيف، بداية فصل الخريف والربيع لكن لم نحصر عملنا الميداني فقط خلال مواسم الأعراس لكن استمرت المقابلات في مناسبات أخرى كالأعياد وسهرات رمضان التي نتحدث فيها النسوة كثيرا عن هاته الأمور وأثناء ولادة القريبات والصديقات وأثناء ترددنا على حمام الحي أين كنا نلتقي بعرائس أتت للاستعداد لزفافهن فكنا نجري مقابلات معهن ومع قريباتهن وصديقاتهن خاصة العازبات واللاتي كان زفافهن حديثا أو سيتزوجن عن قريب. وكان حضورنا متكررا في جميع أوقات السنة لنرى إن كانت هناك فروقات في الطقوس والعادات.

وما زادنا تشبعا بتفاصيل الموضوع زواج إحدى الأخوات من أسرتنا خلال فترة هذه الدراسة، حيث كنا بحق ملاحظين مشاركين، إذ تسنت لنا المشاركة في تطبيق بعض العادات والطقوس وما جعلنا مشاركين مئة بالمئة في العادات والطقوس الممارسة خلال فترة

هذا البحث حيث كنا موضوع تطبيق بعض العادات والطقوس الخاصة بالعروس وتلمسناها بأنفسنا.

3.2.1- المنهج الإثنوميتودولوجي

إن الأنثروبولوجيا تخصص مفتوح على تخصصات العلوم الاجتماعية خاصة علم الاجتماع، من ثم جاءت المزوجة بينهما وهو الشيء الذي فرض تعدد مناهج البحث وأدواته ومقارباته لمعالجة المواضيع المطروحة للدراسة والبحث. إن الاشتغال والتمرس على ميادين السسيو أنثروبولوجيا يستدعي استحضار معارف ومناهج و إجراءات وأدوات منهجية موزعة على وبين تخصصات متجاوزة في العلوم الاجتماعية والإنسانية للمزوجة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. ويستوجب هذا التوليف الانفتاح على المقاربات الحديثة ومواكبة حركة تطوير الدراسات البحثية وتوظيفها لمعرفة الكامن من الإرث المعرفي والثقافي واستجلاء المسكوت عنه واللامفكر فيه وإعادة قراءة ما وصلنا منه وفك رموز ما هو راهني من ظواهر للوقوف على ما هو معيش وممارس في المجتمعات الإنسانية.¹ ضمن هذا الإطار ومن أجل الإحاطة بموضوع الدراسة والإلمام بجميع جوانبه فقد فرض علينا هذا البحث استخدام مناهج فرضتها طبيعة الموضوع. فالمنهج هو أحد أركان العلم الذي لا يمكن الاستغناء عنه ذلك أن دقة النتائج المتوصل إليها في موضوع الدراسة مرتبطة أساسا بدقة المنهج المعتمد. وعرف المنهج على أنه: "مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة."²

من هنا فرض المنهج الإثنوميتودولوجي وجوده في سير عملية البحث، إذ يهتم المنهج الإثنوميتودولوجي في مجال جمع البيانات الاجتماعية بالدراسات الميدانية.³ يرى عدد من رواد الإثنوميتودولوجي أن العالم يعتبر موجودا في حالة تعقل وإدراك وفهم أفراده لطبيعة ومضمون هذا الوجود، وخاصة التأكيد على الوجود الواقعي لمدرجات الحقائق والأشياء والظواهر التي توجد في العالم الطبيعي والاجتماعي، لذلك تهدف النظرية الإثنوميتودولوجية

1 - وسيلة بورقي، ورقة في إشكالية الملتقى المقدمة في الملتقى الثاني لأيام السوسيو أنثروبولوجية لتيفاست تحت شعار:

السوسيو أنثروبولوجيا في الجزائر التأسيس و الأفاق، تبسة، الجزائر، 18- 20 جانفي، 2010.

2 - صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص 90 .

3- خالد حامد، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص 132- 133.

من الناحية المنهجية إلى جعل أفعال وسلوكات الأفراد وطرق حدوثها في مواقف اجتماعية معينة قيد البحث والدراسة والتحليل والتفسير والتعليل.

ظهر هذا الاتجاه كمنهج ومنظور فكري في سينات القرن العشرين على يد هارولد جار فينكل Harold Garfinkel الذي يطرح جملة تساؤلات حول الواقع الاجتماعي والمعاني التي يضيفها الأفراد على سلوكياتهم وهي التي أسست لهذا المنهج. ويهتم الآخذين بهذا المنهج بالطريقة التي يتم بها تداول المعاني في سياق اجتماعي معين من خلال عمليات تفاعل الأفراد فيما بينهم.

يرى المفكر الإثنوميثودولوجي أنه يتم خلق الحياة الاجتماعية ثم يعاد خلقها بناء على الفهم الدقيق الذي يضيفه الأفراد على السياقات الاجتماعية لحياتهم اليومية¹. ويعتمد أنصارها على طرق بحثية للقيام بأعمالهم الميدانية التي تتمثل في " الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة"². بالنسبة للأعمال الميدانية التي هي أساس هذا المنهج يؤكد جارفينكل Garfinkel على ضرورة أن يكون الباحث جزء من العالم الذي يدرسه أي أن يؤدي دوره كممارس أكثر منه كملاحظ³، وهذه هي الخاصية المهمة في البحوث الأنثروبولوجية الميدانية.

انطلاقاً من هذا الاهتمام نجد أن تراث هذا المنهج يتلاءم مع البحوث الكيفية كالتي نحن بصدد القيام بها، حيث يتأكد لنا من خلال أساسيات ومبادئ الإثنوميثودولوجيا أنها تتوافق مع طريقتي الملاحظة والمقابلة باعتبارهما أداتان تحتلان المرتبة الأولى في ممارسة وتنفيذ البحوث الميدانية الكيفية. إذا تسعى الإثنوميثودولوجيا إلى فهم الأفراد من الداخل من خلال تصوراتهم التي يكونونها عن طريق تفاعلهم مع الآخرين، ومن خلال المعاني التي يضيفونها على أفعالهم وسلوكياتهم بوصفهم أشخاص يملكون أفكاراً وتصورات خاصة تختلف

¹ - شارلين هس بيبروياتريشيا ليفي، مرجع سبق ذكره، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - رث والاس ألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، ترجمة: محمد عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011-2012، ص 457.

باختلاف ثقافتهم وبيئتهم الاجتماعية¹، أي التسليم بأهمية السياق لفهم الأفعال الاجتماعية والسلوكيات في النسيج الكلي لأن الأفراد يتصرفون وفق ما هو وظيفي وعملي بالنسبة لهم في حياتهم العادية.

نخلص في الأخير إلى أن الإثنوميثودولوجيا من حيث هي منهج يسعى إلى توضيح الخصائص الكامنة في المجتمع من خلال اختراق الأبنية والتعمق فيها من خلال تحديد فهم الأفراد لها من خلال كيفية تفسير الفاعلين لهذه الأبنية الاجتماعية وكيفية تجليها لهم. وهذا ما سيوفره لنا المنهج من خلال تشريح للعادات والطقوس التي ترافق الزواج ومحاولة فهم الأفراد لها ولتجليها في حياتهم وكيفية تفسيرهم لها من خلال الأدوات البحثية الموائية التي سيأتي ذكرها.

1.3.2.1- الملاحظة بالمشاركة

أما عن التقنيات وأدوات جمع البيانات فهي التي فرضت نفسها نظرا لطبيعة الموضوع المتناول، هذا للوصول إلى الأهداف المرجوة منه. لذا كانت الأداة الرئيسية في دراستنا هذه الملاحظة بالمشاركة أو المعاشية لأنها طريقة جمع معلومات ترتبط بشكل وثيق بالعمل الحقلية أو البحث الميداني. فالملاحظة في ميدان الأنثروبولوجيا تعتبر من الخطوات الهامة لدراسة الظواهر، بل يمكن اعتبارها من التقنيات الأساسية لجمع البيانات التي بدونها لن تكون لهذه الدراسات فائدة كبيرة²، حيث يكون الباحث مشاركا في مختلف المناشط الاجتماعية التي يقوم بها مجتمع البحث. والملاحظة بالمشاركة هي المشاركة المنظمة المقصودة، حسب ما تسمح به الظروف، في أنشطة حياتية وفي اهتمامات ومصالح

¹ - علي عبد الرزاق جلبلي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، الإسكندرية، 2011، ص 390.

² - منصور مرقومة، التاريخ عند مارك بلوك و المنهج السوسيو-أنثروبولوجي: دراسة مقارنة في منهج البحث العلمي، الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي و فلسفة السلم، كلية العلم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد ربيع و صيف 2013، 107.

مجموعة من الأشخاص¹ يسعى الباحث من خلالها الى تأسيس نوع من العلاقة العضوية والروابط المتينة بالمجموعة التي يريد دراستها مع إضفاء جو الحميمية على تلك العلاقات. هنا يبين جان كوبان أن الألفة الثقافية واللغوية تجعلان من الملاحظة بالمشاركة أداة

دائمة للسلوك الفردي والجماعي وخاصة الثقافة الشفهية... فالميدان يتحول إلى ذاكرة

ويتحول إلى نص يبين كيفية تعامل الإثنولوجي مع العادات والتقاليد في المجتمعات المدروسة.² كثيرا ما يعول الباحث على المعاشية أو الملاحظة بالمشاركة للحصول على المعلومات، لكنها ليست عملية ميسرة بل يمكن أن تتعرض للقصور بتأثير الأفكار المسبقة لدى الباحث أو اتجاهاته الخاصة بالنسبة لرؤية الآخرين، أو ميله إلى إضفاء تأويلات متسرعة على كل ما يلاحظ. أو عدم اهتمامه بالربط بين ما يلاحظ وما بين السياقات المكانية والزمانية التي تتم في إطارها الممارسات الطقوسية والعادات. هذا ما يؤكد عليه ليفي ستروس حول موضوعية البحث " فالموضوعية التي تهدف إليها الأنثروبولوجيا لها أبعاد عميقة، لا تعني فقط الاعتلاء فوق القيم الخاصة بالمجتمع باستعمال طرق التفكير المناسبة والناجعة بالنسبة للملاحظ، بل لمجموع الملاحظين. فالأنثروبولوجي لا يكتفي فقط بالاحتباس من تأثير عواطفه، بل يساهم في خلق وسائل جديدة (فكرية خاصة) وإدخال المصطلحات الدلالية، سواء بالنسبة للمكان أو الزمان"³.

لذا فتعبير الملاحظة بالمشاركة يتضمن فكرتين أقام عليهما بعض الباحثين موقف ذا طرفين أحدهما يمثل الاندماج في المشاركة والثاني يمثل التركيز على الملاحظة، والمهم هنا أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة وبين الملاحظة الخالصة يماثل التقابل بين موقف الاستغراق والانفصال اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية الأنثروبولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك.⁴ وقد تكلم بواس Bouas عن الأهمية البالغة للملاحظة إذ قال: أنه " لفهم ثقافة المجتمع لا بد

¹ - شاقا فرانكفورت-ناشمياز و دافيد ناشمياز ، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة:ليلي الطويل، بترا للنشر و

التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص. 280.

2- Jean Copains , L'enquête Ethnographique de Terrain, ouvrage publié sous la direction de Francois Singly , NATHAN UNIVERSITE, 1998, pp 78 – 79 .

1 -Levi- Strauss .C, Anthropologie Structurale, Plon, Paris, 1958, p 398.

⁴ - فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي لشنواني، مدخل الى مناهج البحث في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا"، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1988، ص 185.

من العيش في المجتمع ومعرفة لغة الأهالي.¹ مما تقدم عرضه عن معنى الملاحظة وكيفية إجراءها فقد تم الاعتماد على هذه الأداة البحثية الهامة في كل مراحل البحث، حيث كانت ملاحظتنا في موضوعنا "عادات و طقوس الزواج" في مدينة الشريعة مكثفة خلال الدراسة الميدانية، إذ كنا خلالها ندون كل ما نراه ونسمعه ونصور أو نسجل المواقف السريعة والمعقدة التي يصعب تدوينها في الحال أو استذكارها فيما بعد. فلا تعني الملاحظة بالمعايشة فقط الملاحظة البصرية بل أيضا الملاحظة السمعية التي تعني الإصغاء إلى التفاعلات اللفظية التي تحتاج إلى الملاحظة، الإصغاء والفهم²، كما تسنت لنا الفرص دائما لملاحظة العديد من العادات والتقاليد والطقوس في المناسبة التي كنا نحضرها من خطبة أو زفاف أو يوم الحزام، وطرح الأسئلة بالتزامن مع ممارسة الطقس أو القيام بعادة معينة، كان ذلك مع الخطيبة والخطاب، أو العروس والعريس، الوالدين أو عائلتيهما أو الأقارب والحضور في المناسبة، خاصة فئة النساء والفئة العمرية التي في سن الزواج أو تزوجت ومع كلا الجنسين.

2.3.2.1- المقابلة

هي أداة بحثية بالغة الأهمية يعتمد عليها الباحثون الآن أنثروبولوجيون في دراساتهم الميدانية، والواقع أنها تتيح للباحث الاقتراب من الأفراد والجماعات التي يتصل بها أثناء قيامه بدراسته. وكان اعتمادنا على المقابلة في شقيها الفردي والجماعي وذلك حسب ما تقتضيه الضرورة، فهناك نقاط في بحثنا تقتضي المقابلات الفردية لأنها تتعلق بأمور شخصية لا يستطيع المبحوث الإدلاء بمعلوماته حولها فلجاننا إليها لرفع الحرج والحصول على معلومات معمقة، صادقة ودقيقة حيث يترك للمبحوث حرية التعبير عن آرائه وعن ذاته بشكل فردي.

¹ - نخبة من أعضاء هيئة التدريس، طرق البحث وأدلة العمل الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 15.

² - قويدر سيوك و الزهرة قريصات، إشكالية المنهج في البحوث الأنثروبولوجية، الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات التنوع الثقافي و فلسفة السلم، كلية العلم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد خريف و شتاء 2014، ص 109.

1.2.3.2.1- المقابلة الفردية

تجري المقابلة الفردية مع شخص واحد، وهي تتيح للمفحوص الحرية في إبداء الرأي والتعبير بصدق عما يريد أن يقول فلا يشعر بالإحراج لوجود أشخاص آخرين معه¹. وتعد المقابلة الفردية أداة تسمح للمبحوث بالتعبير عن آرائه وتوجهاته ومعتقداته وذاته بحرية، حيث يميل بعض الناس ويرغبون في إعطاء المعلومات مشافهة أكثر من إعطائها كتابة، ربما يعود ذلك إلى سهولة الأمر بالنسبة لهم. ويلعب التفاعل الودي أثره الكبير على استجابات المستفتين من خلال المقابلة الشخصية، فالمقابل يشجع ويساعد المقابل ويقراً قسماً وجهه من تعبيرات وما في نغماته، صوته، ويحلل ويستكشف ويصل إلى أغراضه سواء كانت بحث أو توجيهاً، أو علاجاً بمقدراً حسن استفادته من المقابلة.² ويجدر أن تكون المقابلة غير موجهة لأنها الأنسب لأن الأسئلة ذات النهايات المفتوحة تتيح للفرد الإجابة بأريحية وإعطاء رأيه بخصوص كل ما يطرح عليه من مواضيع، هذا ما يقود الحوار في كثير من الأحيان إلى اتجاهات جديدة يكتشف الباحث من خلالها أشياء مستترة و خفية أو ربما تغيب عن ذهنه أو تبدو بديهية لكنها تعطي دلالات ذات فوائد. لقد وظفنا هذا النوع في مقابلة بعض العرائس وسألناهن حول بعض الأمور الشخصية، ففي المقابلة الجماعية "... الأشخاص يحجمون عن البوح بالأسرار أمام الآخرين".³ كالأئلة الخاصة ببعض النقاط في البحث التي ينظر إليها مجتمع البحث أنها من مواضيع الطابو كالعذرية والكشف الطبي عليها والتصفیح والنقاط الحساسة التي تتعلق بالعروس والعريس كليلة الدخلة التي تعد محطة مهمة للغاية في الزواج، حيث ينظر إليها رغم أهميتها تلك من منظور "العييب" عند مناقشة دقائقها مع أطراف البحث الآخرين، فعند طرحنا لبعض الأسئلة الخاصة يعتذر بعض الأفراد عن الإجابة عنها.

2.2.3.2.1- المقابلة الجماعية

أما المقابلة الجماعية، فهي التي تحدث مع مجموعة من الأشخاص حول نفس الموضوع ومن مميزات هذه الأخيرة - في حالة انسجام أفرادها - إنها تغني الحوار و تحفز

¹ إبراهيم خليل أبراش، المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر التوزيع، عمان، الأردن، ط1، الإصدار الأول، 2009، 267.

² - حسان حلاق ، مقدمة في مناهج البحث العلمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان، ط1 ، 2010 ، ص 136.

³ إبراهيم خليل أبراش، مرجع سبق ذكره، ص 268.

المبحوثين على التذكر فيساعد كل شخص الآخر في توضيح هذه النقطة أو تلك،...¹ وتتميز المقابلة الجماعية بإعطاء معلومات ذات فائدة كبيرة لما يتميز به مبدأ المشاركة الجماعية من أثر على ما يطرح من مواضيع. حيث يمكن للمبحوثين مساعدة بعضهم على تذكر المعلومات أو مراجعتها أو توضيحها أو تصحيحها.

وظفنا هذه الأداة في البحث لمعرفة العادات والطقوس والممارسات الشعبية والاجتماعية المختلفة خاصة الجماعية منها، والتي تمارس خلال مراحل الزواج المختلفة سواء أثناء الخطبة أو عقد القران أو حفل الزفاف وما بعده، وتقصي وظائفها ورمزيتها ودلالاتها المختلفة لدى أفراد المجتمع ودورها في تماسكه وتعاضده وتتبع جذور بعضها وأسباب استمرارها.

وجدير بالذكر أنه تكون لدينا رصيد من المعلومات حول هذه العادات والطقوس الخاصة بالزواج في كل مرحلته حتى قبل بداية هذه الدراسة ذلك باعتبارنا فرد من مجتمع الدراسة وهو الأمر الذي سهل علينا الولوج إلى دقائق الأمور في هذا الموضوع، حيث تعرفنا عن كثر وعن طريق زواج بعض الأقارب والأصدقاء والجيران عن الكثير من الطقوس والعادات ولكن باختيارنا لهذا الموضوع كموضوع للدراسة أخذ شكلا علميا وأكاديميا مؤطرا تأطيرا منهجيا.

3.2.3.2.1- دليل المقابلة

إن دليل المقابلة أداة حتمية يركز عليها البحث وتتضمن كل الأسئلة التي يحتمل طرحها أثناء مقابلة المبحوثين، ويحتوي أيضا كل ما نريد معرفته تماشيا مع مشكلة البحث، ويحضر من خلال أسئلة واعية فرعية ومفتوحة قائمة على أساس التحليل المفهومي الذي تم إجراؤه في المرحلة الأولى والمرتببة بشكل معين². على الباحث أثناء المقابلة أن يكون منصتا جيدا ومتحدثا ماهرا ومنهجيا متمرسا لأن هناك بعض الناس الخجولين أو المتكتمين أو الاستفزازيين أحيانا أثناء إجراء المقابلات لذا يجب أن تكون المناقشة تحت سيطرة الباحث مع التميز بالمرونة وعدم ترك الآخرين يحسون بذلك. كما أن المقابلات مرهونة بالأجواء التي تحدث فيها وتتأثر بشخصية الباحث لذا عليه وضع مبحوثيه في أجواء مريحة

¹ - المرجع السابق، ص 268.

² - موريس أنجريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي و آخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004-2006، ص 263.

يتضاءل فيها التصنع ليجري الحوار بانسيابية ويكون شيقا وغير مفتعل. فمن الطبيعي أن يتنوع دور الباحث في إجراء الحوار بحسب نوع المبحوثين فالبعض لا يجيد الاسترسال في أفكاره ويحتاج أسئلة محفزة للتحدث في كل النقاط المطلوبة...¹ وآخر يعطي إجابات قصيرة وثالث يجيب إجابات عامة، لكن لا يجب أن يوجه الباحث إجابات المبحوثين بل يساعدهم بالقدر الذي يخدم أهداف المقابلة عن طريق التنويع في أسئلته أو تكرارها أو توضيحها أو صياغتها بأسلوب آخر أو تبسيطها حسب مستوى المبحوث بمعنى على الباحث أن يجعل دليل المقابلة مرنا يستجيب لنوع المبحوث الذي يتعامل معه. وعليه أيضا عدم الاكتفاء بالإجابات السطحية و الانتقال السريع من موضوع إلى آخر بل يعمل جاهدا للحصول على بيانات تفصيلية.

لقد قمنا بإجراء المقابلات المبرمجة سجلنا أثناءها إجابات المبحوثين استجابة واعتمادا على دليل المقابلة الذي سمح لنا بتسجيل منظم للمعلومات وساعد على جمع بيانات مهمة وهادفة و غطى النقاط والقضايا المدرجة في موضوع البحث، فمهمتنا ليست تسجيل كل ما يلفت انتباهنا أو يعلق بذاكرتنا أو الأشياء الغريبة التي تستدعي الاهتمام، لكن تسجيل المادة العلمية التي تساهم في الإجابة على تساؤلات موضوع البحث. فمن خلال دليل المقابلة تعرفنا على اتجاهات وأراء المبحوثين تجاه ما طرحناه من نقاط للمناقشة تخص موضوعنا. كان دليل مقابلتنا مصمما كآتي:

جاءت الصفحة الأولى متضمنة لمعلومات تخص الجامعة التي ننتمي إليها، وعنوان البحث واسم الأستاذ المشرف والباحث كما أوردنا ملاحظة تخص الجانب الأخلاقي للبحث وهو المبدأ الهام الذي يضعه كل باحث نصب عينيه وهو الحفاظ على سرية المعلومات التي يحصل عليها واستخدامها إلا لأغراض البحث بطريقة لا يفشي فيها أسرار الناس ولا تثير المشاكل في حياة المبحوثين أو الإخباريين أو كل من له علاقة بالبحث.

واحتوى دليل المقابلة فيما يأتي معلومات أولية خاصة بالمبحوثات والمبحوثين وبعض المتغيرات المتعلقة بهم. ثم تأتي ثلاث محاور تقابل الفصول على التوالي وقد ضمناها مجموعة من الأسئلة تصب كلها في موضوع البحث باعتباره عملا ميدانيا خالصا نستدعي

¹ - فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي لشنواني، مرجع سبق ذكره، ص 191.

فيه التراث النظري من حين لآخر، وقد احتوى الدليل على 35 سؤالاً كما هو مبين في الملحق رقم (01).

3.3.2.1- الإخباريون

لقد اعتمدت البحوث الأنثروبولوجية الميدانية على طرق مهمة للحصول على المعلومات من مجتمع البحث، والتي اتخذتها ركيزة لتحليلاتها، من هذه الطرق الطريقة التي تعتمد على من يأتون بالأخبار من كبار السن والعارفين بالعادات والتقاليد السائدة في مجتمع الدراسة وهم من يطلق عليهم "الإخباريين"، وعلى الباحث الأنثروبولوجي أن يختار الإخباريين ممن يتوقع أن يكونوا على دراية ومعرفة جيدة بمجتمع البحث، ولهم خبرات واسعة حول موضوع البحث. ولا شك أن التركيز على عدد محدود من الأشخاص الذين يعتمد عليهم في جمع المادة العلمية يعتمد على ثقة الباحث في صدق وخبرة هؤلاء الأشخاص.¹ لأنه من غير الممكن أن يحمل شخص واحد من أفراد المجتمع المحلي كل ثقافة وتراث مجتمعه. ولعلنا لا نجد بالنسبة لهذه النقطة أبلغ ولا أوضح مما قاله رالف لنتون Ralph Linton: "... لا يمكن لأي فرد أن يلم بالمجموع الكلي لمحتوى ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه". حتى في أبسط أشكال الثقافات نجد أن المحتوى الثقافي أغنى من أن يستطيع عقل واحد بمفرده أن يستوعبه كاملاً و أن النماذج المتعلقة بتجزئة النشاطات والتخصص فيها تمكن الفرد من أداء وظيفته أداء ناجحاً دون أن يلم الماما كاملاً بمحتوى الثقافة"²، وهذا شيء عادي لأنه من المتوقع أن يقدم الإخباريين معلومات غير متطابقة هنا تكمن مهمة الباحث للكشف والتعرف على الأسباب الكامنة و وراء تلك التفاوتات الثقافية أو الدينية أو الاجتماعية وليس الوصول إلى الإجابات الدقيقة والروايات المتطابقة. بهذا الخصوص اعتمدنا على بعض الإخباريين خاصة كبار السن من رجال ونساء الذين عايشوا عادات وطقوس الزواج في مختلف مراحل حياتهم. فالباحث في دراسته لموضوعات خاصة بثقافة المجتمع يحتاج إلى اختيار إخباريين ذوي خصائص معينة وذلك من حيث أعمارهم وأدوارهم ومراكزهم المهنية ويمثل كبار السن من رجال ونساء أفضل الإخباريين للإجابة على الأسئلة

¹ - محمد عبده محبوب، طرق ومناهج البحث السوسيو أنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005، ص 56.

² - محمد الجوهري و عبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، د.غ.م، القاهرة، ط 5، 2008، ص 310.

التي تتعلق بالتراث الثقافي¹ فوق اختيارنا على خمس مخبرين حيث زدونا برصيد معرفي ثري حول ماضي وحاضر الكثير من العادات والطقوس الفردية والجماعية منها، لأن مكانتهم الاجتماعية المعتبرة في المجتمع منحتم المشاركة والقيام بالعديد من الطقوس والمشاركة في مختلف مراحل العرس. كما سمحت لنا هذه التقنية بمعرفة بعض العادات والطقوس التي لم نتح لنا الفرصة لمعايشتها أو المشاركة فيها، إما لتعذر الدخول والتعمق في بعض الفضاءات كالفضاءات الرجالية الخاصة " كحمام العريس " أو عند الرجوع والبحث في ماضي وأبعاد هذه العادات والطقوس.

4.3.2.1- التصوير الفوتوغرافي

إلى جانب التقنيات السالفة الذكر استخدمنا تقنية التصوير الفوتوغرافي الذي يعد أداة مهمة لتوثيق بعض المعلومات التي لا يستطيع الباحث استرجاعها بكل تفاصيلها. وتعد الصورة بنوعها الثابتة والمتحركة من أهم أدوات استرجاع وتوثيق التفاصيل الدقيقة عن حادثة ما. وتسمح الصورة بحفظ الملاحظة حيث يشكل مجموع الإشارات المرئية والسمعية لمقطع مصور مجموعة معلومات يصعب تدوينها خطياً: موقعها في الفضاء، الحركات، اللمس، الإيمائية، الخ²، بالنسبة لنا ساعدتنا الصور الملتقطة في إعادة إنتاج مواقف معينة دقيقة وأحداث وترتيبات أخذت حيزاً زمنياً طويلاً، وصورت لنا بدقة بعض العادات والطقوس المعقدة والسرية أحياناً إذ اقتحمت آلة تصويرنا بعض الفضاءات الممنوع الدخول إليها مثل غرفة العروسين. فكانت تلك الصور بمثابة تكملة لما لاحظناه بأعيننا، وقد اكتشفنا خلال بعض الصور الملتقطة بعض الأمور الخفية والمهمشة التي لا يلقي لها أحد بالاً حتى الباحث لصعوبة إدراكها بالعين البشرية. كما اعتمدنا على هذه التقنية وعولنا عليها كثيراً في بعض المواقف والفضاءات التي كان من الصعب بل المستحيل التقرب منها كثيراً كالشارع الذي كان فضاء لبعض الممارسات الاحتفالية كضرب البارود وموكب العروس. تركزت أهمية هذه التقنية أيضاً في التقاط صور تتعلق بالثقافة المادية كالملابس، الحلي، الأطعمة، فضاءات الاحتفالات وغيرها.

¹ محمد سعدي، البحث الميداني في العلوم الاجتماعية- مفهومه وأسس المعرفة والثقافية والتقنية، د.غ.م، ط2، 2011، ص 41.

² جان كويان، المسح الإثنولوجي الميداني، ترجمة: جهيدة لاوند، معهد الدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2006، ص 129.

يذكر محمد الجوهري وعبد الله الخريجي انه من الضروري أن نزاوج بين الصورة الفوتوغرافية والكلمة المكتوبة عندما يتعلق الأمر بجمع الثقافة المادية¹ غير انه مهما بلغت دقة الملاحظة وبلاغة التعبير لا يمكن أن ينقل الباحث الصورة الحقيقية للقارئ، لذا وجب حضور الصورة وضرورة التعليق عليها.

3.1- فضاءات البحث

1.3.1- الفضاء البشري

تعد الدراسة الميدانية أو الحقلية وسيلة هامة لجمع المعلومات عن واقع ما وهي من خصوصيات الدراسات الأنثروبولوجية. والمجتمع المقصود بالبحث هو مجتمع مدينة الشريعة وقد تم اختيار هذا المجتمع لاعتبارات عدة، أولها انتماءنا لهذا المجتمع مما سهل علينا التواصل مع أفراد معرفتنا بعاداتهم وتقاليدهم وأسلوب الحوار معهم وما هو مسموح وما هو مفروض لديهم، وكذا الاشتراك في نفس اللهجة وهذا ما سهل التعرف على بعض المفردات الغير متداولة في مناطق أخرى هذا من جهة .

من جهة أخرى صفة بساطة هذا المجتمع مقارنة بمجتمعات أخرى قطعت أشواطاً كبيرة في التمدن، حيث أنه مازال يحافظ على الكثير من سمات المجتمعات البسيطة التي لم تتدنر فيها بعض الممارسات الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد وهذا ما سمح بتوفير ميدان خصب وثري.

يعد بحثنا من البحوث النوعية الكيفية التي تضع في المركز الأول منطق الفهم العميق للمعاني التي يضيفها الأفراد على أوضاعهم، وبالتالي فنحن لا نهدف إلى صياغة تعميمات. ويخضع اختيار وتحديد حجم العينة في البحوث الكيفية إلى موجهين أساسيين. يتمثل الموجه الأول والأساسي حسب موريس أنجرس في التحديد الدقيق لمشكلة البحث، والموجه الثاني لتحديد حجم العينة يقوم على مبدأ التشبع بالمصادر².

لذا فكثيراً ما يهتم الباحثون الكيفيون بإختيار العينات العمدية معتمدين على نوع الإشكال المطروح وطريقة معالجته. وقد أشار Patton إلى اختيار العينات العمدية التي

¹ - محمد الجوهري و عبد الله الخريجي، مرجع ساق ذكره، ص 317.

² - موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 319.

يمكن استخدامها في أي دراسة كيفية معينة¹، فالباحث في مثل هاته البحوث الكيفية وفي حالة اختياره للعينة العمدية" لا يهدف إلى عينة تكون ممثلة للجمهور الكبير"²

تعد الباحثة جانيس مورس Janice Morce باحثة كيفية متميزة لها نظرة ثاقبة في اختيار العينة في البحوث النوعية إذ تقول: " اختر عينة متماسكة، كلما زاد تماسك العينة، وصلنا إلى لحظة التشبع بصورة أسره (...). يتضمن هذا الإجراء استعمال عينة متماسكة ثقافيا (أي مكونة من أفراد لهم ثقافة واحدة)، وعينة يشترك أفرادها - بأقل قدر ممكن من الاختلاف- في الخصائص التي تحدد موضوع البحث"³، أي أن الباحث النوعي في بحثه الميداني يحاول اختيار أولئك الذي يشتركون في معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وهذا متاح لنا لأن مجتمع بحثنا يشكل مجتمع متجانس في ثقافته.

ولأن مقابلات البحث الميداني تتطلب أوقات طويلة فإن تقنية المقابلة بالنسبة للبحث النوعي " تؤدي بصفة عامة إلى القيام بمعاينة غير احتمالية "⁴، ومنها العينة العمدية التي قمنا باستخدامها والتي لا نسعى من خلالها إلى تعميم النتائج، لأننا في موضوعنا عادات وطقوس الزواج نهدف إلى البحث عن المعاني والدلالات الرمزية والوظائف المختلفة لهذه العادات والطقوس في مجتمع محلي نو حدود معينة لا تتسم بالشساعة، واستجابة لنوع الموضوع الذي يخص الجنسين لأن العادات والطقوس الممارسة في الزواج منها ما يخص الرجل ومنه ما يخص المرأة ومنها ما تقوم به المرأة ومنها ما يقوم به الرجل، فقد تنوع المبحوثين والإخباريين بين الذكور والإناث إنطلاقا من السن التي تسمح بالزواج فما فوق، لأن الأفراد يصبحون واعين بتلك العادات والطقوس بشكل واضح حينما تطبق عليهم ويقومون بها في زواجهم ثم يدركون أبعادها ومراميها ومعانيها شيئا فشيئا بتقدمهم في العمر لاكتسابهم الخبرة.

من هنا كانت المعلومات التي تحصلنا عليها ثرية مدعمة من الجهتين. وهو نفس الشيء بالنسبة للإخباريين حيث ركزنا في اختيارهم على تقدمهم في السن لإعطائنا صورة واضحة عما كان يمارس من عادات وطقوس في الماضي فكلما كان الرجوع أبعد إلى

¹ شارلين هس بيهو وباتريشيا ليفي، مرجع سبق ذكره، ص 139.

² المرجع نفسه، ص 125.

³ المرجع نفسه، ص 144.

⁴ موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 222.

الماضي أمكننا معرفة بعض الكوامن والدلالات والقيم المضمرة أو المتضمنة في تلك العادات والطقوس أما بالنسبة لعدد المبحوثات و المبحوثين فلم يكن متساويا لأن أغلبية العادات والطقوس الممارسة في الزواج تخص المرأة وهي التي تشرف على القيام بها وعلى ممارستها، وهو نفس الشيء بالنسبة للإخباريين. أما بالنسبة لعددهم الإجمالي للمبحوثات والمبحوثين فقد اكتفينا عندما وصلنا إلى نقطة التشبع حيث باتت المعلومات متكررة ومتشابهة إلى حد التطابق ولا تضيف جديداً لبحثنا. وفي رأي موريس أنجرس أننا نصدر هذا الحكم" عندما ندرك في لحظة معينة أننا نستطيع أن نتوقع ما نسمعه أو نلاحظه أو نسجله، انطلاقاً مما رأيناه، سمعناه أو سجلناه. لذلك ينبغي علينا التوقف عن زيادة حجم العينة وعن جمع المعطيات"¹.

والجدير بالذكر أننا نوعنا مقابلاتنا حول الطقوس والعادات الممارسة حسب مراحل الزواج المختلفة من خطبة وزفاف وكل المراحل السابقة عنهما واللاحقة لهما.

2.3.1 - الفضاء المكاني

يمثل الفضاء المكاني المحيط الجغرافي الذي تتم فيه الدراسة، ومن مبادئ الدراسات الأنثروبولوجية أن تجري في المجتمعات المحلية الصغيرة المحدودة لتسهيل تحديد معالمه وكشف ترابط نظمه المختلفة والوعي بالعلاقات القائمة والمتبادلة بين أفرادها ومدى تأثيرها على البناء الاجتماعي بأكمله. ويتمثل الفضاء المكاني في هذا البحث المجال الجغرافي لمدينة الشريعة وهي إحدى بلديات ولاية تبسة. وعملنا في دراستنا هذه ضمن حدود المدينة ولم نتجاوزها، هذا من أجل الوفاء بالآجال الزمنية للبحث، وحتى تكون متطلباته المادية والمعرفية ومستلزماته وضروراته الميدانية في متناول الباحث وتحت سيطرته.

3.3.1 - الفضاء الزمني

يمثل الفضاء الزمني الوقت الذي استغرقه هذا البحث منذ بدايته إلى نهايته وقد امتد إطاره الزمني من 2013 إلى غاية 2017 بدءاً بالبحث البيليوغرافي ثم الدراسة الاستطلاعية ثم الدراسة الميدانية إلى غاية إنجاز المذكرة وكتابتها. وباعتبارنا فاعلين ننتمي إلى مكان ومجتمع الدراسة فقد ساعدنا ذلك على الإحاطة بكل حيثيات الموضوع وتفاصيله، حيث تأتي

¹ - موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 319.

ذلك من خلال الاحتكاك الدائم والمباشر بمجتمع الدراسة من أسر أقارب، جيران، أصدقاء ومعارف أقامت حفلات خطوبة وعقد قران وزفاف لأبنائها.

لذا كان اختيارنا لهذا الموضوع مؤسس على معرفة سابقة وقاعدة ملاحظات خاصة

بمجتمع البحث. فكان هذا حافزا للبدء بالخطوة الأولى المتمثلة في الإعداد البليوغرافي، حيث قمنا بمطالعة كل ما له صلة بموضوعنا من قريب أو من بعيد وكل ما وقع تحت أيدينا. وبمجرد موافقة اللجنة العلمية على موضوعنا أصبحت عملية البحث مكثفة ثم تميزت بالانتقيب والتمحيص لكل ما له علاقة مباشرة بالموضوع ، بالموازاة مع ذلك كانت الدراسة الاستطلاعية التي كانت ترمي إلى الضبط النهائي للإشكالية وطرح تساؤلات الدراسة بصفة أدق ووضع خطة أولية من أجل متابعة البحث والبدء في العمل الميداني المكثف الذي استغرق جهدا مضاعفا ووقتا طويلا.

2- الإطار المفاهيمي

1.2- المفاهيم الأساسية

1.1.2- العادات: Les Coutumes

يتبع الناس مجموعة من السلوكات ويخضعون لها خضوعا آليا دون أي سلطة ملزمة تسهر على تنفيذها، تتمثل هذه السلوكات الملزمة في ما يطلق عليه "العادات" ويقابلها في الانجليزية customs وفي الفرنسية coutumes إذ أن لفظة custom تشير إلى الأساليب المعترف بها للتفكير والعمل.¹ والعادة مصدرها التعود والاعتیاد والتقليد، فالعادة تقليد يكتسب اجتماعيا، يتحقق اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا. والعادة هي ما يجري في مجتمع معين، استنادا إلى منظومة قيمية، ضمنية نسبيا. تخالف الدأب أو الاحتذاء الفردي بكونها سلوكا جماعيا، إجتماعيا. يصعب تمييزها من التراث المتعين في فكر قيمي. إلا أنها تعتبر من مقومات التراث، من موروثات المجتمع وأوليياته المتوارثة اجتماعيا.²

يعد مصطلح "العادة" من المفاهيم الرئيسية والمحورية في الدراسات الإثنولوجية أو دراسات الحياة الشعبية، لذلك نجد جدالا قائما حول أهميتها يتضح هذا الأمر من خلال الدراسات ذات المدى الواسع التي قدمت الكثير من التعريفات لمصطلح "العادة" ونورد فيما

¹ - عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998-1999، ص 150.

² - خليل أحمد خليل، معجم مفاتيح العلوم الانسانية، دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت، 1989، ص 274.

يلي مجموعة من تلك التعريفات لبعض علماء الأنثروبولوجيا والمهتمين بالفلكور والحياة الشعبية.

يقول مالمينوفسكي: "إن العادة هي أسلوب مقنن من أساليب السلوك يتم فرضه تقليدياً على أفراد المجتمع المحلي" ¹ هنا إشارة وتخصيص للمجتمع المحلي بعينه. ويقول سابير Sapir: "تستخدم كلمة عادة للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي يحملها التراث وتعيش في الجماعة. وذلك على خلاف أوجه النشاط الشخصي للفرد التي تتصف بمزيد من العشوائية." ² أما في هذا التعريف فهناك إشارة إلى أهمية التراث لدى الجماعة بمعنى أن العادات تكمن في تلك السلوكيات التي لا تأتي عبثاً أو عشوائياً، والتي تخص جماعة من الأفراد أو الأشخاص وهو ما يطلق عليها أحياناً العادات الاجتماعية وهذا ما يؤيده التعريف التالي القائل بأن: "العادة الاجتماعية تعني " التراث الثقافي وأشكال السلوك المعتادة داخل جماعة اجتماعية معينة" ³ ويؤكد علماء الإثنولوجيا المحدثين أمثال جايجر Geiger وقايس Weiss وفيكمان Wickmann على أهمية عوامل التراث في تكوين وترسيخ العادات حيث نجد جايجر يعرف العادة بأنها "أسلوب في السلوك يعده الناس- من خلال التراث في المجتمع المحلي- صحيحاً أو ملزماً" ⁴ وهذا ما أكد عليه ريل Riehl حيث أوضح أن السلوك يتحول إلى عادات عندما تنمو وتتوسع وتستمر عبر الأجيال وتصبح ملزمة للأفراد، هذا ما يؤكد ويؤيده التعريف الموالي الذي مفاده أن العادات هي " أنماط للسلوك الجمعي التي تنتقل من جيل إلى جيل وتستمر فترة طويلة حتى تثبت وتستقر وتصل إلى درجة إعراف الأجيال المتعاقبة بها وفي بعض الأحيان نجد أن العادة تقوم مقام القانون في المجتمع" ⁵. في هذا التعريف إعراف صريح بأن العادة تمارس ضغطاً على الناس للإمتثال لها و كأنها القانون لكنهما يختلفان في نوع الجزاء. في هذا الشأن يرى راد كليف براون أن العادة والقانون كل منهما يعد معياراً، لكن يختلفان في نوع الجزاء المرتبط بهذا المعيار، فالعادة تفرض بواسطة

¹ - إيكه هولتكرانس، مرجع سبق ذكره، ص 247.

² - المرجع نفسه، ص 247.

³ - شارلوت سيمور-سميث، موسوعة علم الإنسان -المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة علياء شكري وآخرون، المركز القومي للترجمة، ط 2، 2009، ص 385.

⁴ - إيكه هولتكرانس، مرجع سبق ذكره، ص 248.

⁵ - أحمد زكي بنوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة،

1986، ص 94.

عدم الرضا الاجتماعي عن خرقها أو مخالفتها، أما القانون فيفرض عن طريق القسر الاجتماعي الذي ينتج عن خرق عرف الكثير من الدارسين العادة كقوة معيارية و ظاهرة تتطلب الإمتثال الاجتماعي كما أنها ترتبط بمفهوم آخر هو التراث التاريخي. ويميز فيكمان العادة عن التقليد إذ يقول: " أن العادة اجتماعية ذات طبيعة معيارية تستمد سلطتها رأسياً (أي تاريخياً) وأفقياً (أي اجتماعياً)".¹ ويقول تولس Thouless إن: " العادات ...متطلبات سلوكية تعيش على ميل الفرد لأن يمتثل لأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة، وكذلك على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها."² كما تعرف العادات على أنها " قاعدة للسلوك الاجتماعي، تشير الى تصرفات الناس التي تعودوا عليها والتي تعد كجزء هام من دستور الأمة، وهي مدونة في صدور أفرادها، وتتمثل في اللغة والأنماط الرمزية الأخرى التي تعبر عن أفكار الفرد ومعتقداته وأنواع السلوك كآداب المائدة الأزياء والكلام وطرق التحية والاستقبال...."³ وتصنف العادات إلى أربعة أنواع، ذلك حسب ما تؤديه أو ترمي إليه في كل مجتمع ويمكن هنا التحدث عن أربعة أنواع هي:

- عادات خاصة ببعض المناسبات الاجتماعية⁴ وتظهر في مناسبات معينة مثل عادات الاحتفال بالزواج والخطوبة والعادات الخاصة بالولادة.
- عادات سليمة ومفيدة⁵ وهي تلك التي ترمي إلى سلامة المجتمع وسعادة أفرادها فهي تسهل إشباع حاجاتهم وتحقق رغباتهم وتمثل حاضر وماضي ذلك المجتمع، وهي عادات شائعة وتجد احتراماً لها وهي حاضرة حتى في روتين حياتنا اليومية مثل طرق استقبال الضيوف والترحيب بهم وطرق تقديم الأكل وغيرها.

¹ - إيكه هولتكرانس، مرجع سبق ذكره، ص 248.

² - المرجع نفسه، ص 248

³ - محمد بعلي، الاتصال الأسري و متغيرات المجتمع المعلوماتي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2013- 2014، ص 84.

⁴ - فادية عمر الجولاني، اتجاهات الأسرة العربية نحو عادات الزواج، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2004، ص 33.

⁵ - فادية عمر الجولاني، مرجع سبق ذكره، ص 33.

• عادات دورية¹ لأنها تتردد في أوقات معينة فإذا حان وقتها سادت بين الناس وانتشرت وهي تلك العادات التي نجدها في الأعياد والاحتفال بالموالد الدينية كعاشوراء ومحرم وموالد الأنبياء.

• عادات ضارة وشاذة² وهي تلك العادات التي يأخذ بها بعض أفراد المجتمع وهي غير نافعة تعود على صاحبها بأنه خارج عن الاجتماع ومثل هذه العادات الإدمان على الخمر وتعاطي المخدرات.

وتتميز العادات بصفات وخصائص وهي :

• تلقائية: أي أنها تنشأ في المجتمع من خلال عيش الناس مع بعضهم البعض فهي مستمدة من الماضي وتسير حياتهم في الحاضر. فهي " توجد بناء عن غريزة اجتماعية هي الوراثة الاجتماعية وهي حالة فطرية من حالات المجتمع الانساني"³ في أي زمان وفي أي مكان وهي سلطة في حد ذاتها لأنها تمثل إرادة الناس.

• غير مكتوبة: أي أنها متوارثة ومحفوظة وتتردد تقريبا بنفس الطريقة رغم تطورها البطيء جدا بحكم بعض العادات الفردية ورغم هذا تبدو في عمومها ثابتة وصعبة التجدد.

• ملزمة: أي لها سلطتها على الأفراد فكل واحد يشعر أنه مضطر للإذعان لها لما لها من " القداسة في نفوسهم لأنها تمثل قوة يصفها (باكون Bacon) بأنها المدبر الأساسي لحياة الناس."⁴

ويقول عنها (لوك Locke) بأنها " قوة أعظم من الطبيعة..."⁵

• مرغوب فيها: نجد أن العادات تجتذب الناس إليها لأنها تسهل وتحدد منطقتين للأفراد والتعامل مع بعضهم البعض.

• تتعلق بالأفعال والأعمال ولا تتعلق بالمعتقدات.

• تتميز العادات بصفة القدم بمعنى أنها ضاربة بجذورها في الماضي وهذا ما يعطيه احترامها.

1- فادية عمر الجولاني المرجع السابق، ص 33.

2- المرجع نفسه ، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 34.

4- فادية عمر الجولاني، مرجع سبق ذكره، ص 34.

5- المرجع نفسه، ص 34.

• تتصف بالعمومية لأنها تتعلق بكل أفراد المجتمع ولا تقتصر على طبقات أو بيئات معينة بل هي عامة عند كل أفراد المجتمع الواحد.

من خلال كل ما تقدم من مفاهيم وخصائص للعادات نقدم المفهوم الإجرائي التالي:
العادات هي سلوكيات يتبعها أفراد المجتمع الواحد ويخضعون لها خضوعاً آلي دون سلطة ملزمة تسهر على تنفيذها.

2.1.2- الطقوس: Les Rites

لقد تناول مصطلح الطقس الكثير من العلوم والتخصصات، وهو من المواضيع الهامة في العلوم الاجتماعية فالدراسات المهمة بالطقوس التي تعود مجملها الى علوم مختلفة مثل الأنثروبولوجيا الدينية أو علم الاجتماع أو علم النفس تقدم تعريفات متقاربة للطقس إذ يختلف في مفهومه واستخداماته باختلاف المقاربات والاختصاصات العلمية لكن تشترك في الخطوط الخطوط الكبرى، وفي ما يلي عرض لبعض تعريفات للطقس.

لم ترد كلمة طقس في المعاجم العربية القديمة ولا في النصوص الدينية "القرآن والسنة"، ولم يذكرها ابن منظور في لسان العرب، ولم يهتم بها الزبيدي في تاج العروس. ووردت كلمة طقس في القرآن كما في هذه المعاجم بألفاظ قريبة منها مثل الشعائر والمناسك.

أما في اللغتين الفرنسية والانجليزية فكلمة طقس تقابل " Rite " وتعني عادات مجتمع معين وتقاليد كما تدل " على كل الإحتفالات المرتبطة بمعتقدات متصلة بالموثري أكثر من دلالاتها على مجرد عادات اجتماعية وهي أنماط من العمل المتكرر في نوع من الثبات¹ وهناك مصطلحات تقترب من الطقس مثل مصطلح " fête " وتعني عيد ومصطلح " cérémonie " الذي يعود أصله أو يشير الى طقوس مدنية عامة فهي ذات أصل دنيوي، أما rituel تتطوي كلها تحت المجال الديني، أي الممارسات ذات الصبغة الدينية²
إن كلمة طقس تشتق من الكلمة اللاتينية Ritus، وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين كما تهني كل أنواع الإحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار

¹ -ثياقة لصديق، المقدس والقبيلة- الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري- زيارة الرقاني نموذجاً، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص ص 87- 88.

² - المرجع نفسه، ص 88.

التجريبي¹. وجاء في معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا أن "الطقس يندرج في الحياة الاجتماعية بعودة الظروف التي تستدعي إعادة القيام به.² ومن هذه الظروف والمناسبات الزواج، الميلاد والوفاة على سبيل الذكر لا الحصر. ويتفق الأنثروبولوجيون بصفة عامة على أن "الطقوس أفعال متكررة محددة وقد يتفاوت التحديد من الاشتراط الدقيق لصورة الفعل وتتابعه الى طلب اختيار الفعل من نطاق محدود من الأفعال."³ إذا يعبر الطقس عن استمرارية الأحداث وتكريس ديمومتها من خلال ممارساته سواء عن طريق الأفراد أو الجماعات .

يعرف علماء الأنثروبولوجيا الطقوس بأنها مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي أو الجماعة للقيام بها⁴.

ويقوم الطقس على مبدئين أساسيين وهما المرجعية الدينية الماورائية ومبدأ التكرار والثبات هذا ما يؤيده كازونوف J.Cazenneuv بقوله الطقس " هو كل عمل يمكن أن يكون جماعيا أو فرديا، ولكنه يظل دائما وفيا لعدد من القواعد التي تكون تحديدا ما يتضمنه من نظام طقسي"⁵.

من هنا نجد أن النظام الطقسي يعتمد بالدرجة الأولى على المعتقد ثم التكرار والثبات اللذان يضمنان فعالية الطقس. ويؤكد علماء الاجتماع على صفة التكرار لأنها الصفة الأولية التي يضطلع بها الطقس وهي "وظيفة الاسترجاع الجماعية المستنكر لأصول الأسطورة والدين"⁶. أي أن للأسطورة علاقة بالطقس. بالنسبة لهذه النقطة نجد فراس السواح يؤكد هذه العلاقة ويذهب الى أن العروة الوثقى التي تجمع الطقس بالأسطورة جعل الباحثين يتأملون في طبيعة الصلة بين الاثنين وأصلها ويتساءل ما إذا كانت الأسطورة تنشأ من الطقس أو أن الطقس ينشأ عن الأسطورة أم أنهما تباديان مختلفان لظاهرة واحدة.

¹ - نور الدين طولبي، الدين و الطقوس والتغيرات، ترجمة: وجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1988. ص 34.

² - بيار بونت و ميشال ايزار، مرجع سبق ذكره، ص 631.

³ - عبد الهادي الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 146.

⁴ - Martine Segalen, Rites et Rituels Contemporains, Edition Nathan, Paris, 1998, p 08.

⁵ - ثياقة الصديق، مرجع سبق ذكره، ص 88.

⁶ - المرجع نفسه، ص 89.

في هذا الشأن ظهرت نظرية الأصل الطقسي للأسطورة والتي ساهم في صياغتها باحثين متأثرين بمعطيات الأنثروبولوجيا، وملخص هذه النظرية هو أن الأسطورة ناتج عن نواتج الطقس الأسبق عليها في تاريخ الدين. فالطقوس المؤسسة منذ زمن مغرق في القدم تفقد بمرور الأيام معناها وغاياتها وتتحول إلى إجراءات غامضة لا يعرف الممارسون والقيمون عليها مدلولاتها ومضامينها، وهنا تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، وتقدم تبريرا مقنعا لتلك الإجراءات التي تتناقلها الأجيال¹، من هنا يتجلى لنا وبوضوح تحيين الأساطير في الطقوس، بمعنى آخر أن الطقس يميل الى التكرار وتكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده فهو إذن " إعادة خلق وتحيين لماض غامض غالبا، لكنه يأخذ معناه عند اللذين يستخدمونه على أنه فعل ديني.²

من خلال هذا القول يبدو أن التكرار هو أساس الفعل الطقسي سواء كان السلوك الطقسي فردي أو جماعي، كما نفهم أن فعالية الطقس تندرج في سياق خارج الإطار التجريبي وهذا ما ذهب إليه لينهارد الذي حدد الطقس بأنه " وسيلة في التعبير من أجل الانخراط في عالم خارج الإطار التجريبي.³ ويرى فان در لو Van Der Lew أن الطقوس هي أولا إحياء وتحيين لتجربة مقدسة من الطقوس، كما يقول: "... هي أساطير تتحرك (لأن) الأسطورة هي مؤسسة الفعل المقدس، فهي تسبقه وتضمن بقاءه والقيام بأي عمل هو تجديد للتجربة الأولى"⁴ بمعنى أن الطقس تجربة تكرارية للأسطورة ومنه ضمان الشرعية الاجتماعية للطقوس.

3.1.2- الزواج: Le Mariage

ليس هناك تعريف شامل جامع لكل أنماط الزواج الإنسان، لأن الزواج نظام اجتماعي قد يكون له معاني مختلفة للغاية باختلاف الثقافات ومع ذلك يمكن تعريف الزواج تعريفا واسعا على أنه علاقة جنسية تفرض عليها جزاءات اجتماعية. وتتكون بين فردين أو أكثر من الجنسين، ومن المتوقع استمرارها عبر الزمان من أجل الحمل وإنجاب الأطفال، وقد تتضمن الجزاءات الاجتماعية في معظم الثقافات وجود العلاقات الثابتة المستقرة ومعنى ذلك

¹ -ثياقة الصديق، مرجع سبق ذكره، ص 91.

² - نور الدين طوالي، مرجع سبق ذكره، ص 34.

³ - المرجع نفسه، ص 35.

⁴ - المرجع نفسه، ص 35.

أن الزواج ليس هو الحياة الجنسية كما أنه يستبعد العلاقات مع الساقطات أو الداعرات أو أية علاقة جنسية أخرى لا يوافق عليها العرف أو القانون أو الدين.¹ لكن إذا نظرنا إلى الزواج من الناحية الاجتماعية تجد عناصر أخرى الى جانب أفكار الجنس والأبوة، إذ يحظى الزواج بطابع الموافقة الاجتماعي كذلك عندما يتم الزواج يصبح عقدا قانونيا لأنه يحدد العلاقة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأطفال كما يجب أن يتم على المأ وبطريقة تتسم بالرزانة و الوفاق قد يكون أحيانا سرا مقدسا وينال في هذه الحالة البركة الدينية وقد يكون في أحيان أخرى ومن ثم يجب في هذه الحالة أن ينال العناية أو الرعاية الطبية من السحر.²

يختلف مفهوم الزواج اختلافا كبيرا بين المجتمعات الإنسانية وحسب الثقافة السائدة في كل مجتمع، فهو ظاهرة معقدة ومتشابكة تستمد خصائصها وميزاتها من عادات وتقاليد تلك المجتمعات، هذا ما يؤكد تعريف عدنان أحمد مسلم إذ يقول أن "...الزواج ظاهرة اجتماعية معقدة، ويرجع ذلك إلى اختلاف صورته وعناصره ونظمه، بدرجة واضحة تصل الى درجة التناقض.³ إذ أنه يعد من أهم المظاهر الاجتماعية التي تؤثر بشكل مباشر في بناء الحياة في أي مجتمع، وهو من الممارسات الأكثر عرضة لسيطرة التقاليد والطقوس، ما يجعله يخضع لمجموعة من الممارسات الطقسية التي لا يتجرأ أحد على مخالفتها فهي تتجاوز إرادة الأفراد. ويتخذ هذا الزواج أبعاده الثقافية والرمزية في مجتمعاتنا العربية.

كما يعد الزواج مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد خلال حياته، أي أنه مرحلة انتقالية، وتعبير فان جنب فان الزواج شعيرة من شعائر المرور التي يتحتم على الأفراد فيها تحمل أعباء ومسؤوليات عديدة وجديدة وفقا للمكانة الاجتماعية الجديدة التي أصبح الأفراد يمتلكونها، ويدعم هذا الرأي تعريف ميشيل مان في موسوعة العلوم الاجتماعية إذ يقول بأنه: "أولا "طقس عبور" Rite de passage يقوم فيه رجل وامرأة، ليس لهما صلة ببعضهما بمغادرة أسرتهما الأصليتين family والبدء في تكوين أسرتهما الخاصة الناسلة. وهو ثانيا: علاقة يكون من المتوقع الى ما بعد الفترة الزمنية الضرورية للإنجاب، بجانب هذا يعتبر

¹ - عبد الهادي الجوهري، مرجع سبق ذكره، ص 113.

² -، المرجع نفسه، ص 114.

³ - رايح درواش، علم اجتماع العائلة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011، ص 16.

الزواج أيضا بمثابة عقد قانوني¹، والزواج من حيث شكله العام هو اقتران الرجل بالمرأة من أجل النسل، هذا ما يؤكد معجم علم الاجتماع المعاصر لمعن خليل العمر إذ يقول: "الزواج ظاهرة ثقافية تؤكد مشروعية الذرية والتناسل".² ويجمع المختصون في العلوم الإنسانية على أن الزواج هو "اتحاد بين رجل وامرأة يمثل نمط حياة أغلبية سكان العالم"³، لكن يكون هذا الاتحاد والاجتماع بين المرأة والرجل وفق ضوابط ومراسيم تختلف حسب المجتمعات والثقافات.

وتقول سناء الخولي في كتابها "الزواج والعلاقات الأسرية" أن هناك معايير تفسر الزواج وهو حسب المعيار الإجتماعي التقليدي "ظاهرة مقدسة sacred phenomenon أو نظام الهي مقدس خلقه الله وأكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية⁴. نفهم من هذا التعريف أن تطلعات ورغبات الفرد تكون في المرتبة الثانية بعد تحقيق متطلبات الأسرة وتنفيذ الأوامر الإلهية.

أخيرا يعرف قاموس علم الاجتماع الزواج بصفة عامة على أنه "علاقة جنسية مقررة إجتماعيا بين شخصين أو أكثر ينتميان الى جنسين مختلفين، ويتوقع أن تستمر لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية حمل وإنجاب الأطفال..."⁵، إذا الزواج هو نظام اجتماعي يخضع للمعايير الاجتماعية ويتميز بالاستمرارية والدوام وإنجاب الأطفال، وهو رابطة ووسيلة ثقافية مهمة تتميز بالاستمرارية و تضمن بقاء الجماعات الانسانية ولا يمكن لأي من الطرفين العبث بها أو حلها بسهولة تبعا لرغباتهم أو مصالحهم لأن هذه الرابطة لا تعني فقط الزوجين بل تتجاوزهما الى إقامة أواصر دائمة بين الأسرتين المتصاهرتين في أغلب المجتمعات البشرية، لكنه يختلف في طقوسه وعاداته من مجتمع الى آخر، فما يستحب القيام به في مجتمع ما، يكون مكروها أو منبوذا في مجتمع آخر.

¹ ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل مختار الهواري و سعد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1999، ص ص 415-416.

²معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 1، الإصدار الثاني، 2006، ص 288.

³ هادية العبود البهلول، الاختيار للزواج مقاييسه و استراتيجياته، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2010، ص 16.

⁴ سناء الخولي، الزواج و العلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، الإسكندرية، 1983، ص ص 56-57.

⁵ محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2006، ص 256.

4.1.2- المجتمع المحلي: Communauté

يشوب هذا المصطلح "المجتمع المحلي" غموض خاصة في الوقت الحالي، وهو في أبسط معانيه يشير إلى "مجموعة أفراد يقطنون في منطقة جغرافية معلومة الأبعاد".¹ يركز هذا التعريف على البعد الجغرافي، لكن نجد أن مفهوم المجتمع المحلي أستخدم في القرن التاسع عشر للمقارنة بين المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية في إطار المقارنات الثنائية التي استخدمها علماء الاجتماع، سواء كان ذلك بشكل ضمني أو صريح، من أمثال هؤلاء فرديناند تونير Ferdinand Toner الذي ميز بين المجتمع المحلي والمجتمع العام فوصف الأول على أنه "نوع معين يتشابه مع المجتمع الريفي من حيث الرباط الدموي والإحساس بالانتماء وكبح الذات الفردية".² لكن باتت هذه التصنيفات غير مأخوذ بها لأن هناك تواصل للريف مع الحضر، كما ذهب آخرون إلى أن مفهوم المجتمع المحلي يشير إلى نوع البناء الاجتماعي فيطرحون هذا التعريف الذي مفاده أن المجتمع المحلي "هو مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تقع كلها، أو معظمها، في إطار حدود مساحة من الأرض المحلية".³ وهو تعريف يتوافق مع رؤية وينك wink للبناء الاجتماعي باعتباره نسيج من العلاقات التي تربط أفراد مجتمع معين، والمقصود بهذا أن هناك اتساق في الحياة الاجتماعية داخل المجتمع أين يتصرف أعضائه وينظمون أنشطتهم وفقا لقواعد متفق عليها وضمن قيم متعارف عليها لتجنب التناقض والصراع وضمان الاستمرار والديمومة، ويتضمن هذا البناء أنساق فرعية كالنسق القرابي والنسق السياسي والنسق الاقتصادي وكل السلوكات الاجتماعية في إطار نسق يمثل النظم الاجتماعية كالزواج والعائلة على سبيل المثال. غير أننا نجد الكثيرين يتفقون على أن مصطلح المجتمع المحلي يشير إلى منطقة محلية محددة ذات طابع خاص بها، ونجد تعريف بارسونز يتفق مع هذا الرأي إذ يقول: "المجتمع المحلي هو تجمع الفاعلين في منطقة محددة، بصورة تتيح ظهور الأنشطة اليومية المشتركة".⁴ إضافة إلى هذا التعريف الذي ينص على أن المجتمع المحلي عبارة عن "مجموعة من الناس، يقيمون في منطقة جغرافية محددة، ويشتركون معا في الأنشطة

¹ - معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 162.

² - معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 162.

³ - ميشيل مان، مرجع سبق ذكره، ص 133.

⁴ - محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 67.

السياسية والاقتصادية، ويكونون فيما بينهم وحدة اجتماعية ذات حكم ذاتي، تسودها قيم عامة ويشعرون بالانتماء نحوها، وأمثلة المجتمع المحلي، المدينة، والمدينة الصغيرة، والقرية¹ يفيد هذان التعريفان أن هناك تفاعل بين الأفراد في إطار نظامي محلي يقدم كل الخدمات الضرورية لهم ضمن رقعة جغرافية محلية معلومة، لكن بالرغم من ذلك ليس بالضرورة أن يمثل كيان سياسي مستقل بمعنى أن المجتمع المحلي ليس بالضرورة وحدة مستقلة ذاتيا كما جاء في التعريف الأخير.

ينظر البعض من الدارسين والمنظرين إلى المجتمع المحلي نظرة بيولوجية أكثر منها إجتماعية وثقافية أمثال هيوجز E.C Huges الذي يقابل بين المجتمع المحلي والمجتمع على أساس "عوامل المنافسة والتكافل، وتقسيم العمل الذي يحصل عن طريقها المجتمع المحلي على تدعيم البيئة."² ويناقد آخرون المجتمع المحلي ويحللونه تحليلا ثقافيا اجتماعيا خالصا مثل ميرسر B.E Mercer الذي يذهب إلى أن "المجتمع المحلي هو تجمع لأشخاص تتشأ بينهم صلات وظيفية، ويعيشون في منطقة جغرافية محلية خلال فترة من الزمن، كما يشتركون في ثقافة عامة، ويوحد بينهم البناء الاجتماعي، ويظهرون وعيا بذاتهم المستقلة كجماعة."³

في حين ابتعد البعض الآخر عن إعطاء تعريفات للمجتمع المحلي لكن عادلوه بمرادفات مثل المجتمع، الجماعة، النسق الاجتماعي والتنظيم الاجتماعي، من بين هؤلاء نسبت R.Nisbet الذي يستخدم مصطلح المجتمع المحلي كمرادف للنسق الاجتماعي أو المجتمع ويضيف خاصية الشعور بالانتماء بين أفراد ذلك المجتمع إذن رغم عدم استقرار هذا المصطلح وتأرجحه بين الدراسات المختلفة إلا أن الدراسات التي خصته كانت ذات أهمية كبيرة في "تطور الدراسات المنهجية التي تستعمل الملاحظة بالمعايشة."⁴ في الوقت الراهن أصبح مصطلح المجتمع المحلي يستخدم على أنه "مجموعة أفراد يقطنون منطقة جغرافية متضمنة القوة المعيارية في توجيه سلوك الأفراد."⁵ كما تركز الدراسات الاجتماعية

1 - محمد عاطف، مرجع سابق، ص 66.

2 - المرجع نفسه، ص 67.

3 - المرجع نفسه، ص 67.

4 - معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 163.

5 - المرجع نفسه، ص 163.

حاليا وبهذا الخصوص على مفهوم خاص للمجتمع المحلي وهو "عادة ما يكون مشحونا بالقيمة"¹، وغالبا ما يشير بشكل عام إلى " شكل من أشكال التنظيم الاجتماعية " ² كما تنحوا هذه الدراسات إلى التركيز على المناطق الريفية أو على الجماعات الحضرية ذات الصفة المحلية.

من خلال التعريفات السابقة نصل إلى أن أغلب العلماء ركزوا على مفهوم المجتمع المحلي من خلال ثلاث محكات أساسية هي الموقع المحلي، العلاقات الاجتماعية والاشتراك في ثقافة واحدة.

ومنه نصل إلى التعريف الإجرائي التالي الذي نقول فيه أن: المجتمع المحلي هو جماعات من الناس يتموقعون في مجال جغرافي معين ومحدد، يشتركون في ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ويخضعون لنفس القواعد والقيم ويربط بينهم نسيج من العلاقات الاجتماعية من أجل ضمان الاستمرار والبقاء.

2.2- المفاهيم الفرعية

1.2.2- المقدس: Le Sacret

لم يتفق الباحثين على مفهوم المقدس نظرا للتساؤلات الكثيرة التي يثيرها هذا المصطلح. فهم يتساءلون إن كان بإمكانهم تعريف المقدس بذاته أي باستقلالية عن باقي المصطلحات التي تبدو قريبة منه أو أنه يجب تعريفه في علاقته مع مفاهيم أخرى كالطاهر والمدنس والمحرم والنجس وغيرها من المفاهيم وهل للمقدس علاقة بالدين أم لا، لكنهم أجمعوا بصفة عامة على أن المقدس يتمثل في كل ما يدعو إلى الاحترام ويبعث الرهبة وهو غالبا ما يرتبط بالدين.

انطلاقا من هذا نجد أن هذا المصطلح يستخدم للإشارة إلى كل ما يخضع لحماية الدين الذي لا يمكن انتهاكه أو الخروج عليه ³، ونجد أن رأي هوارد بير Howard Pierre مؤيدا لهذا الاستخدام إذ يحصر المقدس فيما هو " ديني أو روحاني أو إلهي أو كنسي"⁴

¹ - ميشيل مان، مرجع سبق ذكره، ص 133.

² - المرجع نفسه، ص 133.

³ - محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 365.

⁴ - المرجع نفسه، ص 365.

ويقابل دوركايم Durkheim مصطلح مقدس بمصطلح مدنس. فالدين نظام موحد للمعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة التي يتعين تجنبها وتحريمها. واعتبر دوركايم فكرة مقدس سمة أساسية لتعريف الظاهرة الدينية. والمقدس في رأيه هو الشيء الذي يتجنب ويوقر ويحترم، وذهب إلى أن صفة القداسة تنبع من المجتمع نفسه، وإنما تعبير عن التضامن الجمعي¹. وتصنف كل المعتقدات الدينية على أنها مقدسة أو دنيوية ويتضمن المقدس ظواهر تفوق الطبيعة لأنها سامية وخارجة عن حدود الزمن والأحداث² وتأسست فكرة دوركايم على أن المقدس لا يلتقي بالمدنس وأنه في وجود الأول ينتفي الثاني.

بعبارة أخرى أنه بقدر ما يحيل المقدس داخل سياق تعارضه مع المدنس، إلى ما هو طاهر وخالص Pur، فإن المدنس يحيل إلى ما هو دنس ونجس³، لكن نجد مصطلح مقدس يشير أيضا إلى " الأشياء التي تحظى بالاحترام والتقدير والقبول ويعيب انتهاكها، ولكن ليس من الضروري أن تكون ذات طبيعة دينية، فهناك ممارسات وعادات وأماكن تكتسب طبيعة دينية مقدسة دون أن تكون لها صلة بالدين⁴. وتعرف الأشياء المقدسة على أنها " الأشياء التي تقوم النواهي بحمايتها وعزلها"⁵، والأشياء المدنسة بأنها " تلك التي تنطبق عليها هذه النواهي والتي يجب أن تبقى بعيدة عن الأشياء الأولى"⁶.

يشير المقدس إلى السمات الثقافية أو مظاهر الثقافة التي تعبر على نحو رمزي عن قيم ثقافية مهمة تبعث الرهبة الشديدة والاحترام. وقد تكون هذه السمات الثقافية مادية أو لا مادية لكنها توصف بأنها مقدسة ولا يمكن للجماعة أن يوجهوا أي نقد لها لأن المقدس مرتبط دائما بالدين على عكس بعض الأفكار والموضوعات التي تعد مقدسة، لكن لا ترتبط بالدين مثل ما هو الحال عندنا في منطقة الدراسة عتبة الدار التي تعتبر مكان أو مجال مقدس وأفراد المجتمع هم الذين أعطوها صفة القداسة كمكان.

¹ - شارلوت سيمور-سميث، مرجع سبق ذكره، ص 494.

² - معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 367.

³ - نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 17.

⁴ - محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 365.

⁵ - بيار بونت وميشال إيزار، مرجع سبق ذكره، ص 864.

⁶ - المرجع نفسه ، ص 864.

إن المقدس لم يعد يحل بشكل موضوعي في الكون، بل خاصية ثابتة أو عابرة لبعض الأشياء، كالأدوات المستعملة في الشعائر والطقوس وبعض الأزمنة كالأيام.¹ إن المقدس حسب ر. كايوا Roger Caillois قوة داخلية غامضة لا يمكن تعريفها بذاتها بل فقط في علاقتها بالدينيوي.² فالمقدس في رأيه مشكل من طاقات وقوى، في حين الدينيوي مشكل من مواد وأشياء وهما ضروريان معا لاستمرار وتطور الحياة.³

ويتميز المقدس بميزتين فهو مخيف يستدعي الحذر ومرغوب فيه يستدعي الجسارة ويحاول المقدس تهديم الدينيوي وبالمقابل يعمل الأخير على إضعاف المقدس وإنهائه. وتنظم الطقوس علاقة المقدس بالدينيوي لأن الطقوس تكشف الكيفية التي يشرف بها نظام العالم على توزيع المقدس باعتبار أن المقدس ينشطر إلى مقدس احترام يحيل على نظرية المحرمات، ومقدس يحيل على نظرية الحفل. ويفضل المحرمات تصان القواعد والممنوعات بينما مقدس الانتهاك يهدر ويهدر ففي الحفل مثلا لا توجد سلطة أخرى.⁴ وهذا ما يظهر في احتفالات العرس أين نجد الإسراف والتبذير في المصاريف والأكل والشرب ومظاهر أخرى كالبارود وانتهاك الضوابط الأخلاقية لأن الطقس (دينيوي) ينتهك حرمة المقدس.

وعندما تثار مسألة علاقة المقدس بالرمزي أي إضفاء المعاني على الموجودات فتتحول هذه الأخيرة إلى موجودات رمزية. لذا ظلت الرموز صفة المقدس المفضلة، وتتجسد الحمولة الرمزية للمقدس في الكثير من الأشكال والأفعال مثل الطقوس⁵، ويمكننا الخروج بهذه الخلاصة البسيطة التي نجد فيها علاقة الدين بالمقدس والطقس من خلال التعريف التالي للدين الذي هو " منظومة متماسكة من العقائد والطقوس المتعلقة بأشياء مقدسة، أي بأشياء مفصولة، محرمة، وأن هذه العقائد والطقوس تؤلف بين قلوب أتباعها جميعا⁶.

كما يعرف علماء الاجتماع الدين بالإشارة إلى المقدس وليس على أساس الإيمان بإله أو آلهة ويرون أن " الدين مجموعة من المعتقدات والرموز والممارسات (كالشعائر مثلا) التي

¹ - نور الدين الزاهي، مرجع ساق ذكره، ص 23.

² - مرجع نفسه ، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 24.

⁴ - نور الدين الزاهي، مرجع ساق ذكره ، ص 24.

⁵ - المرجع نفسه ، ص 07.

⁶ - صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005، ص 88.

تنهض على فكرة المقدس، والتي توحد بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي¹. إذ نجد أن كل ثقافة تنقسم إلى مجالين الأول هو المجال المقدس الذي لا يحظى في دراسته باتفاق من قبل علماء الأنثروبولوجيا لأن البعض يرى أن المقدس مرتبط بصورة كلية بالدين في حين يركز البعض الآخر على الطقوس التي تؤدي محتوى رمزي مرتبط بتصورات المجتمع في فضاءات المجال الذنيوي.

2.2.2- الفضاء: L' espace

يرتبط مصطلح الفضاء بالزمان فهما ظاهرتان طبيعيتان، وممارستان اجتماعيتان وفكرتان ومزيتان في آن واحد. وتعرفنا المعاني المتعددة للفضاء بأشياء عدة عن الثقافة وتغيرها واختلافها. وكان الفضاء يشير ليس فقط إلى الامتداد أو المسافة بالتحديد وإنما إلى فاصل إذ يقال فسحة من الزمن. وكان أقدم المعاني لكلمة فضاء في اللغة الانجليزية يعني ما نطلقه عليه الآن الزمان².

وفي القرن التاسع عشر، أخذ الفضاء بعدا طبيعيا متميزا. وكتب ستودارد قائلا: " نحن مكونون بحيث لا نستطيع أن ندرك بعض الموضوعات إلا إذا إحتلت فضاء".³ من هنا بدأ ظهور فكرة اقتران الجسد والذات والفضاء، ومن ثم ظهر مفهوم الفضاء الخاص والفضاء العام الذي تأسس حديثا.

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت تغيرات مثيرة حول كيفية إيجاد معاني في الحياة الاجتماعية، والكيفية التي يضم بها كل مجتمع وكيف يشيد فضاءاته ويديرها. إذ أصبح العلماء في العلوم الاجتماعية يميزون بين الفضاء والمكان لتفسير العلاقات المتغيرة في العالم إذ أعيد تصور المجتمع والفضاء باعتبارهما كيانيين يتوافقان على بعضهما ماديا ويحلها الحراك العالمي واستراتيجيات السيطرة⁴.

إن الفضاء منتوج اجتماعي وليس مجال له حدود هندسية وهو فضاء وظيفي يمارس فيه الفرد حياته بكل ما يحمله من تمثلات نحو ذلك الفضاء. إن السكن يرتبط بمفهوم تملك

¹ - جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ص 640.

² - طوني بنيت- لورانس غروسييرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 352.

³ - المرجع نفسه، ص 533.

⁴ - طوني - بنيت- لورانس غروسييرغ وميغان موريس، مرجع سبق ذكره، ص 535-536.

الفضاء الاجتماعي الذي يفتح فيه الإنسان على الممكن والخيال وليس من خلال ما يرسمه المكان من حدود¹.

للفضاءات أدوار وظيفية جد مهمة فهي تعزز العلاقات الاجتماعية أو تدمرها، ذلك من خلال الانسجام والتوافق في الانتساب لتلك الفضاءات لأنها فضاءات للتواصل والتفاعل والتعايش وينطبق هنا على الفضاءات سواء الخاصة أو العمومية. فالعائلة تتفاعل وتتواصل في فضاء السكن والأفراد يتفاعلون ويتعايشون في فضاءات عمومية كالسوق والشارع والمقهى وغيرها.

3.2.2- التقاليد Les Traditions

لكل شعب عاداته وتقاليدته التي تطبع حياته الاجتماعية بطابع خاص ومتميز عن باقي الشعوب. ويقوى سلطان هذه العادات والتقاليد عند الناس حتى تصبح لها قوة القاعدة الواجب إتباعها، هذا ما هو حاصل في مجتمع البحث الذي يحترم ويبجل العادات والتقاليد وكأنها مبادئ دينية بل تراهم في بعض الأحيان تحكمهم العادة والتقاليد.

إن لفظ التقليد مقارب للفظ العادة في مدلولها العام لأن أصل لفظ التقليد في الوضع اللغوي "اقتباس فعل ما، أو عادة ما، أو مظهر ما من طرف آخر. وهذا الطرف قد يكن الجد بالقياس إلى الحفيد وقد يكون الأب بالقياس إلى الإبن. كما قد يكون المسود أو المحكوم، بالنسبة للسيد أو الحاكم. ونجد أن الناس إذا تبناوا تقليدا معنيا أصبح شيئا مألوفا شائعا ومتعبا في أفعال وسلوكات أفراد المجتمع، فلا يسأل الناس العاديون عن أصولها الأولى، ولا يثيرون البحث حول جذورها الخفية².

كما يعرف التقليد بأنه عرف يرتكز على الروتين، والواقع أن كل تقليد يميل إلى تميز بعض التصرفات التي يشرعها ماض غالبا ما يكون "غابرا"، مع أنها لا تكتسب أبدا طابعا إلزاميا وعادة ما يقابل عدم الالتزام بها بامتعاظ وانزعاج عائدين إلى علامات الاستتكار

¹ - باشا محمد، إشكالية العمارة في الجزائر من أزمة إبداع إلى إبداع الأزمة، الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، كلية العلوم الاجتماعية جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد خريف وشتاء 2013، ص 166.

² - عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 8، 1972، ص 214.

التي يديها أولئك الذين يخضعون لها.¹ ونعطي أمثلة هنا على بعض التقاليد فمثلا التقاليد الخاصة بالملابس والأزياء التقاليد الخاصة بالمطبخ.

ويطلق مصطلح التقاليد على أنماط السلوك المقننة التي تنتجها الجماعة، وتعمل على تدعيم تماسكها، ووعيها بذاتها، كما تحظى بالقبول من جانب الأعضاء.² كما يطلق مصطلح التقاليد على عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر، بمعنى أنها عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بجماعة أو طائفة معينة والتي يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل.³

إن التقليد ليس فقط ماضيا لا يقوى عليه العقل والتفكير وإنما هو مسيرة تتشكل بواسطتها تجربة حية وقابلة للتكيف. إنما تتعلق بالحكايات أو الممارسات، بالخرافات أو بالطقوس التي تعيد لكل واحد منا ولكل مجتمع إحياء حوادث مصير لا يتبدل.⁴ وتتشكل التقاليد عبر إعادة إنتاجها وترسيخها وتعلمها من خلال الملاحظة وهي خاضعة لعملية التطور والانفتاح والإثراء، فهي تتطور في مضمونها وتتغير عبر الزمن وتخضع للممارسة والامتثال الاجتماعي. وتتميز التقاليد بأنها مقدسة من طرف الناس الذين يرون أنه من غير الممكن التخلي عنها، ويؤكد كل مجتمع على أهمية مسايرة التقاليد لأنها تتحكم في توجيه سلوك الأفراد داخل المجتمع وهذا ما نلمسه في مجتمع البحث الخاص بدراستنا إذ يخضع لها الناس بصورة آلية دون وعي. والجدير بالذكر والملاحظ أنه توجد سيادة للتقاليد في المجتمعات البسيطة أكثر منها في المجتمعات الحضرية أو المتطورة كثيرا.

4.2.2- الأسطورة: Mythe

لقد عرفت كل الشعوب الاسطورة واشتركت فيها، إنها التراث الإنساني على مر الزمان وامتداد المكان، فيها يلتقي الإنسان بالإنسان من خلال تشابهها في العالم. إنها تحكي آلام وآمال الشعوب والأمم. لقد انحصرت الأسطورة في البدء في ألوان الأدب، لكنها أصبحت

¹- بيار بونت وميشال إيزار، مرجع سبق ذكره، ص 386.

²- محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 415.

³- أحمد زكي بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 428.

⁴- ر. بودون و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص ص 196-197.

ميدانا للدراسة في العلوم الحديثة كالأنثروبولوجيا وعلم النفس لأنها شكلت - قديما وحديثا - مصدرا خصبا لدراسة المجتمعات، ومعرفة رؤيتها للكون والإنسان على حد سواء.

لقد ذهب العلماء مذاهب شتى في تعريف الأسطورة وإعطاء مفهوم لها، فمنهم من رأى أنها " حكايات القدماء في الدين"¹.

ومنهم من قال أن الأسطورة هي "التاريخ في صورة متتكرة."² ويعرفها معجم علم الاجتماع المعاصر لمعن خليل العمر على أنها "رواية للمقدس او للديني الذي يتضمن مجموعة خبرات وتعرض الشعور الجمعي."³ إنطلاقا من هذه التعريفات يبدو أن كل عالم من العلماء اختار نوعا من الأساطير، ومنه لم يضع تعريفا جامعا لكل الأساطير.

في القرن الثامن عشر، ظهر العديد من العلماء الذين فسروا الأسطورة في ضوء علم الاجتماع. من أمثال هؤلاء ماكس ملر Max Muller وهربرت سبنسر Herbert Spincer الذين رأيا أن الأساطير هي مرآة عاكسة لنفسية أولئك الذين ألفوها حيث كانوا عاجزين عن التعبير عن أنفسهم.

وبالنسبة لعصرنا فقد اختار العلماء أغلبية العناصر في الأساطير وأطلقوا عليها اسم العنصر الغالب فيها "فمنهم من رأى تغلب عنصر ديني فنسبها الى الدين، وجعلها قسما مهما في دراسة الأديان".⁴ وقد اعتبر ميرسيا إلياد أن الأسطورة "ليست وهما ولا كذبا"، وإنما هي "تجربة وجودية" كان يعانيتها الإنسان البدائي، الإنسان الديني، الذي يعيش في المجتمعات التقليدية والشرقية"⁵، لهذا فالأسطورة في نظره ترمز الى واقع مقدس يدرك الإنسان عالم الغيب من خلاله.

والأسطورة كما يراها محمد عبد المعيد خان هي عبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات، وهذا التفسير هو آراء الإنسان فيما يشاهده حوله في حالة البداوة، فالأسطورة مصدر أفكار الأولين ملهمة الشعر والأدب عند الجاهلين⁶.

¹ محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة للطباعة والنشر التوزيع، لبنان، ط 4، 1993، ص 16.

² محمد عبد المعيد خان، مرجع سبق ذكره، ص 17.

³ المرجع نفسه، ص 17

⁴ المرجع نفسه، ص 18.

⁵ خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1986، ص 11.

⁶ محمد عبد المعيد خان، مرجع سبق ذكره، ص 20.

وقد بين لفي ستروس متأثرا بالمقارنة اللسانية" أن الأسطورة مثل اللغة... لها مدلول ثقافي وحضاري يمكننا من تفسير مجموع القيم الأخلاقية والمعارف والقواعد (الزواج،...) وأنماط السلوك والمحرمات والمنتجات الفكرية والمنجزات المادية، فالأسطورة وفق هذا التصور لها صلة وطيدة بجانب جميع حيواتنا" ¹ فالأسطورة نظام رمزي يعبر عن مشاغل الإنسان بمفرده أو ضمن جماعته. من هنا ازداد الاهتمام بدراستها لأنها موجودة في كل المجتمعات بحيث أنها توفر معطيات عن تصور المجموعة للمجتمع وكيف يكون ولمؤسساته واحتفالاته وطقوسه ومحرماته ونظام قيمه...²

من خلال هذه الجولة حول العديد من الآراء والأفكار والدراسات يتبين لنا أهمية الأسطورة، فهي تدل على ماضي الإنسان وتفكيره وتأمله لمظاهر الطبيعة التي حوله، وإجمالا على كيفية إدراكه وتصوره للعالم الذي يحيط به. فالأسطورة تمثل فضاء للذاكرة والتاريخ والمصدر الوحيد الذي تستقى منه المعلومات بخصوص التفاعلات بين أولى درجات التراث الإنساني والعلم الخارجي والخاصة أن الأسطورة هي مستودع الرمزية والخيال.³

وباعتباره أن الأسطورة تمثل شكلا من أشكال النشاط الفكري البشري فإنها دون شك على صلة وثيقة بعقائد الأمم والشعوب وبأديانها وبتاريخها الممتد. وتتبدى الأساطير في أنواع متعددة من السنن ضمن المكتوب في الحكايات، والممارسات الطقوسية، والنصوص المقدسة، وكتب التاريخ و الأدب، وضمن المعيش في الشعائر والطقوس والعادات. وما جعل الأساطير تكتسب أهمية جعلت الباحثين والمفكرين يزنعون لدراستها وسبر أغوارها وتحليلها هو اتصالها بوظائف رمزية، إذ أن أدواتها الرمز ومولدها الفكر البشري والخيال والوجدان الإنساني.

¹ محمد إدريس، الأسطورة والنص المقدس- ماهية الاسطورة في العهد الجديد والقران الكريم ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، المملكة المغربية، د.ت، ص 02.

² محمد عجبينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرابي، لبنان، طبعة جديدة منقحة، 2005، ص 43.

³ عبد الرحمان بوزيدة، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، سلسلة جديدة بعنوان الجزائري و أسطوره المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول ، الجزائر، 2003، ص 08.

5.2.2- طقوس العبور (الانتقال) Les Rites de Passage

استخدم هذا المصطلح فان جنب. لكي يصنف نوعين من الطقوس: الطقوس التي تصاحب انتقال أو مرور الفرد من مكانة اجتماعية معينة إلى مكانة أخرى خلال حياته، والطقوس التي تشير إلى فترات معينة خلال مرور الزمن مثل بدء العام الجديد.¹ ويقسم فان جنب طقوس المرور إلى ثلاثة مراحل أو أنواع وهي: طقوس الانفصال والطقوس الهامشية وطقوس التجميع، وتختلف هذه الأنواع في درجة وضوحها حسب المجالات التي تكون فيها فمثلا طقوس الانفصال تبدو أكثر وضوحا في حالة الوفاة. أما "طقوس التجميع تبدو واضحة في احتفالات الزواج بينها تشكل الطقوس الهامشية قسما هاما في فترة الخطوبة والحمل."² إذن التغيير في المكانة يكون مصحوبا بطقوس مصاحبة لتلك التغييرات، والملاحظ أن الكثير من الطقوس تسير بنفس نمط طقوس التكريس التي تتضمن ثلاث مراحل وهي مرحلة الانفصال والدخول أو الوقوف بالعتبة ثم الاندماج الجديد. وتركز على رمزية طقوس الانتقال.

ويشير مصطلح طقوس المرور إلى مجموعة شعائر او طقوس تميز عملية الانتقال الأساسية في حياة الفرد من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن وظائفها الجوهرية توفير الدعم العاطفي للفرد وتأكيد التزامه بواجباته وتحديد حقوقه.³ أما وطقوس الدخول فتشير الى الإجراءات التمهيدية التي تنطوي عادة على مراسم احتفالية وطقوس شعائرية وتنتهي بدخول المرء كعضو في جماعة وانتمائه إلى فئة اجتماعية معينة⁴، مويها تناط به مسؤوليات والتزامات جديدة كما يتمتع بامتيازات تشير إلى كونه قد أصبح عضوا كامل العضوية وراشدا في الجماعة التي أصبح ينتمي إليها.

3- الدراسات السابقة

فيما يخص الدراسات حول هذا الموضوع قمنا بالاطلاع على بعض الأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والأبحاث التي أجريت حوله فقد قرأنا العديد من الكتب التي تكلمت عن موضوع الزواج. من الدراسات التي أجريت حول الزواج وطقوسه وعاداته عند

¹ . عدنان أبو مصلح، معجم علم الاجتماع، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2006، ص 302.

² . محمد عاطف غيث، مرجع سبق ذكره، ص 357.

³ - المرجع نفسه، ص 357.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 357.

الشعوب تلك التي قام بها ويستر مارك وهي في شكل كتاب بعنوان "موسوعة تاريخ الزواج" حيث وصف فيه العديد من الطقوس والعادات الممارسة خلال مراحل الزواج لدى العديد من القبائل ومن مواضيعه المهمة العذرية وكانت فيه إشارة إلى بعض الطقوس في الجزائر وتمثل هذه الدراسة مرجعا هاما لكل باحث في موضوع عادات الزواج وطقوسه اذ يقول في مستهل كتابه هذا "... سوف احصر دراستي, بصورة عامة، بالمواضيع التالية: أصل الزواج والأمور المرتبطة به، مثل الدورة الجنسية (...). العلاقات الجنسية قبل الزواج وحق السيد، والبغاء المقدس، وإعارة النساء ومبادلتهن، والأعياد التي تباح خلالها المشاعية (...). و سن الزواج، والعفة الجنسية التي تلامس العزوبة وبعض تقاليد الزواج معا"¹.

من الدراسات الهامة أيضا كتاب بعنوان "La Famme Chaouia de L'Aures" للباحثة ماتيا قودري Mathea Gaudry والذي خصت به دراسة منطقة القبائل الكبرى ومنطقة الأوراس حيث تناولت بعض مراسيم الزواج وقد جمعت قدرا كبيرا من المعلومات حول مختلف العادات والتقاليد بهذه المنطقة وهذا مع بداية القرن العشرين.

جدير بالذكر أن جل الدراسات الفلكلورية أجريت خلال الفترة الاستعمارية لذا وجدت تلك المعارف أسيرة ظواهر الاحتلال والسيطرة على الآخر والنظرة الدونية التي تقزم الآخرين وتصغرهم أما الدراسات الخاصة بالجزائر فهي قليلة جدا حيث أنها كانت إما دراسات خاصة بمناطق معينة، وإما أبحاث ركزت على الزواج كظاهرة ديمغرافية واجتماعية أو تناولته بالدراسة في حقبة تاريخية معينة، ولم يتطرق العديد منها إلى تفاصيل العادات والتقاليد والطقوس الخاصة بالزواج ومراحله.

لكن من خلال البحث الحثيث والتنقيب المستمر عثرنا على بعض الدراسات والأبحاث التي تلمسنا فيها علاقة مع موضوع بحثنا مثل بحث الدكتورة قشوش نصيرة في شكل كتاب موسوم بـ"الزفاف في تلمسان دراسة فنية أنثروبولوجية"، إذ كرس لوصف مراحل الزفاف وعاداته وتقاليد في مدينة تلمسان وتطرق في الفصول الثلاثة لكتابها إلى الخطبة وشروطها والاحتفال بالزفاف ومظاهر التشابه والاختلاف بين الريف والمدينة، وختمتها ببعض الطقوس

¹ - ادوارد ويستر مارك، تاريخ موسوعة الزواج، الجزء الأول، ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1، 2001، ص 25 - 26 .

الممارسة من طرف أهل العروس وأهل العريس "كربط الحناء" و"فك الربيط" وطقوس دخول العروس إلى بيت الزوجية وغيرها.

بنفس التوجه نجد بحث لنيل شهادة الماجستير تخصص مدن، ثقافات ومجتمع يحمل عنوان "مونوغرافية الزواج في المدن الكبرى - دراسة ميدانية لظاهرة الاحتفال بالزواج في مدينة وهران". يكشف هذا البحث عن الممارسات والطقوس المختلفة المتعلقة بالاحتفال بالزواج عبر مراحل المختلفة في مدينة وهران، والتغيرات التي طرأت على مراسيم الزواج في جميع النواحي سواء كانت اجتماعية أو احتفالية أو طقوسية، ووقفت على تمثيلات الأفراد لتلك المراسيم.

أما دراسة المؤرخة والباحثة فاطمة الزهراء قشي في شكل كتاب يحمل عنوان "الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18"، والتي كان ميدانها سجلات عدلية تحوي عقود كثيرة ومتعددة سجلت أمام قاضي المحكمة المالكية بقسنطينة، والتي تم العثور عليها إلى جانب دفاتر فرنسية قديمة جدا في دهايز قصر العدالة. كشفت هذه الدراسة بالرغم من اختصاصها بحقبة تاريخية معينة وماضية، على عناصر مهمة حول الصداق ومكوناته في قسنطينة في الحقبة السالفة الذكر وما قبلها، ننتبين من خلالها مرجعيات بعض العادات والتقاليد الخاصة مثلا بالصداق وتشابه بعضها في الكثير من مناطق الوطن واستمرارها إلى يومنا هذا.

كما نستشف بعض العناصر والجزئيات الخاصة بالمرأة ومراحل حياتها بحكمها ركن أساسي ومحرك لمواضيع مثل الزواج والجنس في عمل للباحث مباركة لحسن، وهو بحث لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان "الجنس وثقافة الجسد"، إذ اهتم فيها بدراسة بعض شؤون المرأة التي تميزها في بعض مراحل حياتها قبل وبعد الزواج كاللباس، وبعض المحطات الأخرى من مراحل الزفاف كليلة الدخلة التي تمثل نقطة هامة في بحثنا.

أما بالنسبة لبحث "تغير نموذج الزواج في الجزائر" دراسة تحليلية انطلاقا من المسح الوطني حول صحة الطفل والأم (1992) والمسح الجزئي حول صحة الأسرة (2002)، والذي هو عبارة عن رسالة ماجستير. فقد تناول الزواج وتحليله من حيث هو ظاهرة ديمغرافية من ناحية الحالة الزوجية وسن الزواج ومتوسطه إلى الفرق بين سن الزوجين وأيضاً الأسباب المؤدية إلى ارتفاع سن الزواج وحصرها في مؤشرات تدل عليها.

كما تضمنت هذه الدراسة فصلا عن الزواج الداخلي في الدول العربية والجزائر وأسباب استمرار هذا النوع من الزواج، وعنيت بالجزائر بصفة خاصة إذ خُص البحث في هذه الجزئية إلى أن معدلات هذا النوع من الزواج تمثل نسبة هامة من مجموع الزيجات. بالرغم من التغيرات التي تعرفها سواء المجتمعات العربية أو المجتمع الجزائري بوجه خاص. وقد أرجعت الباحثة استمراره إلى الظروف الاقتصادية الصعبة والأزمة التي يعيشها الشباب الجزائري اليوم والمتمثلة في قلة فرص العمل وانخفاض مستوى الدخل وأزمة السكن الخائفة، وكلها أسس مهمة وأساسية من أجل بناء أسرة مستقرة فالزواج الداخلي يعد أقل تكلفة بالنسبة للكثير من العائلات حيث ترى أسرة الفتاة التي تتزوج من قريبها واجب تسهيل أمور الزواج من مهر وتكاليف العرس خاصة فيما يتعلق بسكن المقبلين على الزواج، ففي حالة عجز الرجل بعد الزواج عن توفير هذا المطلب الضروري، الذي يعد من أوليات الزواج اليوم، يلجأ إلى السكن مع عائلته الكبيرة وهو الأمر الذي قد يصعب تحقيقه في حالة الارتباط بزوجة من خارج الدائرة القرابية، كما أن الذهنية الجزائرية عموما تركز وتدعم فكرة أن الزواج الداخلي ضمان استقرار واستمرار الأسرة.

أما الدراسة المعنونة بـ"الزواج المختلط كإستراتيجية للهجرة الخارجية" دراسة ميدانية بمكتب الأجانب لولاية معسكر وغيليزان، فقد عنيت في جزء منها بالزواج من حيث المفهوم، الدوافع والاختيار للزواج بصفة عامة.

إضافة إلى هذين البحثين فإن البحث المعنون بـ" نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثبات والتغير" دراسة ميدانية بمزرعة حجاج بشير قسنطينة اهتم بتغير نظام الزواج في الريف الجزائري تبعا للتغيرات التي تحدث في المجتمع، واهتمت أساسا باختبار صحة نظريات الزواج الخاصة بطرق الاختيار للزواج ومعرفة الديناميات المحركة لهذه الظاهرة في المجتمع الجزائري وأكد الميدان حسب الباحثة أن هناك علاقة بين تلك النظريات والواقع، وأضافت أن هناك توقعات كبيرة لحدوث تغيرات أسرع وأكبر من تلك التي وجدت وتوصلت إليها بحكم أن الفرد والمجتمع في سعي دائم إلى مواكبة كل ما هو جديد ويعمل دائما على تطوير مؤسسة الزواج في كل زمان ومكان. بمنظور مواز تقريبا يسلط باحث آخر في بحثه الذي يحمل عنوان "العوامل المفسرة لتطور لظاهرة الزواجية في الجزائر حالة بلدية سيدي بلعباس وهي رسالة ماجستير تسلط الضوء على ظاهرة الزواجية" من الجانب الديمغرافي

والاجتماعي، محاولا تحديد مفاهيمها وتغيراتها وعوامل تطورها، إذ تعد العامل الأساسي والمحرك للخصوبة في المجتمع الجزائري، وبالتالي تغير بنية الأسرة ووظائفها. بالرغم من أن بعض الدراسات السالف ذكرها تناولت موضوع الزواج من جوانب متنوعة وبمقاربات مختلفة فمنها ما كان ذو توجه اجتماعي وأخرى ذات توجه ديمغرافي، ومجموعة ثالثة تاريخية إلا أننا استفدنا من كل هذه الدراسات في توجيه بحثنا وتكوين قاعدة علمية وثروة معرفية جيدة للانطلاق في تأطير موضوعنا، إذ اطلعنا من خلالها على مفاهيم، رؤى، قراءات وطروحات متنوعة ومرجعيات مفسرة لعناصر متشابهة بمقاربات مختلفة، من تلك الدراسات ما يتقاطع مع دراستنا في بعض أجزائها ومنها ما يتشابه معها في بعض جزئياتها أو خطوطها العريضة.

خلاصة الفصل

إن اعتماد الأنثروبولوجيا على العمل الميداني في دراسة المواضيع الخاصة بالمجتمعات المحلية، يتطلب الخروج من التقوقع المنهجي والتحرر من قيود المناهج التقليدية إلى رحاب الإستحداثات المنهجية والتعدد الأدوات في جمع المعلومات، والتركيز على الجوانب الكيفية لوصف العادات والطقوس المتعلقة بالزواج في مدينة الشريعة والكشف على دلالاتها وجوانبها الرمزية، وهو من المواضيع التي لم تتناولها أفلام الباحثة بعد. فاقتضت الضرورة المنهجية استخدام مقارنة منهجية ومفاهيمية تخدم الإشكالية المطروحة وتحقق الأهداف المرجوة من الدراسة وتلي متطلباتها وتجيب على تساؤلاتها.

الفصل الثاني

الخطوة: مراحلها، محادتها وطقوسها

تمديد الفصل

1- الأسس التمهيدية للخطوة

2- الخطوة المبدئية

3- الخطوة الرسمية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

الزواج ظاهرة حضارية متعددة المراسيم والصور، وهو نظام اجتماعي في تفاعل ديناميكي مستمر مع القوى الحضارية والاجتماعية، من أهم مقدماته الخطبة وهي مرحلة تمهيدية وتحضيرية ورابطة بين المرأة وخاطبها يتيح توثيق وتوطيد العلاقات بين أسرتيهما وتنتج الخطبة في مجتمع البحث على الاختيار الزوجي الذاتي أو الوالدي، حيث يحدد الأفراد اختياراتهم تبعاً للقيود الاجتماعية التي يفرضها المجتمع. وتستتبع الخطبة بعقد مدني يعطي الشرعية القانونية للعلاقة بين المرأة وخاطبها وتحمل الخطبة في طياتها بعض من الجوانب الطقوسية والرمزية والعادات الاجتماعية.

1- الأسس التمهيدية للخطبة

1.1 طرق اختيار الزوجة

الزواج نظام عالمي وواحد من أهم النظم الاجتماعية التي أولاها الدارسون في مجال الأنثروبولوجيا اهتماما كبيرا وأفردوا دراسات خاصة به ناقشوا فيها كل المسائل المرتبطة به، بحكم أنه رابطة بين شخصين تؤدي إلى تكوين أسر ومنه مجتمع ومجتمعات بشرية فهو الضامن لاستمرار الجنس البشري وبقائه وللزواج أهداف وفوائد منوطة به وهي تحقيق الحاجات الانسانية الطبيعية التي جبل عليها الإنسان، وتحقيق الحاجات الاجتماعية تبعا لمقولة الإنسان اجتماعي بطبعه.

والزواج مشروع في كل الأديان السماوية وهو من أرقى أشكال العلاقات الانسانية. ولكي يكون ناجحا فهو يحتاج إلى نضج عقلي وبدني وإلى روية وحسن اختيار للطرفين، وعدم الاستعجال والتسرع في اتخاذ القرار سواء فيما يخص الوقت المناسب له أو الشخص المراد الارتباط به. وقرار الفرد للزواج في مجتمعاتنا العربية، ونخص مجتمع البحث مجتمع مدينة الشريعة، ليس قرارا شخصيا متعلقا بالشخص الذي يريد الزواج فقط وإنما هو قرار يخص الأسرة كلها حتى يستفيد الفرد المقبل على الزواج من نصائح الآخرين من أصدقاء وأقارب وخبرة والديه وآراء ذوي التجارب السابقة عنه، حتى يتم اختيار الشريك الأفضل لاستمرار علاقة الزواج، ومنه اتفق مجتمع الدراسة على معايير وطرق خاصة في اختيار الزوجة ودرجت التقاليد والعادات على أن الزوج وأهله هم من يختارون، وللفتاة وأهلها حق القبول أو الرفض.

إن الزواج مشروع حياة الفرد سواء في مجتمع الدراسة مدينة الشريعة أو في أي مجتمع آخر. وفي عرف علماء الاجتماع، فهذا المشروع يشمل بصفة عامة على مرحلتين أساسيتين هما الخطبة والعرس. وتعد المرحلة الأولى ألا وهي الخطبة حسب رأينا المرحلة المؤسسة للزواج الصحيح والناجح من نظرة عملية لأن فيها يقع الاختيار الذي تترتب عليه النتائج اللاحقة فيما بعد.

ومن خلال دراستنا الميدانية لمجتمع البحث لدينا تبين أن عملية الاختيار هاته تأخذ طرق وأساليب مختلفة يسير عليها أفراد مجتمع الدراسة في عملية الاختيار ويعرف الاختيار للزواج بأنه " الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج، وهو ليس عملية

اجتماعية حديثة العهد، بل حدث في التاريخ الإنساني كله. وهو سلوك اجتماعي يتضمن فردا ينتقي من بعض عدد من المعروفين¹، لكن جرت العادة في مدينة الشريعة أن يكون الرجل هو المبادر في عملية الاختيار وتساهم المرأة في هذه المسألة بصورة ضئيلة، فالحقيقة أن هذا الاختيار يقع على كاهل كل أفراد الأسرة سواء المعني بالزواج أو والديه أو إخوانه وأخواته وأحياناً تتوسع هذه الدائرة لتشمل الأعمام والأخوال والجد والجدة وغيرهم من المقربين، ولا يتحدد برغبة الفردين وحدهما، هذا وفقاً لمعايير وعادات وتقاليد المجتمع التي درج عليها في هذا الشأن. وقد رصدنا طريقتين للاختيار في مجتمع الدراسة وهما: الاختيار الوالدي والاختيار الذاتي أو الشخصي.

1.1.1- الاختيار الوالدي

كانت هذه الطريقة سائدة قديماً لكنها ما زالت تمارس في مجتمع الدراسة ويطلق عليه البعض الاختيار الزوجي المقرر أو المقيد وفي هذا النوع من الاختيار يسيطر الآباء على عملية الاختيار من منطلق أن الأبناء لا يعرفون مصلحتهم وأنهم ناقصي الخبرة، وربما يتعرضون لعمليات الخداع كما قالت لنا الباحثة رقم (01) "أنا كي جيت نزوز ولدي قتلوا خلي أنا لي نخيرك المرا لي تواتيك بنات الوقت يتمسكونا حتى يتمسكونا"².

ومعنى قول الباحثة أن بنات هاته الأيام أو هذا العصر يظهرن الطيبة والطاعة للشباب في فترة التعارف إذا كان هو من تعرف عليها وتدفعه بهذا الأسلوب للإقبال عليها ليتزوجها وثم تبدأ شيئاً فشيئاً بعد الزواج في التكشير على أنيابها وتظهر على حقيقتها، فتكون التصادمات والمشاكل التي لا تنتهي مع هذا النوع من الزوجات. لذا فهي الأعراف والأقدر على كشف حقيقتها من خلال تبادل الحديث معها، ونجد الأمهات في مجتمع الدراسة يركزن اختيارهن على رزانة وطيبة وعقل الفتاة وحذقها في أداء الواجبات المنزلية وقدرتها على تحمل المسؤوليات الزوجية، وغالباً ما تختبرها في هذا المجال عند موعد الشوفة إذ تتقصد الأم فتح باب الحوار مع المعنية بالزواج للتعرف على هاته الأمور. في هذا الشأن أخبرتنا الباحثة رقم (02) أنه عندما ذهبت لترى إحدى الفتيات لتخطبها لابنها رافقتها لفترة قصيرة إلى المطبخ وأخذت تراقبها عند إعداد القهوة وقالت لنا "كي مشيت نشوف

¹ عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية دراسة في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999، ص 121.

² مقابلة مع الباحثة رقم (01)، يوم 20 مارس 2015، على الساعة 09:00.

الطفلة لي قالي عليها الشايب راهي بنت صاحبو وتصلح تكون مرا لولدنا درتلها بلعاني وقلت ليها أبنيتي إديني لبيت الماء ومن ثم عقت على الكوزينة و قتلها قهوة قبيلة باردة وثقيلة شوية، أنا راني عندي لاطانسيو ديريلي قهوة تكون خفيفة وسخونة، وحلفت عليها ديرهالي هي باش تكون من قسم ولدي، وقعدت نراقب فيها ونشوف في الكوزينة نتاعهم لاخاطر المرا شوفيلها على نظافة كوزينتها.¹ ومعنى هذا أن هذه المبحوثة وهي والدة الشاب تعمدت الذهاب إلى المطبخ لمراقبة الفتاة التي تريد خطبتها لتعرف كيفية تصرفها وإعدادها للقهوة ورؤية ترتيب المطبخ ونظافته لأن هاته الأشياء تدل على حذق المرأة وحسن تدبيرها لأمر بيتها. أما من جانب الآباء فيسعى الكثيرون إلى معرفة أصل الفتاة وما يتعلق بوالديها وأحوالها وأعمامها وإخوتها وتطبيق المثل القائل "الثالث من الخال حاصل" وهو مثل يخص مجتمع الدراسة، ومعناه أنه على الشخص معرفة إخوة الفتاة لأن ذريتها سترث الثالث من صفاتهم وفي نظرهم الصفات الأخلاقية بصورة خاصة، في هذا الشأن قال المبحوث رقم (03) "يا بنيتي واحد كي يجي يخطب لولدو يشوف لحوالها و خيوتها كان هوما ناس ملاح ورجال ولاد المرا يجو كيفهم، كان هوما مايصلحوش ولادها يجو مايصلحوش".² ونجد هذه الفئة من الآباء محكومين بذهنية من غير الممكن أن تتغير لأننا ناقشناهم في الأمر كثيرا لكنهم أبدوا سخرية من آرائنا وآراء المحيطين بهم لأن التجارب في رأيهم أثبتت قناعاتهم. وسألنا المبحوث رقم (04) فقال لنا بأنه عندما ينوي تزويج أبنائه عليه السؤال عن أم العروس فقال: "أنا كي نحب نزوز ولادي نبعث لشكون يسقسي على أمها لاخاطر الطفلة تجي لأمها في طباعها يا إما عاقلة ورزينة ولا واعرة وخرنانة"³ وهو في ذلك يستشهد بالمثل القائل في مجتمع الدراسة "إقلب البرمة على فمها تطلع البنت لأمها" وأردف قائلاً: "ما خلوا لكبار ونتاع بكري ما قالوا ماشنا نعرفوا خير منهم". بمعنى أنه يتبع حكمة الكبار والعقلاء من الأجيال السابقة وبأنهم تركوا أمثلة وحكم في كل شأن ومنهم شأن اختيار الزوجة.

أما بالنسبة للفتاة واختيارها فكما أسلفنا ففي هذا الأسلوب تكون إما قابلة أو رافضة لهذا الخاطب، فإذا قبلت فلا إشكال يطرح في حالة إعجاب أهل الرجل بها. أما إذا رفضت

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (02)، يوم 27 مارس 2015، على الساعة 10:00.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (03)، يوم 02 أبريل 2015، على الساعة 14:00.

³ - مقابلة مع المبحوث رقم (04)، يوم 13 أبريل 2015، على الساعة 15:30.

فتحاول أمها إقناعها. لأنه لم تجر العادات بأن يتكلم الأب في شأن زواج ابنته معها مباشرة أبدأ، وفي هذه الحالة لا تجد الفتاة مهريا آخر سوى الموافقة وأن ترضى بنصيبتها.

ويعلل إحسان محمد الحسن سيادة هذا الأسلوب في بعض المجتمعات كما هو واقع في مجتمع الدراسة إلى افتقار الأبناء والبنات إلى الخبرة وضعف التجربة ومحدوديتها وبعدها عن العقلانية وحسن التصرف، وفي المقابل اتساع خبرة الوالدين أو أولياء الأمر ونضجهم ووعيهم وإدراكهم¹ وجدير بالذكر أنه في بعض العائلات التي تؤمن بهذا الاختيار وفي حالة وفاة الوالدين أو أحدهما يقوم أحد المقربين بدورهما وهم: الجد، الجدة، العم، الخال، العمه أو الخالة.

ويرى ليفي ستروس Levie Strauss أن قاعدة الزواج المقرر توجد في الأبنية الأولية للقرابة وهي ترتبط بتفضيل الزواج من أشخاص تقوم بينهما روابط الدم مثل الزواج من الأقارب، وخاصة أبناء العمومة والخوولة المتقاطعة²، وقد انتشر هذا النوع من الاختيار في المجتمعات العربية التقليدية، لكنه مازال سائدا في مجتمع الدراسة لدى بعض العائلات التي تعتبر الزواج شأنًا عائليا تراعى فيه مصالح الأسرة وطموحاتها ومفهومها حول المال والجمال والمركز الاجتماعي والأخلاق والعادات المتوارثة، ولا تعطي أهمية إلى الصلات والعلاقات التي قد تربط بين المقبلين على الزواج وسعادتهم الشخصية لأنها ترى أن التفاهم والحب يأتي مع العشرة.

2.1.1- الاختيار الذاتي أو الشخصي

يلاحظ وجود نمط آخر في عملية اختيار الشريك عند الاقدام على الزواج وهو الاختيار الفردي الحر³، وهو الأسلوب الثاني الملاحظ والمعاش في منطقة الدراسة. ويتضمن هذا الاختيار أن "ينتقي الشخص شريكه بمقاييسه، ورغباته، وإرادته"⁴ وفي هذا الأسلوب يعطي الفرد لنفسه حرية اختيار شريكه حياته لكن يكون هذا في الاطار المسموح به في ظل العادات والتقاليد المعمول بها في منطقة الدراسة، إذ نجد بعض الشباب يتحملون مسؤولية

¹ - عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص 127.

² - فانتن محمد شريف، مرجع سبق ذكره، ص 142.

³ - نصيرة قشيشوش، الزفاف في تلمسان دراسة فنية أنثروبولوجية، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1،

2014، ص 13.

⁴ - المرجع نفسه، ص 13.

اختيار زوجاتهم بأنفسهم، باعتبار أن الزواج مسؤولية شخصية تهم في الدرجة الأولى المقبلين على الزواج وأن هذا الاختيار يضمن لهم السعادة والبعد عن المشاكل والمنغصات الزوجية في المستقبل. فقد يرى الأبناء أنه باختيارهم الفردي للشريك والمبني على العاطفة المتبادلة سوف يضمنون التوازن في حياتهم الزوجية المقبلة.¹ ولاحظنا من خلال دراستنا الميدانية أن ما ساعد على انتشار هذا النمط عند العائلات والأسر هو استطاعة أبنائها الحصول على وظائف قارة تمكنهم من تحمل مصاريف الزواج من أوله إلى آخره والقدرة على التكفل بعوائلهم ماديا في المستقبل، وهذا ما أفادنا به الإخباري رقم (01) لدينا إذ قال: "الشباب تاع تو يخدموا على رواحهم وعندهم الشهرية لي يجمعوا منها باش يصرفوا على عرسهم من اللول حتى لخر ويقدروا يعيشوا رواحهم وعيلاتهم من بعد وزيد راهم قارين وفاهمين هذاك علاه يخيروا لمرأ وحدهم وما يدخلوش والديهم وماليهم، والوالدين ماذا بيهم يتهنوا من المسؤولية هذي، بصح ماشوا معناه يجيب المرأ منين ما قاداه لازم تكون فيها شروط مقبولة ورضاية الوالدين."²

وتعليقا وتفسيرا لمعنى كلام الإخباري أن ما ساعد على ظهور وانتشار أسلوب الاختيار الشخصي هو الظروف الاقتصادية الجيدة عند الشاب إذ أنه يمتلك مصدر مالي قار يساعده على القيام بتكاليف الزواج والقدرة على الاستمرار في العيش بعد ذلك وإعالة أسرته. بالإضافة إلى عنصر آخر هو تعلم الشباب وأيضا الفتيات إذ أنهم أصبحوا اليوم يفهمون ويعرفون الكثير عن الأمور المرتبطة بالزواج من عديد النواحي وهذا ما يساعدهم على عملية الاختيار وإدراكها. لكن يضيف الإخباري أنه حتى وإن كان للفرد حرية الاختيار فهذا لا ينفي تقيده وخضوعه للقواعد والمعايير التي يفرضها المجتمع، وعليه مراعاة البيئة الاجتماعية والثقافية وعادات المجتمع لأن "الزواج نظام يحقق أهدافا اجتماعية وثقافية واقتصادية بجانب الأهداف الخاصة أو الشخصية"³، هذا مع عدم إسقاط سلطة العائلة أو الأسرة وعدم إغفال رأي الوالدين بصورة خاصة. فقد تأكدنا من خلال دراستنا الميدانية أن الأبناء لا يقدمون على الزواج إلا بعد الموافقة الصريحة من طرف العائلة خاصة الوالدين والإخوة الكبار، إلى درجة التضحية والتنازل عن اختيارهم في حالة عدم الموافقة، هذا طلبا

¹ نصيرة قشيوش المرجع السابق، ص 13.

² مقابلة مع الإخباري رقم (01)، يوم 28 مارس 2015، على الساعة 11:00.

³ نصيرة قشيوش، مرجع سبق ذكره، ص 14.

لرضاهم لأن ظهور العائلة مظهر الموافقة من الأمور الضرورية والمسائل الحيوية جدا في المراحل اللاحقة، إذ أن الزواج لا يتم أصلا في حالة عدم موافقة الوالدين، وإن كانت موافقتهم بتحفظ، فمن الأكد ظهور المشاكل والمنغصات، واختلاق المشاكل على أتفه الأسباب في مراحل الخطبة والزفاف وغيرها، وبصورة خاصة الأم التي تعد العقل المدبر لكل أمور نجاح أو فساد العرس لأنها المسؤول الأول والمباشر في كل عمليات التجهيز لكل مراحل الزواج وهي الأمر النهائي حتى في بعض المسائل التي تتعلق بالرجال. بخصوص هاته النقطة قال لنا المبحوث رقم (05) "الواحد لازم عليه يدي موافقة والديه ويكونوا راضيين عليه ولا تخسر La faire، أنا اخترت واحدة نحبها بصح الوالدة كي شافتها ما وافقتش عليها لأسباب في نفسها، من بعد الخطبة ولت ديرلي في المشاكل، وتتسبب باش تغضب مالي العروس حتى يبطلوا بالذراع، تصوري حتى كي ندو هدية في العيد ولا في أي مناسبة تنقص منها ولا تشري هي براياها الحاجة إلي ما تعجبش العروس، وفي كل مرة ديرلي المشاكل حتى توصلنا لطريق مسدودة وعايينا بعضانا وتفارقنا"¹. من منطلق هذا الكلام يتضح لنا جليا أن الوالدين حتى وإن وافقا تحت أي ظرف أو ضغط فإنهما يختلقان المشاكل للتفريق بين الطرفين وكما قلنا الأم بصفة خاصة في مجتمع الدراسة.

من خلال ما تقدم نصل إلى أن الاختيار للزواج في مجتمع الدراسة مدينة الشريعة حتى وإن اتجه بصورة ما وبدرجة معينة إلى الإختيار الشخصي والذاتي لاعتبارات التغيير الحاصلة في المجتمع على جميع المستويات إلا أن سلطة ورغبة الوالدين لا يمكن تجاهلها ولا الخروج عنها، لأن لها دور كبير وأثر فعال في اتخاذ قرار الزواج بالنسبة للشباب أو الشابة. ونستشهد هنا بقول آلان جرار في بحثه حول إختيار الشريك والذي يقول فيه "إن لم تعد الأسرة تقرر عملية الزواج بطريقة تسلطية ومطلقة، تبقى الأسرة دائما هي التي تهيء لهذا الإختيار..."²

3.1.1- فضاءات ومناسبات التعارف والاختيار

نعني بفضاءات التعارف هنا الأماكن أو المناسبات التي يكون فيه تعارف الشاب والفتاة مباشرة، أو الفضاءات التي تتعرف فيها أم العريس على العروس أو تعارف أحد

¹ - مقابلة مع المبحوث رقم(05)، يوم 20 أفريل 2015، على الساعة 16:00.

² - هادية العبود البهلول، مرجع سبق ذكره، ص 22.

أقربائها أو أسرتها عليها وهذا متعلق مباشرة بالعنصر الأول وهو الأسلوب، أي أن الفضاء سواء كان عاما أو خاصا أو معنويا فهو يحدد بحسب عملية الاختيار. هذا طبعا بالنسبة لمجتمع البحث، إذ نجد أن الاختيار للزواج في الأسلوب الشخصي عادة ما يكون عن طريق الدراسة أو العمل اللذان يمثلان فضاءين لالتقاء الجنسين. ويمثل هذين الأخيرين الفضاءين الوحيدين للتعارف المباشر بين الشاب والفتاة، لكن تكون العلاقات بصورة سطحية جدا ويكون التعامل بصورة متحفظة تبعا للعادات المعروفة في المجتمع والذهنية السائدة ومن منطلق "الكل نعرفو بعضانا" أي أن الجميع يعرفون بعضهم فهذا من هذا العرش ويعرف بقية العروش الأخرى وصفاتها العامة والطباع التي تطبعهم في غالبيتهم، لذا نجد الشاب في الكثير من الأحيان لا يرى داع إلى معرفة الفتاة بصورة معمقة لأنها "بنت العرش الفلاني أو أخت فلانة أو أن أهلها مناسيين عائلة فلان" هذا ما يتردد على ألسنة الشباب وما يدور في أذهانهم أي أنه لديهم صورة مسبقة على الفتاة التي تعرفوا عليها من خلال محيطها ولقبها العائلي. فنجدهم لا يترددون كثيرا في الشروع في قرار التعرف على أهلها مباشرة وخطبتها. كما يحكم هؤلاء الشباب على الفتاة من خلال سلوكها في محيط دراستها وسلوكاتها في عملها وانضباطها. أما بالنسبة للفضاءات الأخرى في مجتمع الدراسة فينوب عن العريس والداه أو إخوته أو أخواته أو أحد أقاربه في عملية الاختيار والتي تكون عن طريق الصدفة أو عن طريق البحث المخطط بعد إعلان الشاب عن رغبته في الزواج وخاصة بعد إلحاح من والدته التي تحب أن تراه متزوجا وله أولاد قبل أن تموت.

تكون عملية الانتقاء محصورة في:

• الزواج من الأقارب

تقدم في ذلك بنات العم والخال والعمة والخالة والمقربين جدا من العريس وأهله وكل من يحمل نفس لقب عائلة العريس أو كما يقال في مجتمع الدراسة مدينة الشريعة" بنت La famille" وتستند عملية هذا الاختيار على العادات والتقاليد والمدعم بالأمثلة الشعبية "زيتنا في دقيقتنا" أي منا وإلينا، و" من فمي طاحت في كمي". وما يدعم ويفسر الإقبال على هذا الزواج من الأقارب هو استمرار الروابط الأسرية بين الأقارب حيث أن العريس تكون له فرص الاحتكاك بالأقارب فيفضل الزواج بمن يعرفها هو وأهله.

- استمرار عادات وقيم اجتماعية متوارثة ترى في الزوجة القريبة بصلة الرحم أو الدم زوجة مثالية.
- معرفة أصلها وفصلها.
- الاشتراك في نفس الطبائع والعادات والتقاليد والذهنية (العقلية) لدى تلك الأسر.
- وهذه النقاط تحصلنا عليها من خلال مجتمع البحث. ويفسر علماء الاجتماع أن نظام الزواج من أبناء العمومة كان سائداً في الأسرة العربية إلى عهد قريب وخاصة في القرى الزراعية والبادية والمجتمعات البسيطة التي لازالت تحافظ على هذا النظام لكن بدرجات متفاوتة إذ " يشير الحد الأقصى إلى ضرورة زواج البنت من ابن عمها، بينما يشير الحد الأدنى إلى زواج البنت داخل العشيرة." ¹ يقابل معنى العشيرة في مجتمع الدراسة العرش. ويحظى الزواج بين أفراد العائلة بالموافقة من الجميع ثم يلي هذا الزواج من نفس العرش كما قلنا. ونجد الأمهات يحبذن هذا النوع من الزيجات، لأنه يحافظ على سيطرة الحماية على العروس، ويعزز مكانة الرجال وسلطتهم في العائلة، وبالنسبة للعروس فزواجها من ابن عمها يقوي علاقتها بأهلها ويشعرها بحمايتهم. إذا فالملاحظ والمستخلص من هذا الزواج هو تقوية الروابط العائلية وضمان الحماية وتعزيز المركز والمكانة بالنسبة لكل من العائلتين المتصاهرتين سواء النساء فيها أو الرجال وبصورة خاصة العروس والعريس. فالزواج من ابنة العممة أيضا يقوي الروابط العاطفية للعروس التي تشعر أنها ستعيش في حمى خالها، وأن قرابتها تمنحها مكانة قوية تكون فيها مدللة ولن تمارس عليها الحماية سلطتها، كما يشعر العريس بزواجه من أقارب والده بالرضا وارتباطه عاطفياً بهم مما يقوي علاقاته الأبوية. ²
- يدخل في الزواج من الأقارب الزواج من أبناء الخؤولة ونجد هذا النوع سائداً في العائلات ذات الارتباط بعائلة الأم. وقد أشار ليفي ستروس إلى أنه في المجتمعات الأبوية تكون السلطة بيد الأب ويمثل الخال مصدر الحنان لابن أخته وهو بمثابة أمه، والعكس في المجتمعات الأمومية إذ تكون السلطة في يد الخال ومصدر الحنان والرفق هو الأب. ³

¹ - زينب إبراهيم العزبي، برنامج دراسة المجتمع علم الاجتماع العائلي المستوى الأول - فصل دراسي أول، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة بنها، د.ت، ص 88.

² - محمد عبده محبوب وفاتن محمد شريف، الثقافة والمجتمع البدوي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص ص 241-242.

³ - المرجع نفسه، ص 250.

وقد اعتبر راد كليف براون Radcliffe brown علاقة الخال بابن أخته علاقة بنائية لها أهمية كبيرة في البناء الاجتماعي¹. وفي مجتمع الدراسة يفضل هذا النوع من الزواج من منظور أن القريب تسهل السيطرة عليه وقيادته كما تكون التزامات وتكاليف الزواج ميسرة وعناية الكنة بأهل زوجها خاصة الأم والأب عند كبرهما ستكون مضمونة.

• فضاءات الجيران

حيث نجد الجارات خاصة العجائز والنساء المتزوجات المتوسطات في العمر يزرن بعضهم البعض في البيوت في مناسبات الولادة والسبوع والختان أو سهرات رمضان والأعراس أو حتى في المناسبات السيئة كتعرض أحد الأفراد لحادث أو موت أو فجيعة تلم بأحد الجيران حيث يتسنى للأم أو الأخت أو الجدة مشاهدة ومعاينة بنات الجيران إحدى قريباتهن في تلك المناسبات لأنها فضاءات للأحاديث النسوية ولرؤية الفتيات دون مواعيد محددة حيث تجري فيها التصرفات والسلوكات بعفوية وتلقائية، فيكون الأفراد صور حقيقية عن بعضهم البعض، هذا كله محكوم بعادات وتقاليد الناس في مجتمع الدراسة حيث مازال الجيران يتبادلون الزيارات وتفقد بعضهم البعض. وحتى في الحالات النادرة التي لا يسمح فيها رب الأسرة بتلك الزيارات تتخاطب النسوة والفتيات من فوق أسطح البنايات ويطلن على بعضهم ويتبادلن أطراف الحديث خلصة عن الرجال فيصافد أن تعجب أم أو جدة بابنة جارتها أو صديقة بصديقتها التي هي جارتها. وهذا ما استقيناه من ميدان دراستنا الذي مازالت فيه بعض الطرق التقليدية في تواصل الناس مع بعضهم البعض.

• فضاء الحمام

هو فضاء للقاء النساء من جميع الطبقات والشرائح الاجتماعية والفئات العمرية. وكان في نظر جميع النساء مرادفا للقاء وتبادل الأخبار وفضلا عن تلبية حاجة الجسم من نظافة واسترخاء، تمارس المترددات على الحمام متع أخرى ومنها الفضول في معرفة أخبار الناس والتجسس على الأخريات أو الالتقاء بالصديقات أو انتقاء فتاة للزواج².

¹ - محمد عبده محبوب وفاتن محمد شريف، المرجع السابق، ص 250.

² - فضيلة كريم، الحمامات موجز تاريخ الحمامات، ترجمة: حضرة يوسف، دار النشر، دحلب، الجزائر، 2007، ص

وتتوفر مدينة الشريعة على حمامات عمومية كثيرة ترتادها النساء من أجل أغراض كثيرة مثل الاستحمام والاسترخاء، شراء السواك واللوان والقرنفل وبعض الحاجيات التي لا توكل مهمة شرائها للرجال، وأيضا شراء الملابس إذ تتواجد بالحمامات نساء يطلق عليهن "الدلالات" وهن يمتهن البيع داخل الحمام حيث تكون هناك أجزاء مخصصة لهن داخل فضاء الحمام مقابل أجرة يدفعنها لصاحبته، حيث يقمن هن أيضا بجانب مهنتهن بمراقبة المترددات على الحمام عسى تقع أعينهن على فتاة تصلح للزواج وهذا لأن إحدى قريباتها أو صديقاتها أوصتها بذلك، حيث تكون هي عينها هناك ولأن أم العريس أعطتها بعض المواصفات مركزة على الجمال وخلو الفتاة من العيوب وقد تقوم الأم أو الأخت بانتقاء العروس من بين الفتيات اللاتي عثرت عليهن هناك عن طريق الصدفة أو التعمد.

• قاعات الحلاقة والخياطة

من المتعارف عليه في مجتمع البحث أن الكثيرات يترددن على قاعات الحلاقة بصورة متكررة خاصة في أوقات المناسبات لغرض قص الشعر وصبغه والتبرج. خاصة المتزوجات أو المقبلات على الزواج، هناك تلتقي النسوة أيضا وقد ترافق الأم ابنتها أو بناتها أو الجدة حفيداتها أو أخت الزوج زوجة أخيها من أجل تلك الأغراض، وهناك قد تتعارف النساء على بعضهن فتعجب إحداهن بفتاة أثناء فترات الانتظار فيتبادلن الحديث كثيرا ويبدأ التعارف.

كما تتردد النساء أيضا على الخياطات لخياطة جهازهن أو ملابس للأعراس والمناسبات كالأعياد وبحكم عادات المجتمع فالفتاة الغير متزوجة عادة ترافقها أمها أو أختها المتزوجة أو جدتها إلى الخياطة، وهناك تكون أيضا فرص للتعارف ولقاء فتيات في سن الزواج، وقد حضرنا حتى لبعض الأمهات اللاتي إلتقين صدفة وخلال فترة الانتظار تجاذبن أطراف الحديث عن بناتهن فقررن التعرف على بعض لعله يكون نصيب لإحدى بناتهن في أبناء الأخرى.

نضيف هنا أن الأعراس هي مناسبات مشتركة ومهمة على خلاف المناسبات الأخرى بين كل الفتيات لأنها تتعرف فيها أم الشاب الراغب في الزواج على كل الأنواع من الفتيات فقد يكون عرس عند الأقارب ويصادف أن تلتقي بفتيات من الأقارب لكن لا تعرفهن وقد تلتقي في نفس العرس على بنات الجيران أو الأحباب والأصدقاء وقد يكون فضاء الحمام أو قاعات الحلاقة أو الخياطة في حد ذاتها فضاءات لمناسبات الأعراس، حلاقة

العروس ومرافقاتها وقرباتها وصديقاتها أو الذهابات إلى الأعراس اللاتي يسعين إلى التبرج والزينة وممارسة طقوس الحمام وغيرها.

وتقودنا معالجة أسلوب الاختيار للزواج وفضاءاته ومناسباته والتي استقيناها من ميدان الدراسة مدعما باستدعاءات نظرية من الحين إلى الآخر ومن خلال المعلومات المجمع من أدوات الموظفة في الدراسة إلى ربطها بعنصر تفسير الاختيار للزواج بصورة نظرية وتطبيقية مباشرة من ميدان ومجتمع الدراسة.

4.1.1- النظريات الاجتماعية والثقافية للزواج على المستوى النظري والميداني

قدم علماء النفس وعلماء الاجتماع أسس عديدة تقوم عليها عمليات الاختيار للزواج تعني كل أسرة عند اتخاذ أبنائها قرار الزواج بعملية الاختيار كثيرا وتتصب عليها اهتماما كبيرا في مجتمع الدراسة، إذ تسعى الأسرة أن تكون عملية الاختيار دقيقة، فنتجت عن البدائل والوسائل والقرارات والاستشارات المتعددة لضمان هذه العملية واتخاذ القرار النهائي في تحصيل الزوجة المناسبة، ولضمان زواج ناجح يجب أن تكون عملية الاختيار صائبة. فتكون لأفراد الأسرة عادات وقيود اجتماعية تسيير عليها في هذا الاختيار وتخضع لها. وحرص العلماء على تفسير أساليب الاختيار نفسيا واجتماعيا وثقافيا ونظروا لذلك. وبحكم نوع موضوعنا وانتمائه إلى تخصص علم الإنسان ركزنا على النظريات الاجتماعية والثقافية وتناولنا ما يشرك مع ما وجدناه في الجانب الميداني.

• نظرية التجانس

تركز هذه النظرية على أن الاختيار السليم للشريك في الزواج يتم على أساس من التشابه والتجانس بين الطرفين، ويطلق عليه أيضا الزواج التجانسي ويعرف " بأنه ميل الناس شعوريا ولا شعوريا لاختيار شريك تتشابه خصائصه مع خصائصهم¹ ويتمحور هذا التشابه والتجانس حول الخصائص الاجتماعية العامة من دين، لغة، مستوى تعليمي واقتصادي، مهارات وغيرها، وأيضا الخصائص والسمات الجسمية العامة من طول ولون بشرة وغيرها من الصفات الجسمية لدى الفرد.

¹ - عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع العائلي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003، ص

وقد قابلنا العديد من الحالات التي أجرينا معها مقابلات، تعرفنا فيها على الطرفين فوجدنا أن الطرفين ينتميان إلى بيئة اجتماعية لا نقول نفسها لكن نقول مشتركة في الكثير من الخصائص كما يقول المثل " الطيور على أشكالها تقع" وقد علق إحدى المبحوثات على استغراب أهلها وأقاربها وصديقاتها على اختيارها لزوجها بحكم أنه قصير القامة قائلة: "قالوا واش عجبك في هذا الرجل قتلهم يشبهني ياسر في الطبايع والثقافة".

• نظرية التجاور المكاني

ومفادها أن الناس يحبون ويتزوجون فقط ممن تسمح الفرصة بالتواصل والاختلاط بهم، ويتمثل هؤلاء الناس في دائرة المعارف من جيران، أصدقاء، دراسة وعمل وهذا ما وجدناه في أسلوب الاختيار الشخصي إذ كان فضاء العمل والدراسة مكان للاختلاط والتعارف، وانعدام أماكن أخرى لتلاقي الجنسين كالنوادي، دور السينما، دور الشباب وغيرها من المرافق . وأكدت البحوث الراهنة حول هذه النظرية أن الميل في الزواج من الذي يجمعهم نفس النطاق الجغرافي يزداد ويقوى في المجتمعات المحلية وبين ذوي التعليم المنخفض والمهن البسيطة والدخل المتواضع. ونحن هنا لا نهدف إلى إثبات صحة هذه النظرية من عدمها. لكن وجدنا أنها تساهم ويقدر كبير في زواج أبناء وبنات مدينة الشريعة من بعضهم البعض إذن يؤدي التقارب في السكن أو المنطقة الجغرافية إلى تطوير العلاقات وزيادة فرص اللقاءات الاجتماعية العفوية وغير المخططة بين المعارف والغرباء على حد سواء. وما استقيناه أيضا من ربط هذه النظرية بالواقع أن هناك تكافؤ في المستوى الطبقي في الزيجات إذ لم نجد فوارق كبيرة ملاحظة بالنسبة للأسر المتصاهرة.

• نظرية القيمة

ترتكز هذه النظرية على النسق القيمي لدى الفرد. لذا نجده يختار شريكة حياته من أولئك الذين يقبلون قيمه الأساسية، لأن نسق القيم يختلف من شخص إلى آخر، وما نجده شديد الأهمية من قيم لدى شخص، لا يقل أهمية كبيرة بالنسبة لشخص آخر. وتتجلى قيمة النسق في صور وردود فعل عاطفية واضحة إذ نجد الشاب يعزف عن فتاة لا تقبل قيمه أو لا تتشارك معه فيها بل قد يهاجمها بصورة معينة.

واستخدم مفهوم القيمة لفهم الاختيار للزواج على يد "كومز" الذي يربط بين نظريتي التجانس والقيمة حيث يرى أن القيم مكتسبة بالخبرة الاجتماعية لذا فأولئك المتشابهين في بيئاتهم أو خلفياتهم الاجتماعية يتشابهون في حكمهم على ماله قيمة لديهم مثل الانتماء إلى نفس الطائفة الدينية الذين نجدهم متجانسين في آرائهم الدينية¹ وهذا ما يفسر اختيار الأسر لبعضها البعض، حيث وجدنا أن الاختيار سواء كان شخصي أو أسري يركز على هذا الجانب فمثلا وجدنا أسر ركزت في اختيارها على الجانب الديني، وأخرى على المكانة الاجتماعية، وفئة ثالثة على الجاه إلى غير ذلك، وهذا في نفس المكان الجغرافي. وننتهي هنا إلى ربط هاته النظريات الثلاثة مع بعضها إذ نجدها أنها تتلاقى باعتبار أن التجاور المكاني أوجه التجانس وقد يكون سببا في التجانس حيث أن أفراد البيئة الواحدة يتجانسون ويتشابهون كثيرا وتعد القيم من مظاهر هذا التجانس. ومن خلال هذا العرض الميداني المدعم بالنظري ننتقل إلى معايير وأسس اختيار الزوجة.

2.1- معايير اختيار الزوجة

يعتبر الزواج في مجتمع الدراسة مدينة الشريعة شأنا عائليا يخص الفرد المقبل على الزواج وإخوته وأخواته ووالديه وأيضا بعض الأقارب المقربين. حيث تركز الأسرة على بعض الصفات التي ترغب أن تكون في الزوجة مثل الجمال والأخلاق، والقرابة وصغر السن مسترشدة في ذلك بالعادات والتقاليد السارية في المجتمع، ولكل مجتمع مفاهيم حول هذه الصفات والمعايير والقواعد التي تراها مؤسسة لزوج لكن تختلف الصفات والخواص المطلوبة لأنها تخضع لشخصية الفرد وتوقعات الذين يتخذون القرار، وهي صفات رئيسية ومتغيرة².

ومن خلال دراستنا الميدانية وجدنا سيطرة وسيادة بعض المعايير التي تركز عليها أسر مجتمع الدراسة، فيما يلي تفصيل لها:

1.2.1- الأخلاق و التربية والسمعة الحسنة

يركز الراغب في الزواج على صفات معينة حسب ميوله ورغباته الفردية وتنشئته أو حسب اتجاهات الأسرة باعتبارها طرف أساسي في عملية الاختيار. إذ تختلف الدوافع في

¹ عبد الرؤوف الضبع، مرجع سبق ذكره، ص 27.

² سناء الخولي، مرجع سبق ذكره، ص 159.

مرحلة اختيار الشريك باختلاف الاتجاهات الفردية فبعض الرجال يؤثرون الأخلاق، ويضعونها في المقام الأول، ويستفاد من بحثنا الميداني أن الأسر والأفراد في مجتمع الدراسة يركزون كثيرا على الأخلاق والتربية الحسنة للفتاة باعتبار أن صفة الأخلاق الكريمة تتأتى من تدين الفتاة وتطبيقها لتعاليم الدين التي تحت المرأة على حفظ زوجها في عرضه وماله وأولاده وقد أوصى الإسلام على الدين كأساس لعلاقة زوجية ناجحة. واتفق المبحوثين من الرجال خاصة على هذه النقطة وأكدوا عليها وعبروا عن آرائهم بخصوص ذلك بأن المرأة المتدينة هي غطاء وستر للرجل ومساعدة له في كل الأحوال والظروف لأنها واعية بقيمة ذلك، وتتمثل الأخلاق والتربية الحسنة في الهدوء والطاعة والوداعة ويقال عنها في مجتمع الدراسة "المرأة العاقلة، لا تهش، لا تنتش" بمعنى أنها مطيعة لا تخالف رأيا لأحد خاصة الرجال سواء كانوا إخوانها أو أبوها أو أعمامها أو أخوالها. فقيمة الرجل في مجتمع الدراسة كبيرة ومميزة ويتفوق على المرأة مهما كانت ويكون أعلى شأنًا منها كما يقول المثل "الرجل مقدر ولو كان طاجين مجبر" بمعنى أن للرجل قيمة أعلى من المرأة مهما كانت متفوقة عليه في المستوى الثقافي التعليمي أو ذكاء أو غير ذلك. لذا يجب على المرأة أن تطيعه طاعة عمياء حتى ولو لم يكن رأيه سديدا أو يظلمها أو يقصر عليها، أو بعضها فيجب أن تأخذ برأيه وتتبعه، وإن خالفته وناقشته فلا تعتبر امرأة صالحة. وعبر أحد المبحوثين بقوله "المرأة الصالحة هي التي كي تقولها كحلة تقول كحلة وكي تقولها بيضاء تقول بيضاء" وتتشأ الفتاة على هاته الأفكار التي تغرسها فيها والدتها ومحيطها الذي تعيش فيه، فتكبر وهي خاضعة لا تحس بأي دونية بل على العكس تحب أن يقال عن تحكم زوجها فيها بأنه "راجل ورايو من راسو" وإذا كانت المرأة ذات شخصية قوية وتناقش وتعترض خاصة زوجها فإن ذلك يعد منقصة في حقه¹ ويقال عنه في مجتمع البحث "رايو من راس مرتو" وبعض الألفاظ الغير لائقة التي لم أحبذ ذكرها.

2.2.1- الأصل الطيب والحسب

الأصل الطيب أي المنبت الحسن للفتاة. وهي من الصفات التي ترفع من شأنها وتشجع الناس على انتقائها زوجة لأبنائهم إذ يقال "بنت فلان بنت أصل"، ونفهم من هنا ربط

¹ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص 258.

الفتاة بأجدادها وأهلها الذين يكونون معروفين بالعراقة والصفات الطيبة المرغوب فيها، لأن المرأة كما تقول فوزية ذياب مادامت تحمل صفات أهلها المعروفين بالعراقة والسلالة الجيدة فهي لا بد أن تحمل صفاتهم الحسنة تلك¹، وهي التي تجعلها متمسكة بشرفها ودينها وتصون عرضها وتحفظ نفسها من الزلل. وتكون زوجة وفية ومخلصة لا تتخلى عن زوجها إذا مرض أو عجز أو أصابته الحاجة، فهي دائماً معه لا عليه. كما يؤكد أفراد مجتمع الدراسة على أن الرجل يتفاخر دائماً بأصل من يصاهره وبمكانته بين الأسر والعائلات فيقول: "أنا مناسب فلان بن فلان" كما يفضل الزواج بالفتاة التي لها إخوة كثيرين ورجال ذوي مكانة في المجتمع مما يزيد في مكانة العريس حيث يصبح الناس يقدرونه أكثر ويحسبون له ألف حساب ويقدمون له الخدمات، ويخدمون مصالحه. أي أن هذه الصفة أساسها الاختيار العقلاني من أجل المصلحة والمنفعة وهذا ما عبرت عنه نصيرة قشيش على ضوء نظرية التبادل أو الاختيار العقلاني الذي تتلخص فكرته في أن العلاقات بين الناس تهدف في المقام الأول إلى الحصول على المنفعة، وهي بذلك تركز وتؤكد على الإجراءات العقلانية التي يتبعونها في تقرير أفعالهم فالشخص يختار ما يجلب له أكبر قدر ممكن من الإشباع والمنفعة² لذا يلعب معيار الأصل والحسب دوراً ثانياً في اختيار الفتاة للزواج في مجتمع الدراسة الذي يهتم به أصل الفتاة يؤدي إلى توريثها لصفات وأهلها لأولادها ولخصالهم وطبائعهم كما أن المال يكسب الزوج وجاهة اجتماعية جيدة و يمنحه رمزا وسلطة وهيبة ضمن بيئته الاجتماعية. كما تحرص العائلات على الحفاظ على مكانتها الاقتصادية ومستواها المادي إذ تختار الفتاة من عائلة تكافئ عائلة العريس مادياً في أغلب الأحيان، إذ أنه نادراً ما يرتبط ثري بفتاة فقيرة، فالاعتبارات الاقتصادية ذات أهمية في مجتمع الدراسة.

3.2.1- الجمال

يمثل الجمال صفة مستحبة في الفتاة المراد خطبتها وهي قوة تجذب الرجل للمرأة فيقبل عليها الرجال باختلاف المجتمعات. كما أن وسامة الرجل تجذب المرأة لأن الإنسان بطبعه خلقه الله محباً للجمال في كل شيء. والجمال بالنسبة للرجل يريح قلبه ويسر ناظره ويكمل

¹ فوزية ذياب ، مرجع سبق ذكره ، ص 260.

² نصيرة قشيش، مرجع سبق ذكره، ص 19.

سعادته. وتحمل صفة الجمال في طياتها معاني كثيرة، تختلف حسب الميول والأذواق والمدارك الشخصية، فمفهوم الجمال مفهوم مجرد يخضع لتصورات وتمثيلات الجماعات الإنساني. ويعرف الجمال على أنه "سمة كل شيء جميل... وهو كل ما يوحي على الإعجاب والمتعة والقوة والكمال والنبيل..."¹

وينقسم الجمال إلى مستويين: الأول متعلق بالباطن الرمزي اللامادي والثاني متعلق بالمادي اللارمزي. ويتجلى الأول في جمال الروح والنفس والعقل كالخصال الحميدة والأخلاق الطيبة والمبادئ ذات العلاقة بالخير والحق، ويتمظهر الجمال الظاهري في كل ما تراه العين من صفات مادية حسية².

أما في دراستنا الميدانية فمن خلال ملاحظتنا واتصالنا بشباب مقبلين على الزواج وأمهات يبحثن عن زوجات لأبنائهن نستطيع القول أن جلهم يبحثون عن الجمال الطبيعي الغير صارخ والبعيد عن صالونات التجميل وأدوات الزينة المختلفة التي كثرت في أيامنا هذه. كما أكد الجميع على جمال الأخلاق بالموازاة مع الجمال الظاهري. فقد قالت الإخبارية رقم(02) "الزين زين لفاعيل" و"الزين ما بنى ساس"³.

ومن خلال مقابلاتنا وحواراتنا مع أفراد مجتمع البحث ركزوا على الصفات التي إن كانت عند الفتاة تعد جميلة، وهي امتلاء الجسم أي أن تكون المرأة سميحة وأن تكون بشرتها بيضاء كما يفضلون العروس ذات الشعر الطويل الأسود أو الأشقر وذات القامة المعتدلة والعيون الواسعة الخضراء أو الزرقاء والبعض يفضل العسلية. وفي وصف العروس الجميلة يقولون "أن عيناها كالغزال وفمها كالخاتم وأنفها مسروب"، أي أن مجتمع الدراسة يركز كثيرا على جمال وبهاء الوجه.

¹ - بن عبد الله زهية، الجمال والجسد الأنثوي: التمثيلات والممارسات مقارنة سوسيو أنثروبولوجية حول التزين وممارسات العناية بالجسد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الهوية والتغير الاجتماعي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، 2004-2005، ص 16.

² - بن عبد الله زهية، مرجع سابق، ص ص 18-19.

³ - مقابلة مع الإخبارية رقم(02)، يوم 13 أبريل 2015، على الساعة 13:30.

4.2.1- البكارة

نعني بالبكارة هنا المرأة التي لم يسبق لها الزواج ويرتبط مفهوم المرأة البكر بالعذرية، حيث تعد الفتاة العذراء ذات قيمة والعذرية هي رمز العفة والطهارة ومحافظه الفتاة على شرفها وشرف عائلتها والتي تتأكد ليلة الدخلة. وتفضيل الرجال للعذرية قديم جدا، وهو نابع من شعور يقارب الغيرة تجاه النساء اللواتي سبق لهن إقامة علاقات مع رجال آخرين، وجزئيا من تقدير غريزي للعفة الأنثوية، إن نموذج الرجل المفضل هو العذراء، لا المتحررة¹. ويعد معيار البكارة شرط أساسي في مجتمع البحث إذ لا يتزوج الرجل الأعزب من أرملة أو مطلقة إطلاقا. وإن حصل ذلك مع أحدهم ينظر إليه الناس وكأنه ارتكب جريمة ويعود هذا التفضيل للزواج بالبكر إلى اعتبارات هي أن المرأة غالبا ما تحب الزوج الأول في حياتها وتألفه، أما إن سبق لها وأن تزوجت فقد لا تأمن من كان غير شبيه بزوجها الأول، وقد ينفر الزوج أيضا من المرأة التي كانت في ذمة رجل آخر وتتقص محبته لها فلا تكون بينهما ألفة ونستطيع القول أن ذلك يعود من العوامل النفسية لأن الرجل يجب دائما التملك والاستحواذ على الأشياء خاصة المرأة التي تكون زوجته حتى في تفكيرها.

نستنتج مما سبق أن البكارة بمفهومها شرط أساسي ومفروض لإتمام عملية الاختيار للزواج، وتعد العذرية مقدسة في كل الثقافات وعند الغالبية العظمى من المجتمعات. ونتطرق بالتفصيل لهذا المعيار في الفصول اللاحقة.

5.2.1- صغر السن

يرادف صغر السن الزواج المبكر وهو ذو قيمة عالية في المعتقد الشعبي، وهو عصمة من الزلل وصيانة للشباب والفتاة ويحقق الإشباع الجنسي تحقيقا مشروعا² لدى الفتاة وهو من الصفات المرغوبة في الخطيبة في منطقة الدراسة مدينة الشريعة، إذ نجد أغلبية الشباب يشترطون هذا المقياس من منظور أن الفتاة الصغيرة السن يمكنها أن تنقاد وراء زوجها بسهولة فيكون هو الأمر الناهي، كما يكون لأهله خاصة الأم نصيب في السيطرة عليها وتعليمها وتدريبها على طباع أسرتها الجديدة. وجدير بالذكر أن صغر سن الفتاة لا يشترط فقط إذا كان الخاطب شابا أو أعزبا لكن ضروري حتى بالنسبة لمن يعيدون الزواج من أجل

¹ - إدوارد وسترمارك، مرجع سبق ذكره، ص 145.

² - سامية حسن الساعاتي، المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص

إنجاب الأولاد، أو المطلقين وحتى كبار السن الميسورين الذين يسيطر عليهم هاجس استمتاعهم بحياتهم من جديد وتبرير أن في زواجهم الأول أو حين كانوا صغاراً فرض عليهم أهلهم زوجاتهم وأنهم لم يختاروهم بأنفسهم، وحين الوقت لكل واحد منهم مادام مستقلاً في كبره أن يختار زوجته حسب مزاجه وميوله ورغباته وبمواصفات يحبها هو ومنها صغر سن من يريدها زوجة ثانية أو بعد وفاة زوجته الأولى. وتتمثل هذه الشريحة في مجتمع البحث خاصة في المجاهدين ذوي الرواتب الجيدة والمتقاعدين الأغنياء.

والمبررات المقدمة لاختيار الفتاة الصغيرة السن هو أنه يسهل اندماجها وانسجامها مع أسرة زوجها، بل ربما يفوق انتماءها لأسرتها الأولى من منطلق السيطرة على عواطفها. وتحلل فوزية دياب تمسك بعض المجتمعات بصفة صغر سن الخطيبة بأن ذلك يسهل السيطرة عليها، فكلما كانت الزوجة صغيرة السن تمكنت حمايتها (وهي شخصية رئيسية في الأسرة) أن تضعها تحت طوعها¹، وتضيف مبررات تتعلق بحقائق الحياة النفسية لدى الفرد، إذ أن مرونة الشخص وقابليته للتكيف، وقدرته على تغيير سلوكه تتناسب طردياً مع سنه.² وأفراد مجتمع الدراسة مقتنعين بأن صغر السن ضمان لخصب المرأة و إنجابها لأولاد كثر، وضمان أيضاً لخلوها من الأمراض وقدرتها على القيام بمسؤولياتها المختلفة على أكمل وجه. وقالت لنا المبحوثة رقم (06) أنها تسبق هذه الصفة على الجمال قائلة: "واش يدير الرجل بالمرأة الكبيرة لا تقدر تولد ياسر لا تقدر تخدمو فثنا³. أي أنه ينظر للمرأة الكبيرة في السن أنها لا تستطيع إنجاب الكثير من الأولاد ولا تستطيع خدمة زوجها وأسرته بصورة جيدة. ونوه أن الفتاة حتى سن الخامسة والعشرين مقبولة لكن إن تجاوز سنها ذلك تقل فرصها في الاختيار، أما التي تجاوزت الثلاثين في مجتمع الدراسة توصف ببعض العبارات كـ "بايرة، عزوز، شارفة" إلى غير ذلك من الأوصاف والنعوت التي تركز النظرة الدونية لها من طرف الشباب منذ صغره، فينشأ وهو رافض لمبدأ أن تكون عروسه كبيرة السن وقد أكد لنا بعض من المبحوثين أنهم التقوا بفتيات تجاوزن الثلاثين ووصفوهن بأنهن كن من خيرة الفتيات لكن عمرهن جعلهم يتراجعون عن خطبتن فحتى إن رضي الخاطب فأسرته خاصة والدته لن ترضى بذلك، انطلاقاً من المبررات المذكورة سابقاً، وقد أخبرنا المبحوث قائلاً "والله

¹ - فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص 259.

² - المرجع نفسه، ص 260.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (06)، يوم 02 ماي 2015، على الساعة 18:00.

كأينة طفلة تخدم معايا عجبنتي ياسر في أخلاقها وتربيتها وحببت نخطبها بصح بصراحة كي عرفت عمرها بطلت، واش ندير بوحدة عمرها 38 سنة، قادرة ما تولدش" ومفاد كلام المبحوث أنه عدل عن خطبة الفتاة بسبب سنها، وحكم عليها بأنها في الغالب لا تستطيع الإنجاب، ومثل هذه الآراء والأفكار كثيرة لدى الأفراد في مجتمع البحث وتسيطر على تصوراتهم لمستقبلهم المتوقع على اختياراتهم. وهناك حالات نادرة وشاذة فقط بالنسبة لمن يتزوج بفتاة كبيرة السن، والشاذ لا يقاس عليه.

3.1- الزواج وأنماطه

يتفاوت تفضيل نوع معين من الزواج من مجتمع إلى مجتمع آخر تبعاً لوضع ومكانة الأسر القيود الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتوارثة عبر الزمن، وقد أطلق علماء الأنثروبولوجيا اسم أو عبارة " الزواج المفضل" عندما تتوفر وتسود هذه القيود وهناك معايير وعادات وتقاليد واتجاهات فردية وجماعية تحدد الزواج المفضل من مجتمع لآخر. واتفق الأنثروبولوجيون عموماً على وجود نوعين من الزواج هما الزواج الداخلي والزواج الخارجي.

1.3.1- الزواج الداخلي

تمتلك كل المجتمعات الإنسانية نظماً اجتماعية تحدد قواعد ومقاييس معينة للأفراد الذين هم مقبلين و راغبين في الزواج أو الاقتران بشريك لتشكيل مؤسسة الزواج. والأحكام التي تلزم الفرد على الزواج من داخل جماعته و ملته يطلق عليه الزواج الداخلي، في حين يطلق الزواج الخارجي حين تلزم الجماعة الفرد بالزواج من خارج جماعته و ملته¹. بمعنى آخر و كما يقول معن خليل العمر في معجم علم الاجتماع المعاصر أن قانون الزواج الداخلي يسمح بالزواج ضمن جماعة معينة مبنية على العلاقة القرابية - الدموية القبلية أو الطبقية أو الدينية.²

يعد الزواج من الأقارب خاصة أبناء العمومة زواج داخلي لأنه يقع ضمن حدود وحدة اجتماعية معينة هي جماعة القرابة الدموية، وقد ساد هذا النوع في المجتمعات العربية التقليدية منذ عهود بعيدة، وعد الزواج من بنت العم زواج مثالي لأنه داخل إطار العائلة. ويؤدي هذا النوع من الزواج إلى الحفاظ على تجانس الجماعة، و كان منتشرًا في الجماعات

¹ - إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1988، ص 122.

² - معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 212.

الإنسانية خاصة العربية، كما هو الشأن في الأسرة الجزائرية إذ أنه معمول به حتى اليوم في بعض المناطق¹ و يتنوع الزواج داخل مجتمع البحث بين زواج داخلي و خارجي بدرجات متفاوتة ضمن نفس المجتمع، فالبعض يفضل الزواج من الأقارب لأنه بذلك يضمن معرفته لأصل الفتاة ونسبها ولا يكلف نفسه عناء البحث عن أصولها التي قد يقع فيها لبس أو تأخذ وقتا للنقصي. كما يزيد ذلك من تقوية صلات الرحم و التكافل و التضامن و المحافظة على اسم العائلة.

جرت العادة في مجتمع البحث أن الفتاة إذا تقدم لخطبتها رجل ليس من أقاربها، فإن والدها يدعو كل أقربائه خاصة أبناء أخيه وأبناء أخوال الفتاة وآباءهم لاستشارتهم في هذا الزواج لأن العادات تقضي بأن يعرض والد الفتاة على هؤلاء الزواج من ابنته إلا إذا أبوا. وإذا كان غير محبذ لذلك فانه يختلق الأعذار حتى لا يخلق العداوة بينه و بين أقاربه الذين يرون أنهم أحق بالفتاة من غيرهم ويقدم في ذلك دائما أبناء العمومة والخوولة. وكثيرا ما وقعت مشاكل وشجارات لهذا السبب، وكانت النتيجة مقاطعة أسر وعائلات الإخوة والأخوات لبعضهم البعض على امتداد سنين طويلة.

2.3.1- الزواج الخارجي

هو الزواج الذي تلزم الجماعة فيه الفرد بالزواج من خارج جماعته وملته². ويرى ك.ل ليفي ستروس E.L. Strauss أن هذا النظام نشأ كمكلا لعمليات التبادل المستمرة للسلع بين مجموعتين أو قبيلتين³. كما يقصد به "الزواج خارج مجال الأقارب والنسب الواحد، ويعني أيضا الزواج من خارج المحرمات النسبية أي تحريم الزواج بين المحارم أو من ذوي القربى"⁴. بمعنى أنه يحرم على الفرد الزواج من أعضاء جماعته بسبب قيود التحريم التي تحرم مثلا زواج الإخوة والأخوات من بعضهم البعض وغيرها من أنواع التحريم.

¹ - راضي لبرش، نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت و المتغير، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع العائلي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2002، ص 95.

² - إحسان محمد الحسن، مرجع سبق ذكره، ص122.

³ - Levi-Strauss, Les structures élémentaires de la parenté, Paris, 1949,P

⁴ - معن خليل العمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، عمان، ط1، 2003، ص 61.

إن الزواج في أصله عبارة عن علاقة خارجية، فالزواج في كل المجتمعات يقوم على أساس اختيار الشريك من خارج أعضاء الأسرة. فالزواج بالضرورة علاقة إكسوجامية وإن كانت تلك الإكسوجامية أو الاغترابية كما يقول البعض_ نسبية تبعا للجماعة التي يختار منها الرجل شريكته أو زوجته. من هنا فإن الزواج الخارجي يهدف إلى توسيع نطاق الدائرة القربانية ودعم وحدتها عن طريق تشابك العلاقات الاجتماعية التي تنتج عن علاقات المصاهرة¹.

وقد تناول العديد من الباحثين والعلماء نشأة هذا النوع من الزواج ومنهم هيربرت سبنسر Herbert Spencer الذي يرى أن هذا الزواج بدأ بسبب الحرب إذ كانت الجماعات المتحاربة تخطف النساء من الجماعات المتجاورة. أما ماكينان فذهب إلى أن الزواج الخارجي نشأ بسبب قتل البنات في بعض القبائل، فكان أصحابها مضطرين إلى إيجاد نساء من خارج القبيلة. ويفسر وستر مارك نشأة الزواج الاغترابي بسبب تربية أبناء العشيرة الواحدة ذكورا وإناثا في بيت واحد فيكثر بذلك اختلاطهم ببعضهم، هذا ما يجعلهم ينفرون من بعضهم وتضعف رغبتهم الجنسية تجاه بعضهم، فيتجه الأفراد إلى المصاهرة خارج عشيرتهم.

نجد إلى جانب الزواج الداخلي في مجتمع البحث الزواج الخارجي الذي يراه البعض مهما لتطوير العلاقات الاجتماعية وتوسيعها، ويدعم التعاون بين الجماعات المتصاهرة في المناسبات المتعددة كالأعراس وحفلات الختان، والمآدب الاجتماعية المختلفة. ويراه البعض الآخر ضمان لنسل جيد وذرية سليمة وخالية من الأمراض والعياهات لأنهم خبروا ذلك بأنفسهم من خلال مقارنة الزواج الداخلي بالخارجي إذ أن الأسر التي زاد الزواج فيها من بعضهم البعض لعدة أجيال يتسم أفرادها بكثرة العقم ونمو غير جيد للأطفال وبنية جسدية ضعيفة وحتى الصفات والسمات الجسمية الظاهرة غير جيدة وقد أفادنا الإخباري رقم (03) قائلا " لاقامي الفولانية يزوزو ياسر من بعضاهم وما يحبوش البراني يدخل في وسطهم وما يخرجوش بناتهم لبرا، ومع الوقت ظهرت فيهم آفات وأمراض والجيل لي يروح فيهم خير من الجيل لي يجي، حتى في الزي ولو خاييين." ² معنى كلامه أن عائلة تحمل لقب معين كان

¹ - محمد عبده محبوب وفاتن محمد شريف، مرجع سبق ذكره، ص 234.

² - مقابلة مع الإخباري رقم 01، سبق ذكرها.

أفرادها منذ عدة سنين يتزوجون من بعضهم لعدة أجيال فكثرت فيهم الأمراض وأنه الجيل الذي يذهب يأتي بعده جيل أسوأ حتى في الخصائص الجمالية.

إن القواعد المتعلقة بمسائل التحريم، أو الإباحة تساعد على بقاء واستمرار البناء القربي وتماسكه بحكم أنه نسق من العلاقات المنظمة. وتعزى كراهة الزواج القائم على القرابة إلى تعريض البناء القربي إلى الخطر الذي يدفع إلى تفادي ذلك النوع من الزواج ومحاربه وإباحة وتفضيل الزواج الذي يساعد على تقوية وتجديد العلاقات والنظام القائم في مجتمع معين.¹

2- الخطبة المبدئية

1.2- مرحلة البحث عن العروس

يسعى الوالدان منذ نضوج ابنهما ويلوغه سن الزواج إلى إقناعه بالزواج وإعطائهم موافقته لبدء البحث عن عروس مناسبة له. وبعد إعلان الابن عن رغبته في الزواج والاستقرار، تبدأ مرحلة الخطبة المبدئية التي تمر بمراحل تتوالى متسارعة أو متباطئة حسب الظروف. يقوم الابن بالإعلان عن رغبته في الزواج بالتحدث إلى أمه حياء من أبيه وأيضا احتراماً له وخوفاً من ردة فعله لأن الشاب قد يقترح فتاة يعرفها لكن لا يحبها والده أو لا يحبذ المصاهرة مع عائلتها، أو قد يكون هو الابن الأصغر أو الأوسط بين إخوته في العائلة إلى غير ذلك من الموانع التي يتعلل بها الوالد، إذ لا يحبذ عادة زواج الابن الأصغر أو الأوسط قبل إخوته الذين هم أكبر منه حتى لا يتعرضوا للقليل والقال ولا تتناولهم السنة السوء، لأن من تزوج قبل أخيه الذي يكبره في مجتمع الدراسة فلا بد (يشكك) أن الأخير يعاني من عيوب أو علة منعه من الزواج، لذا يحرص الوالدان على تزويج أبنائهم بالترتيب كل واحد ودالتو الكبير كبير والصغير صغير" على حسب مجتمع الدراسة ومنظورهم إلى هذا الأمر سواء كان الأبناء ذكورا أو إناثا. فقد يؤدي زواج الابن الأصغر قبل الأكبر إلى إعراض الأسر عنه مستقبلا للاعتقادات والظنون التي يلصقونها به إلى حد الطعن في رجولته في بعض الأحيان والظروف. كما قد يؤدي أيضا زواج البنت الصغرى قبل أختها أو أخواتها إلى عدم زواجهن كما تقول الإخبارية رقم (01): " المجتمع متاعنا شكاك كان وحدة مدت بنتها الصغيرة قبل الكبيرة يشكو فيها ويقولوا أبصر واش بيها ويبطلوا الناس يخطبوها،

¹ - محمد عبده محبوب وفاتن محمد شريف، مرجع سبق ذكره، ص 237.

وتو تبدلت شوية الحالة. بكري عنا عيب ياسر وماشو ممكن خلاص وقريب يقولوا حرام لخاطر العباد كانوا جاهلين"¹، كما أفادتنا الإخبارية والميدان أن هذه النظرة تغيرت قليلا، لكن مازالت بعض العائلات متمسكة بهذا الشرط الذي لا تتنازل عنه، إذ أن كل خطبة الفتاة الصغرى أمر مرفوض حتى تتزوج من هن أكبر منها، وينطبق ذلك أيضا على الأبناء الذكور. لذا تسعى الأسرة دائما بالنقيد بهذا الشرط حتى لا تعرض أبناءها وبناتها لعدم الزواج أو تأخره.

سواء كان الاختيار شخصي أو أسري فإن الأم هي من تتولى فتح الموضوع مع الأب، ففي حالة أن الشاب وقع اختياره على فتاة مسبقا فإنه يعلن ذلك دائما بتحفظ وحذر خاصة إذا كانت خارج نطاق العائلة أي أنها "برانية"، وإذا لم يختار أي فتاة فإنه يوكل الأمر للأسرة، فتقوم الأم بإخبار الوالد في الحاليتين. من ثم تخبر أفراد الأسرة أو العائلة الكبيرة من أعمام وأخوال والجد والجددة وغيرهم من الأقارب المقربين. فيكون النقاش والتشاور وتطرح الاقتراحات والبدائل بين أفراد الأسرة والشباب المقبل على الزواج، وتقدم القريبات عن البعيدات، وبهذا تبدأ مرحلة البحث عن عروس مناسبة.

كما أسلفنا في العناصر السابقة أن عملية البحث تبدأ من القريب إلى البعيد مكانيا (الحي، الجيران) وعلائقيا (بنات الأقارب، بنات المعارف، الأصدقاء...) وفي فضاءات كالحمام وعند بيوت الجيران والخياطة وقاعات الحلاقة ومناسبات كالأعراس وحفلات الخطوبة والختان والمآدب الاجتماعية المتنوعة كنجاح الأولاد والبنات وحفلات التخرج، وولادة النساء وحتى في المناسبات الغير سارة كالوفاة والحوادث والمرض، إذ يتسنى لأفراد الأسرة التعرف من خلالها على فتيات لا يعرفونهم أو لتوطيد العلاقة وزيادة التعارف. وهي الفضاءات والمناسبات الأساسية لكن قد تكون حتى في فضاءات أخرى أين يلتقي الناس صدفة كما عند الطبيب أو المساجد حيث تتردد كبيرات السن خاصة عليها.

أما في الماضي فقد كانت مهمة البحث هاته توكل إلى امرأة عارفة محنكة وحكيمة سواء من داخل العائلة أو خارجها، إذ كانت هي من تدل أهل العريس على فتيات في سن الزواج لأنها تعرف الجميع في الأحياء خاصة المتقاربة، وحتى إن لم تكن تعرف بعض العائلات فأم العريس ترسلها لتتقصى عن العديد من البنات وتأتيها بأخبارهن خاصة إذا

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (02)، سبق ذكرها.

كانت خارج الوسط القرابي، فيقع انتقاء واحدة للتعرف عليها عن قرب ومن طرف أسرة العريس مباشرة. وقدما تعرف هذه المرأة في بعض المجتمعات بالخاطبة وهي امرأة تكون على اتصال بعدد كبير من العائلات وتقوم بتعريف الشاب الراغب في الزواج وأسرته على عديد من الفتيات لاختيار واحدة منهن¹.

2.2- تعارف العائلتين

إن تحديد الأسرة أو الشاب لعروس المستقبل غير كاف لإقدامهم على خطبتها مباشرة، بل يجب التأكد من تلك الصفات والخصائص التي يبحثون عنها، ويكون ذلك بتعرف أمه أو إحدى قريباته مباشرة على الفتاة.² بعد أن تتعرف الأم أو إحدى أفراد الأسرة النساء منهن طبعا على إحدى الفتيات حتى إن كانت من الأقرباء تبدأ مرحلة تعارف عائلة العريس على الفتاة وعائلتها عن قرب. فإن كانت من الأقرباء قد لا تفصح أم العريس عن نيتها للخطبة وتقوم بجس النبض والتعرف أكثر على الفتاة دون علمها وأسرته حتى تكون على طبيعتها لأن هناك دائما تحفظ في التصرفات والسلوكيات حتى من طرف الفتيات المقربات حسب مجتمع الدراسة لأن الفتاة لا تجلس مع الكبار وتتبادل أطراف الحديث والحوار معهم في الزيارات العائلية من منطلق العيب والاحترام، ويتسنى ذلك لأم العريس وبناتها بحكم القرابة إذ لا ينظر إلى الزيارة باستغراب. أما إن كانت الفتاة ليست من الأقارب فإن أم العريس تزور عائلة الفتاة برفقة واحدة من بناتها أو مع والدتها أو إحدى أخواتها لتفحص الفتاة جيدا والتعرف عن كثب ومبدئيا عليها وعلى عائلتها وطبائعهم ومستواهم الاجتماعي والاقتصادي من خلال السؤال عن كل أفراد الأسرة واحدا واحدا ومعاينة البيت وأثاثه ولباس البنات في العائلة وغيرها. وتعد هذه فرصة لفحص الفتاة المراد خطبتها جيدا إذ تجلسها أم العريس بجانبها لتفحصها بدءا من طول قامتها إذ تطلب منها القيام وتتنظر إن كانت ترتدي حذاء ذو كعب عالي أم لا ثم تنظر إلى جسمها عموما فهل هي سمينة أم نحيفة وشعرها ولونه وأسنانها وتتأكد من مشيتها علها تعاني من عرج أو عيب ما، وتتأكد أيضا من نظرها وبمجرد تفحصها جيدا تفتح معها باب الحوار لتعرف من أي نوع من الفتيات هل هي حاذقة

¹ عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية - مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 215.

² ليلي صباغ، المرأة في التاريخ العربي في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1975، ص 159.

ومسؤولة ومؤدبة وذات عقل راجح أم رعناء وغير مؤدبة إلى غير ذلك من الخصائص والصفات التي تستطيع من الجلسة الأولى مع الفتاة معرفتها بصفة عامة ثم تتبادل أطراف الحديث مع أم الفتاة وتفصح عن نية أسرتها في خطبة ابنتهم، لكن يجب التريث والتعرف أكثر والسؤال عن بعضهم البعض. وتعود الأم حاملة كل الأخبار عن الفتاة وعائلتها وتقوم بوصفها بدقة لبناتها والشاب يسترق السمع من بعيد و تتقصد الأم إسماعه ثم تحكي لزوجها فترغبهم للإقدام على خطبتها أو تنفرهم وتبعدهم عنها من خلال كلامها عن الفتاة وأهلها وطبائعهم خاصة والدة الفتاة هذا ما أكدته لنا الإخبارية رقم (03) إذ قالت: "الناس يشوفوا ياسر للأم لا خاطر بنتها تجي كيفها وكيفا يقول المثل إقلب البرمة على فمها تطلع البنت لها"¹، وتتعدد الزيارات مرتين أو ثلاثة. و يبدأ رجال العائلتين في التعارف على أسماء ومهن بعضهم البعض وأماكن عملهم ويتبادلون الحوار وتركز كل من العائلتين عن أصل وفصل العائلة الأخرى ومعرفة المقربين منهم. والجدير بالذكر أن هذه الخطوة تجري سواء كان الاختيار من طرف العريس أو أهله. هذا ما هو حاصل في مجتمع البحث حالياً.

أما في الماضي فكانت عملية فحص الفتاة صارمة إذ كانت تعابنها امرأة- وهي أم العريس أو إحدى جداته- تتميز بالذكاء والجرأة الكبيرة والخبرة والمعرفة بأمور النساء وحيلهن في التمويه وإبداء ما ليس فيهن أو إخفاء ما فيهن من عيوب، إذ تعد إلى اختبار نظرها فتعطيها إبرة ذات فتحة صغيرة وتطلب منها إدخال الخيط في الإبرة، ثم تعطيها حبة من المكسرات الصلبة لكسرها للتأكد من سلامة وصحة أسنانها، ثم تشد قليلاً شعرها لترى لعله غير أصلي وتتحسس جسمها وتتأكد من نهديها وتتأمل جمال وجهها وملامحه لتكشف أي عيوب في عينيها أو أنفها أو فمها. بعد أن تتعرف أم العريس على الفتاة وتعلن هي وأفراد العائلة عن إعجابهم بها ويصرحون بنية التقدم لخطبة الفتاة، يقوم والد الفتاة بإخبار إخوته وأخوال الفتاة والمقربين منها لعل أحدهم يريد خطبتها لابنه هذا إذا كان العريس خارج نطاق العائلة أي ليس من الأقارب، فإن تقدم أحدهم ووافقت الفتاة أيضاً يعتذر للعائلة التي جاءت وتعرفت على الفتاة ويقول لهم أنه لا نصيب لكم عندنا، فقد طلبها ابن عمها أو ابن خالها أو قريب لها.

¹ مقابلة مع الإخبارية رقم (03)، 28 جويلية 2016، على الساعة 17:00.

3.2- الشوفة

تعتبر هذه الخطوة مهمة لإتمام المراحل اللاحقة وهي قاعدة للخطبة الرسمية، فهي تأكيد على عزم أهل العريس على اتخاذ القرار النهائي. ففي مجتمع البحث يحدد يوم مع أهل العروس ويكون بأسبوعين على الأقل ليستعد أهل الفتاة لاستقبال العريس وأهله وبعض مرافقيهم، وتكون هذه للقاء العريس مع العروس ورؤيتها في بيت أهلها حتى وإن كان الاختيار شخصي، إذ تسمح العائلات برؤية الخطيبة دون حجاب حتى لا يبقى لدى العريس أي استفسارات وحتى يكون مقتنعا بعروسه لا مجبرا أو مترددا، لكن يكون لباسها محتشما غير فاتن وغير متبرجة كثيرا حتى يراها أهل العريس كلهم على طبيعتها كما يمكن لوالده أو أعمامه الكبار وأخواله أيضا رؤية الفتاة لبعض دقائق للتأكد من اختيار ابنهم أو النساء. في هذه الخطوة يبدأ والد العريس أو من ينوب عنه أحيانا عم أو خال العريس في فتح موضوع الخطبة فيتجه بكلامه لوالد الفتاة ويعلن عن رغبتهم في خطبة إبنته ويقوم بتقديم ابنه للحضور إذ يكون أيضا مع والد الفتاة إخوتها، بعض أعمامها وأخوالها والجدين ويمكن اقتصار الحضور على احد الأعمام والأخوال. وهو نفس الشيء بالنسبة للعريس الذي يجلب معه إخوته ومقربيه من أخوال وأعمام وكل من يلزم حضوره كالصهر، ولا ننسى جانب النساء فالأم تحضر معها بناتها وأخواتها وأخوات زوجها وبعض عماتها أو خالاتها والجيدات وغيرهن من النساء اللاتي جرت العادات على حضورهن في مثل هذه المرحلة حيث تحضر الكبيرات بحكم خبرتهن في الحياة لتميز الأوضاع جيدا والإتيان بالتفاصيل الدقيقة على كل شيء يخص تلك العائلة. فيقول والد العريس " جينا راغبين خاطبين بنت الحسب والنسب بنتكم فلانة لابننا فلان الحاضر معنا ونتمنوا نلقوا الرضا والقبول" ¹ فيرد عليه والد الفتاة قائلا: "كان كتب المكتوب راهي ليكم". ويبدأ النقاش والحوار حول الخطوط العريضة والشروط الخاصة بكل منهما وتتمثل في الشروط المادية من ذهب ومبلغ الصداق والصوف والكسوة وغيرها. والشروط الغير مادية كإتمام الفتاة دراستها أو اشتراط أن تعمل وأيضا من جهة العريس الذي يشترط على العروس عدم العمل أو السكن مع أهله إلى غير ذلك من الشروط التي تعلن أمام الطرفين حتى إن كان الخاطب يعرف الفتاة ومتفق معها، ذلك حتى يكون الحضور شهودا على الطرفين وحتى لا يتراجع واحد منهما، ففي بعض الأحيان يتراجع

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

العريس عن بعض الأمور المتفق عليها كعمل الزوجة، لذا تطرح كل الشروط بوضوح وعلنا لتفادي المشاكل فيما بعد، لأن الحضور يعدون بمثابة الضامنين للجانبين.

في هذه الخطوة تحسم معظم الأمور بين العائلتين، لكن يبقى رد أهل العروس على القبول مؤجلا وليس في تلك اللحظة أو نفس الجلسة وهذا من تقاليد وعادات مجتمع الدراسة، فحتى لو كان والد الفتاة وعائلته قابلين لهذا الزواج والجميع موافق، فالعادات تقضي بأن يعطى والد الفتاة وأهلها فرصة للتفكير والرد في أقرب وقت، هذا من أجل تعزيز الفتاة والرفع من شأنها وحتى لا يقول أهل العريس أن أهلها لم يصدقوا أن وجدوا لها عريسا. بعد مدة تقدر بأسبوعين على الأكثر يعلن والد الفتاة عن موافقة العائلة عن إعطائهم الفتاة، وينتظر من أهل العريس التقدم رسميا لإعلان الخطوبة الرسمية.

وجرت العادة أن يعطي الشاب المتقدم للخطبة عند رؤية عروسه المستقبلية أن يعطيها مبلغا ماليا عند مغادرته كعربون محبة ربما أو كثمن لإلقاء نظرة عليها؟

3- الخطبة الرسمية

تعتبر الخطبة الفترة التمهيديّة التي تسبق القران وأولى مراحل الزواج. والخطبة موجودة في كل المجتمعات حتى وإن اختلفت أشكالها وطرق تنفيذها، فنادرا ما يحدث الزواج دون خطبة. وهي طريقة ليتعرف ويؤكد فيها أهل الشاب على جدية العلاقة وحدث الزواج، فهي طريقة نابغة من عادات كل مجتمع ليتعرف خلالها الخاطب على خطيبته ويتقرب منها ليكسب ودها واحترامها وثقتها ولتأنس به الخطيبة وتشعر بحمايته وأنه سندها في المستقبل. وتعد الخطبة مرحلة يستكشف فيها الرجل و المرأة شخصية بعضهما البعض. وتحظى الخطبة في مجتمع الدراسة بأهمية لأن العائلات لا تقبل أي علاقات لبناتها خارج هذا الإطار، فهي الوسيلة الوحيدة لتعارف الشاب والفتاة. وتعرف الخطبة بصفة عامة بأنها "طلب الرجل يد امرأة له شرعا ليقترن بها، فإذا أجبب بالموافقة تمت الخطبة بينهما، وهي عند المسلمين وعد بالزواج، ويوثق هذا الوعد بقراءة الفاتحة، وهي ليست عقدا تترتب عليه آثار والتزامات قانونية¹، نحاول أن نحلل هذا التعريف في ضوء ما يجري في مجتمع البحث باعتباره مجتمعا مسلما بالدرجة الأولى فنجد أن الخطبة عبارة عن:

- طلب الرجل يد المرأة ويكون من أهلها لا من نفسها.

¹ - عبد القادر القصير ، مرجع، سبق ذكره، ص 140.

- أن تكون للمرأة المطلوبة للزواج غير محرمة عليه بصفة مؤقتة أو دائمة وليست محجوزة لأي رجل آخر.
- لا يترتب على الخطبة التزامات قانونية غير أنها لها تبعات اجتماعية كبيرة لمن يعدل عنها في مجتمع البحث.
- والخطبة في مجتمع الدراسة ليست مجرد عهد للارتباط بين شخصين، بل هي الطريقة التي تفضي إلى الزواج، ورغم خلوها من الالتزامات القانونية والمدنية إلا أنها تحمل في طياتها جوانب دينية وجوانب شعائرية طقوسية وجانب رمزي. فالفرد في هذه المرحلة يعمل على تهيئة نفسه ليدخل في التفاعل في نسق علاقات جديد لم يتم اندماجه بعد معها ولم يتم أخذ مكانته فيها بعد. و تعد مرحلة الخطبة في نظر فان جنب Van Genep مرحلة هامشية، لكنها تؤسس لروابط اجتماعية هامة بين العائلتين من هذا المنطلق نجد مجتمع البحث يهتم كثيرا بهذه المرحلة لأنها تؤدي وظائف وتشبع حاجات نوجزها فيما يلي:
- هي مرحلة انتقالية من المراهقة إلى النضج والتي ترتبط بالزواج الذي تترتب عليه التزامات ومسؤوليات اجتماعية، أي الانتقال من الالتزامات الفردية إلى الالتزامات الجماعية.
- هي فرصة لاختبار مدى تفاهم وانسجام الخاطب والخطيبة، وزيادة قوة العلاقة بينهما لإتمام مشروع الزواج أو العدول عنه.
- كما تعد فرصة للتخطيط للزواج.
- للخطبة الرسمية نوعان يمارسان في مجتمع الدراسة يتضمن كل نوع منهما خطوات تقوم بها العائلتين وتجري خلالهما ممارسات اجتماعية وطقوس دينية وينبع هذان النوعان من طريقة العقد الخاصة بالجماعة التي تحضر مع والد العريس.

1.3- التهنئة

التهنئة في منطقة الدراسة مدينة الشريعة هي عبارة عن النوع الأول من الخطوبة الرسمية، لكنها تختلف في طريقة إجرائها وخطواتها والتزاماتها والاحتفال بها سواء في بيت العروس أو العريس فما يكون لازما في النوع الثاني يكون غير ضروري في التهنئة والتي أطلقنا عليها عقد الجماعة المؤجل وهي تسمية خاصة فقط ببحثنا ونحن الذين وضعناها كما وضعنا التسمية الثانية أو المفهوم الذي يأتي فيما بعد وهو "عقد الجماعة الفوري" وهذا ما وجدناه من خلال دراستنا الميدانية.

1.1.3- إعلان الارتباط و الاتفاق على الشروط و المهر

يعد هذا النوع من الخطوبة أي التهنية أيضا مهما لأنها خطوة اتخذتها العائلتين لارتباط الشاب والفتاة بطريقة تأخذ الشرعية الاجتماعية وليس الدينية، لأن فيها يستطيع الخاطب والخطيبة رؤية بعضهما في حضور العائلة ليتعرف كل منهما على الآخر وعلى شخصيته وطبائعه.

وبما أن هذه الخطبة تقع خارج المحكمة سواء حضرتها جماعة من الأهل أو رجال الدين فإنه يمكن لأحد الخطيبين أو كليهما التراجع عنها، ويعاد فيها ما قدم من مهر وهدايا عينية غير مستهلكة إلى العريس، ولا يعاد ما أكل وما لبس¹ وتختلف هذه الخطبة على النوع الأول في غياب جماعة العقد. إذ يحضر لبيت العروس والده ومن ينوب عن الأعمام وأيضا واحد أو اثنان من الأخوال وإخوته ولا يحضر كبار العائلة أو ذوي الشأن فيها ويكون العدد قليل، ولا يأخذ الاحتفال طابع الهالة والفرجة الكبيرة، ويقتصر أيضا عند النساء من جهة العريس على والدته وأربع أو خمسة من النساء من أقاربه. نفس الشيء بالنسبة لأهل العروس إذ تدعو فقط بعض الصديقات والعمات والخالات ويحضر إخوتها وبعض أعمامها وأخوالها. فيها يتم الاتفاق على الشروط والمهر بصفة نهائية ولا يقدم المهر أثناء هذه الجلسة. تقدم القهوة وبعض الحلويات لأهل العريس ويكون وقت هذه التهنية عادة في المساء لأنه ليس من الضروري تحضير وجبة غداء لهم.

ويتكلم باسم العريس والده أو أحد أقاربه ويذكر والد العروس بأنهم اليوم حضروا من أجل التهنية والتي تتمثل في لبس الفتاة لخاتم الخطبة والإعلان عن ارتباطها حتى لا يتقدم لخطبتها أحد.

2.1.3- خاتم التهنية

تعكس مظاهر الاحتفال بالخطبة الكثير من مظاهر الاندماج والارتباط والتضامن العائلي. ويرتبط بالخطبة رمزان يتمتعان بتراث تاريخي طويل الأول خاص بطريقة الإعلان عن الخطبة والثاني هو خاتم الخطبة²، وللخطبة وظيفة وهدف هما إعلان المجتمع باقتران

¹ عطا الله الزاقوت، العادات والتقاليد في جبل العرب، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000، ص 43.

² فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2013، ص 66.

فردين برباط الزوجية، ولأن هذا الارتباط الزواجي مهم بالنسبة للمجتمع لذا كانت ضرورة وحتمية الإعلان عنه.

إن استخدام الخاتم قديم ففي سفر التكوين يقول فرعون لـيوسف: " انظر قد جعلتك على أرض مصر، وخلص فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف." ¹ من الظاهر أن استخدام الخاتم في عقد الخطبة كان مستخدماً منذ زمن بعيد وربما جاء من عادات قديمة، حيث كان الخاتم يستخدم كتعهد في اتفاقات هامة أو مقدسة. ويرمز الخاتم إلى الاتحاد وبالرغم من عدم تحديد زمن لأصل استخدام خاتم الزواج إلا أن التسجيلات تظهر في الأدب الفرعوني، والفكرة متنسقة مع العقائد المصرية القديمة في أن الحلقة تمثل الأصبديّة²، وكما هو معروف فخاتم الخطوبة يكون دائماً على شكل حلقة لا بداية ولا نهاية له فهو رمز الخلود أي استمرار العلاقة بين الزوجين إلى نهاية حياتهما.

في مجتمع البحث الخاتم هو رمز اجتماعي يشير إلى المكانة الجديدة التي أصبح كل من العريس والعروس يحتلانها، وفي نظر أهل العروس وأقربائها فإنه كلما كان الخاتم غالياً كلما كانت مكانة العروس عند العريس وأهله كبيرة ومميزة و وأنها وفقت أو وفقت عائلتها في اختيار العائلة المناسبة لها. ونجد الفتاة خاصة تحرص على ارتداء الخاتم في مرحلة الخطوبة لأنه يعطيها شعوراً بأنها على ذمة رجل وهو مسؤول عنها، وفي بعض الأحيان لتكيد الحاسدات.

ونقول المبحوثة رقم (07): "أنا من نهار لي هنييت نلبس الخاتم خاصة كي نخرج باش ما يطمع في حتى واحد ل خاطر كي يشوف الخاتم يفهم راني مرت راجل." ³ وتحرص على لبسه أيضاً حتى لا تتعرض للمضايقات من طرف الرجال المتصيدين للفتيات من أجل الزواج وحتى لا تضع نفسها في إحراج، كما يحرص العريس أيضاً على لبس الخاتم وكأنه يتفاخر أمام أصحابه أنه أصبح رجلاً ناضجاً وعن قريب سيصبح متزوجاً ورب أسرة. وتبدو مظاهر التضامن العائلي في مجتمع البحث من خلال حضور رجال العائلة من الطرفين كتعبير على المكانة الاجتماعية وإعطاء قيمة للعريس والعروس. كما تبدو مظاهر الاحتفال في منزل العروس بصورة أكبر مما هو عليه في منزل العريس. فتزداد الزينة ويكون

¹ - مرفت العشماوي عثمان العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص 184.

² - المرجع نفسه، ص 184.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (07): 11 جويلية 2016، على الساعة 11:00.

البيت مرتبا جيدا. وتهايا قاعة جلوس كبيرة وفاخرة لاستقبال أهل العريس من الرجال أما النساء فيكن مع العروس في قاعة أيضا كبيرة ومفروشة بأحسن الزرابي وأفخر المفروشات. وتتوجه العروس يوم التهنية إلى الحلاقة لتقوم بتزيينها وتختار لها تسريحة جميلة تناسبها وتتاسب الفستان الذي ترتديه وهو فستان عادة ما يكون مخصص للخطبة تكترية العروس. في حدود الساعة الثانية بعد الزوال يصل أهل العريس فتتعالى زغاريد نسائهم المرافقات لهم عند الدخول ويتوجهن مباشرة إلى قاعة العروس حيث تتربع على أريكة أنيقة ووراءها خلفية جميلة مزينة، ومحاطة بأخواتها ووالدتها. يتجاذب الرجال أطراف الحديث لبعض الوقت والنساء في الانتظار ثم يستأذن أخ العروس في دخول العريس ليلبس عروسه الخاتم، وللحاضرات حرية الحضور أو الخروج من القاعة، لكن جرت العادة أن لا يحضر سوى الأخوات الغير متزوجات ووالدة العروس أو عماتها وخالاتها الكبيرات في السن لأنه لا يسمح للصغيرات التكشف على الغرباء، فالعريس إلى هذه اللحظة مازال غريبا عن أفراد العائلة الآخرين من النساء. يلبس العريس الخاتم لعروسه مع انطلاق الزغاريد والأغاني ثم يقطعان قالب الحلوى مع أخذ الصور التذكارية معا ومع الوالدين ثم توزع إحدى أخوات العريس قالب الحلوى على الحاضرات مع الاحتفاظ بنصفه لحمله معهم. وتوزع المشروبات والقهوة والحلويات على الجميع بما فيهم الرجال. وتقوم أم العريس بوضع القليل من الحنة في اليد اليمنى للعروس وكما يقال في مجتمع البحث "سنة".

3.1.3 - فال التهنية والجهاز المقدم

تعني كلمة تهنية في منطقة الدراسة الشريعة "الاتفاق الشفوي" بين والد الفتاة وأهله أو كما يقال في أماكن أخرى "إعطاء الكلمة" بمعنى أن والد الفتاة أعطى كلمة نهائية على موافقته على تزويج إبنته لطالبها.

بمجرد مغادرة أهل العريس تقوم والدة العروس والحاضرات بإعداد عشاء عائلي يتمثل في الكسكسي والشربة(الجاري) والسلطة والفواكه والمشروبات الغازية. و يمكن أن يدعو والد العروس اثنان أو ثلاثة من أصدقائه أو جيرانه المقربين إضافة إلى الحاضرين معه سابقا. وتخصص إحدى أخوات العروس وقتا لرؤية الجهاز الذي أحضره العريس لعروسه وهو في العادة يتكون من:

- حقيبة متوسطة الحجم وفاخرة: يوضع فيها ملابس داخلية كل شي منه واحد بمعنى فولارة (محرمة رأس) واحدة، منشفة واحدة للوجه، علبة مناديل اليد واحدة، قندورة واحدة (فستان)، صندال واحد ولباس للخروج يتمثل في حجاب وحقيبة يد وحذاء.
- سابة (سلة) مصنوعة من جريد النخيل أو ماشابه تكون مملوءة بالعمور وأدوات الزينة والتبرج والحنة.

- طبق مملوء بالمكسرات والحلوى والشامية وحلوة الحلقوم... الخ
كما يحضر أهل العريس كمية معتبرة من الفواكه.

أما في بيت العريس فبمجرد وصولهم تطلق والدته والمرافقات لها الزغاريد لإعلام الجيران وإعلان خطبة ابنها، ويضعون بعض الأشرطة المسجلة الخاصة بالغناء. ويحضر عشاء عائلي أيضا مثل الذي في بيت العروس. ولا يقوم العريس وأهله بدعوة الناس إلا من حضر وحده للتهنئة خاصة الجيران، لأنه لا تقام حفلة "ليلة الحنة" للعريس في هذه الحالة (التهنية).

2.3- العقد

1.2.3- عقد الجماعة الفوري

وهو النوع الثاني من أنواع إتمام الخطبة الرسمية، ويقصد "بالفورية" قراءة الفاتحة مع ذبح الكبش أو كما تسمى في مجتمع البحث "شاة الحلال" وتقديم مبلغ الصداق كاملا أثناء العقد وفورا دون تأجيل ثم القيام "بطقس الحنة" في المساء بالنسبة للعروس في بيتها وللعريس في بيته. وارتبطت كلمة "جماعة" بجماعة الأشخاص الذي يحضرهم والد العريس معه من إخوته وأصهاره ووجهاء عائلته الكبيرة وكبار السن مقابل جماعة تحضر مع والد العروس. ويشترط في هذا العقد المرتبط أساسا بحضور هاته الجماعة أن تجري كل خطواته في نفس اليوم وهو رغم عدم توثيقه مدنيا ملزم وتترتب عليه واجبات والتزامات لأن الجماعة حضرت وأجرت العقد فينظر إليه بإجرائه أن الفتاة أصبحت زوجة رسميا، حيث أنه إذا عدل عن هاته الخطبة أو تم فسخا تعد المرأة في نظر مجتمع الدراسة مطلقة. وجوهر هذا العقد هو ذبح "شاة الحلال" إذ ينظر إلى ذلك الكبش على أنه رمز شرعية هذا الزواج ورمز قداسة هذا العقد. وقد جرت العادة أن تكون الخطبة بنوعها في أيام معينة من الأسبوع هي الاثنين

والخميس عادة لاختصاصها بالبركة دون بقية أيام الأسبوع، ويكون وقت عقد الجماعة عادة قبل وقت الغداء، حتى يتركوا متسعا من الوقت ليتغذى كل الحضور عند أهل العروس.

2.2.3- العقد المدني

لعقد الزواج أركان شرعية ذات أهمية لأنه عقد يمثل أقدس العلاقات الإنسانية، وهو ما يجمع بين رجل وامرأة على شرع الله ولسنة نبيه(ص) تحقيقا للرحمة والمودة والمساكنة لقوله عز وجل: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾¹

جرت العادة أن يكون العقد المدني في منطقة الدراسة مدينة الشريعة وحسب مجتمع البحث في يوم الاثنين أو الخميس تيمنا بهما إذ يعتقد الناس أن هذين اليومين اختصا دون بقية الأيام بالبركة والسعادة وحسن الحظ والتوفيق.

ويطلق علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على مرحلة عقد القران مرحلة التعاقد والزواج التي تبدأ بعقد الزواج بصفة رسمية وتعد بدء الحياة الزوجية². والطقوس التي تصحب عقد الزواج على درجة كبيرة من الأهمية. إذ أنه يقضي أن تحضر العروس والعريس والشاهدين أمام الهيئة الرسمية لتوثيق العقد المدني أي أن هذا العقد لا يعتبر خاص فقط بشخصين، بل هو عقد تترتب عليه مجموعة من الحقوق والواجبات الدينية والمدنية والاجتماعية. في هذا الشأن يذهب وستر مارك Wester Mark إلى أن الزواج يأخذ شكله القانوني والجزء الديني من خلال عملية الاشهار التي تتم في العقد إذ أن أعضاء المجتمع يصبحون شهودا على هذا التعاقد لأن الزوجان يعلنان بمهابة وقداسة عن ارتباط كل واحد منهما بالآخر³.

ويعد توثيق الزواج من العادات المصرية القديمة وقد عثر علماء الآثار على أقدم وثيقة لعقد الزواج يعود تاريخها إلى 950 ق.م والتي تتفق مع نص آخر يعود إلى سنة 550 ق.م وهي عقود مدنية مكتوبة مثل بقية العقود⁴.

¹- القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 21.

²- فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص 71.

³- المرجع نفسه، ص 71.

⁴- المرجع نفسه، ص 72.

بالرجوع إلى مجتمع البحث فإن العادات والتقاليد وجدنا أن أغلب العائلات تفضل أن يتم هذا العقد قبل مدة قصيرة قبل العرس لا تتعدى هذه المدة الشهرين في الحالات التي تطول فيها الخطبة أما إذا كانت فترة الخطبة قصيرة فإن هذه المدة لا تتعدى الأسبوعين، هذا حتى لا عد الفتاة مطلقة في حالة تراجع الخاطب عن الزواج.

في هذا المقام قالت لنا المبحوثة رقم (08): "المرات تتخطب بالكلمة ودير التهنئة وما لازم يتسرعوا ماليها ويديروا العقد الرسمي لخاطر المرا تولى مطلقة إذا بطلت على الرجل"¹. أي أن مرحلة التهنئة هي مرحلة دراسة وتعرف الخطيب على خطيبته وهي فترة تخطيط لمشروع الزواج الذي قد يلغى وهذه الحالات نادرة في مجتمع الدراسة لأن أفرادهم يرتبطون ويعطون قيمة أكثر " للكلمة" أي الوعد الذي قطع أمام أفراد العائلتين أو ما يسمى في منطقة الدراسة بـ "التهنئة".

وقال لنا المبحوث رقم (09): " القانون تو صعيب ويحكم لمصلحة المرا بصح نحنا هنا تحكمننا العادات والتقاليد حتى ولو الرجل هو لي بطل على المرا بعد العقد نتاع البلدية، ماليها ما يديروش الإجراءات القانونية وما يتبعوهاش، نقصد أنو حتى لو كان عندها حقوق يسبلو فيها لخاطر كيما تعرفي مجتمعا ما يرحمش وفي حالة كيما هذي مالي المرا يحوسو غير يسترو بنتهم، وما ينشروش عليها اسم مطلقة"².

ما يفيدنا المبحوث به هنا هو سلطان العادات والتقاليد التي تجعل المرء يخضع ويسير عليها إلى درجة التخلي عن حقوقه أحيانا، فوصم الفتاة بالمطلقة في منطقة الدراسة، ليس بالأمر الهين على أسرتها تحمله لأن له تبعات كبيرة، لذا تلجأ العائلة في مثل هذه الحالة إلى عدم المطالبة بحقوق ابنتها حتى لا يسمع الناس بها ويبقى الأمر في طي الكتمان حتى يتقدم لها خطاب آخرين عليها تظفر بواحد عندما يتعرف عن العائلة عن قرب، أما السماع عنها من بعيد فهو أمر غير مستحب ومنفر لأن الأغلبية لا يقدمون على الزواج من فتاة تخلى عنها خطيبها حتى ولو كان ظلما وتعسفا في حقها، لأن الأفكار المسبقة والأحكام الجائرة تلتصق دائما بالفتاة وهذا راجع إلى ذهنية مجتمع الدراسة التي تركز دائما النظرة الدونية للمرأة خاصة في موضوع الزواج.

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (08): يوم 10 أوت 2016، على الساعة 09:30.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (09): يوم 15 أوت، على الساعة 10:30.

بصفة عامة فإن فسخ الخطبة سواء بعد العقد المدني أو قبله يعد من أمور العيب ويؤثر بدرجة كبيرة على مستقبل الفتاة لأن الرجال يعزفون عنها باعتبار أنها كانت على ذمة رجل آخر، فكأنهم يعتبرونها ملكية خاصة لا يمكن انتقالها إلى آخر وهذا راجع إلى الأفكار التي يكونونها نحو تلك الفتاة إذ تصبح غير موثوقة وغير جديرة بأن ينظر إليها. بالإضافة إلى الذهنية التي يحملها الكبار في العائلة سواء الوالدين أو الإخوة أو غيرهم فحسب مجتمع البحث هناك استنكار كبير عند إقدام العازب خاصة على فتاة فسخت خطبتها أو عقدها لما يلحق بها من أقوال وشائعات¹.

بعد تحديد موعد العقد، جرت العادة في مجتمع البحث أن يذهب العريس إلى بيت العروس ليأخذها إلى دار البلدية من أجل توثيق عقد الزواج بصفة رسمية أمام الموظف المختص والمكلف قانونا بتحرير عقد الزواج، ويكون برفقة العروسين والدها أو وليها والشهود وبعض المقربين سواء من الأصدقاء أو العائلة لكن تمنع مرافقته النساء. بعد إتمام العقد يبارك الحضور للعريس مع التمنيات بالتوفيق في الحياة الزوجية والذرية الصالحة، لكن المباركة تكون للعروس فقط في البيت من طرف أخواتها.

3.3- زيارة الخطيبة وهداياها في المناسبات

بعد الخطبة يستطيع الخاطب وأهله زيارة الخطيبة وأهلها للاطمئنان عليهم وتوطيد العلاقات بينهم، ومن أجل تعرف وتعود الخطيبين على بعضهما البعض لأنهما سيصبحان زوجين بعد فترة قصرت أو طالت.

وتسمى نصيرة قشيوش في دراستها للزفاف في تلمسان تلك الزيارات "بالزيارات التفقدية" أو "التفقدية" وهي مأخوذة من تفقد يتفقد أي تذكر يتذكر ومعناه إعطاء ذكرى، إعطاء هدية.² وترتبط هذه الزيارات وتكون حتمية في المناسبات خاصة إذا طالت الفترة بين الخطبة والزفاف إذ يصادف أن تمر مناسبة والخطيبة لازالت في بيت أبيها، إذ من الواجب زيارتها وأخذ بعض الهدايا لها حسب ما تقتضيه المناسبة وما تمليه عادات مجتمع البحث، وتتمثل هذه المناسبات في "العيد الصغير" و"العيد الكبير" و"المولد النبوي الشريف" و"رأس السنة الهجرية" و"عاشوراء" و"السابع والعشرون من رمضان"، والواقع أن هذه الزيارات

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - نصيرة قشيوش، مرجع سبق ذكره، ص 39.

المصحوبة بالهدايا لا تقتصر على مدينة الشريعة أو على المجتمع الجزائري فقط بل تشمل كل المجتمعات العربية. إذ أن هذه الزيارات أو "التفقيده" موجودة أيضا بالمجتمع المغربي الذي يلزم الخاطب بأن يبقى على اتصال

دائم بخطيبته لتأكيد حبه لها وتعلقه بها حتى إن لم يكن يلتقي بها فهو يعبر عن ذلك بإرسال الأقمشة والحلي في المناسبات¹. ففي مصر على سبيل الذكر لا الحصر نجد أن عاداتهم تلزم الخاطب بأن لا يدخل بيت خطيبته وهو لا يحمل لها شيئا، بل يتحتم عليه إحضار هدية ومن أمثلتهم في هذا الشأن " بعد السلام تفتيش الأكمام"² كما يعمل مجتمع البحث في الشريعة بتطبيق القول المأثور "تهادوا تحابوا" لما للهدية من أثر في النفوس فهي تعبير عن المحبة والقرب العاطفي بين المتهادين وعلى المجاملات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

وتكون الهدايا إما هدايا نقدية أو عينية وذلك بحسب المناسبة. وإذا كانت الفتاة وأهلها ميسوري الحال وغير محتاجة إلى نقود لتكملة شراء جهازها فإنها تفضل الهدايا العينية لتبقى ذكرى من زوجها وللمناسبة التي أهداها لها فيها. وإذا كانت محتاجة إلى تكملة جهازها فإنها تفضل أن تكون هدايا المناسبات في أغلبها نقدية حتى تستطيع استغلالها و شراء ما ينقصها، و تكون الى جانبها بعض الهدايا الرمزية ففي عيد الفطر "العيد الصغير" يذهب العريس مع والدته الى بيت خطيبته في اليوم الأول وهم يحملون لها من الحلويات التي حضروها في البيت مع بعض الفواكه، وبعض الهدايا الخاصة بالخطيبة وهي لباس للخروج حسب ما تعودت عليه وهو عموما حجاب، خمار، حذاء و حقيبة يد ويحرص العريس أن تكون متماشية مع ذوقها ومع الموضة كما يمكن أن يعطيها مبلغ من المال وذلك حسب قدرته أو يضيف على اللباس قطعة ذهبية أو ما شاء. وقد تطلب منه الخطيبة ثمن اللباس نقدا لأنها تحتاج النقود لتشتري فيما بعد اللباس الذي يعجبها. و يمكن أن يكون اللباس ليس للخروج بل هو لباس للبيت حسب الموسم. كما يحضر العريس العطر و بعض أدوات التجميل أحيانا.

¹ - المرجع نفسه ، ص 40.

² - فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص 178.

أما في عيد الأضحى، فتمثل الهدايا في اللحم و الفواكه ولباس و عطور للخطيبة أو مبلغ مالي وإذا كان للخاطب قدرة فيستطيع إحضار أشياء أخرى كالأقمشة، والإكسسوارات. وعادة ما يتشاور الخاطب ووالدته في شراء الهدايا وبمساعدة أخواته حتى تكون الهدايا مسايرة للموضة ولذوق الخطيبة ومستواها الاجتماعي. أما في السابع والعشرون من رمضان يقوم أهل الخطيبة بدعوة أهل العريس والده، والدته، وبعض إخوته لتناول وجبة الفطور عندهم فتحمل الوالدة معها هدية بسيطة تتمثل في حلويات و عطر وبخور و عنبر، ويمكن أن يرسل لها الخاطب مبلغ مالي للذهاب الى الحلاقة وشراء الحناء ونقشها وبعض أدوات الزينة من أجل تحضير نفسها للعيد لتكون في أبهى حلة. وفي هذا اليوم تقوم العروس بإعداد الفطور بمساعدة أختها أو أخواتها لتثبت مهارتها في الطبخ واستقبال الضيوف وتراقبها أم العريس دون أن تظهر لها ذلك وتحرص أن تذهب باكرا إلى أهل الخطيبة لتعائين ذلك جيدا فيكون الذهاب مساء قبل الإفطار بأربع أو خمس ساعات.

ولا تقتصر دعوة أهل العريس على ليلة السابع والعشرون من رمضان لكن كلما دعت الحاجة إلى ذلك قاموا بدعوتهم، فمثلا إذا أقاموا أي مناسبات عرس، ختان إلى غير ذلك لكن دائما تكون والدة العريس ووالده هما المدعوان الرئيسيان، وقلما يدعى الخاطب بل هو من يقتنص الفرص ويخلق الأسباب لزيارة خطيبته. أما في عيد المولد النبوي الشريف وعاشوراء، يرسل الخاطب بعض الحلويات كالثامية وحلوة الحلقوم وبعض المكسرات فضلا عن هدية بسيطة خاصة بخطيبته بالإضافة إلى الشموع والحنة والبخور والعنبر. هذا إضافة إلى بعض المناسبات الأخرى كنجاح أحد أفراد العائلة في نيل شهادة أو الحصول على وظيفة أو حج أحدهم. أما أهل العريس فيقومون بدعوة أهل العروس إلا في مناسبة كبيرة كالعرس أو ختان أو حج، ويكون المدعويين والد ووالدة الخطيبة فقط. هذه هي أهم الالتزامات التي يقوم بها الخاطب وأهله تجاه خطيبته وأهلها، وهي التزامات وواجبات أملتها العادات في مجتمع البحث منذ وقت بعيد، وهي التي يتوقعها الجميع منه من أقرباء وجيران وأصدقاء. فإذا حدث أن قصر الخاطب في القيام بهذه الالتزامات تهتز صورته عند الناس. أما إذا وفى بتلك الالتزامات والواجبات وقام بدوره مع خطيبته وأهلها فيعد كريما، شهما ويعرف هو وأهله الأصول وأن خطيبته تساوي عنده الكثير

لأنه يسعى لإسعادها وإرضائها وإعطائها قيمة أمام الناس، فتطمئن العائلة لهذا الخاطب وتتوسم فيه الخير والصلاح.

في هذا الصدد استقينا بعض المعلومات حول هدايا العروس في الماضي فقالت لنا الإخبارية رقم (04): "يا حسرة على بكري نحنا بكري ماكانش الشروط متاع ها الوقت وأصلا المراكي يخطبوها ما تقعدش في دار بيها أكثر من شهر ولا شهرين وفي لعوامات لخرين ظهرت شوية شروط متاع الأعياد بصح كانوا الناس يدو قنهورة في العيد الصغير مع شوية قاطو مخدوم وخلص وفي العيد الكبير يدو شوية لحم وقندورة بسيطة وخلص بصح تو قريب عمروا الفاليزات من عند العريس واحد ما يجي يعرس حتى يتعري ويصبح مديان"¹.
 مما سبق نفهم أن تغالي بعض العائلات في هدايا المناسبات إذ نجد بعض العائلات تشترط هدايا ثمينة وتطلب بنفسها أنواع معينة للخطيبة وأحيانا تنقل كاهل الخطيب وأهله فيتسرب إليهم الانزعاج والتذمر وربما تسبب نوعية هذه الهدايا التي يحضرها الخاطب إذا لم تكن غالية وفاخرة إلى نشوب مشاكل بينه وبين خطيبته.

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (04): 18 سبتمبر 2016، على الساعة 21:00.

خلاصة الفصل

يمثل الزواج أرقى أشكال العلاقات الإنسانية وأعقدها وهو رباط أبدي غايته الدوام والاستمرار يحتاج كما رأينا إلى مقدمات أهمها الخطبة التي تتطلب روية ووعي ونضج عقلي وجسدي، وإلى حسن اختيار يبني على مقاييس منطقية وموضوعية، لكن الذي توصلنا إليه من خلال عملنا الميداني هو توارث المقاييس والمعايير والشروط التي على أساسها يتم الاختيار الزواجي حيث يخضع لسلطة العادات والتقاليد المتعارف عليها في منطقة الدراسة، وهو خاضع إلى درجة كبيرة لسلطة العائلة بحكم أن علاقات القرابة لازالت قوية وتلعب دورا مهما في مسألة الاختيار للزواج، كما أن الأخير يخضع لظروف إقتصادية وإعتبارات إجتماعية والبيئة المحيطة.

الفصل الثالث

العرس: العادات و الطقوس

تمهيد الفصل

1- الحمام العام و دوره

2- حمام العرس ودلالاته الرمزية

3- يوم الكيش

4- يوم العقود

5- يوم المرواح (الدخول)

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

تشمل المرحلة اللاحقة بعد الخطبة في العرس ومراحله المختلفة المتمثلة في يوم الكباش، يوم العقد ويوم المرواح، والتي يتجلى فيها الجانب الديني المتمثل في طقس قراءة الفاتحة الذي يعد في مجتمع البحث عقدا يعطي الزواج هيئته وقداسته. أما الجانب الاجتماعي فيتجلى في الاحتفالات المرافقة لكل يوم، والتي تعد جزءا من النسق الاجتماعي، وهي من الأمور المتعارف عليها في كل المجتمعات لكن تتخذ خصوصية مميزة في مجتمع البحث من خلال اختلاف صورته وأشكاله، ويشكل الاحتفال بالزفاف في جل مراحله اهتماما بالدرجة الأولى حيث تهيمن فيه أم العريس وأم العروس على مجريات الأمور وتتخذ العروس مركز الصدارة والاهتمام.

1- الحمام العام و دوره

1.1 نبذة عن الحمام

إن كلمة حمام "تترجم إلى اللغة الفرنسية بعبارة حمام موريسكي، وهو ما يركز خصوصا على كونها ممارسة أندلسية، في حين أن ترجمتها إلى لغات أخرى تتحدث عن حمام البخار باعتبار القاعة الساخنة تفرز بخارا طفيفا يملأ الفضاء كله".¹

لقد كان الحمام قديما مكان للاسترخاء، وشغل على امتداد قرون حيزا مهما في الحياة اليومية للسكان في شمال إفريقيا، حيث كان فضاء للنظافة والطهر من الدنس والنجاسة، وبظهور الإسلام وانتشار الحضارة الإسلامية انتشرت الحمامات إذ أصبح الحمام يستجيب لشروط الحياة اليومية والطقوس الدينية. إذا أصبح دوره موازيا لدور المسجد إذ لا يمكن أداء الصلاة دون مراعاة شروط النظافة لأن الماء في الدين الإسلامي هو رمز للحياة والطهر المطلق.² فهو فضلا عن اعتباره فضاء للاستحمام وطلب الراحة والاسترخاء، أصبح له وظيفة روحية، بالإضافة كان يؤدي دورا هاما في المنظومة الاجتماعية فهو مكان للقاء الناس وفضاء لمتعة الجسم والروح.

إن نموذج الحمامات الأولى كان عبارة عن حجارة ساخنة تلقى في الماء البارد ثم تطورت في عهد الفراعنة الذين استبدلوا نموذج القاعة الجماعية الواحدة بحجرات صغيرة. واتبع الإغريق نفس النموذج و كانت نساءهم يعشقن الحمامات وكن يضيفن العطور لحماماتهن من أجل العناية بالبشرة والعلاج من بعض الأمراض.

ومن الحمامات المشهورة موقع قرقوان بتونس والذي كان يحوي مغاسل فردية رائعة التصميم مازالت آثارها شاهدة على روعتها وجمالها ودقة هندستها³. و فيما يلي صورة لهذا الموقع:

¹ - فضيلة كريم، مرجع سابق، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص ص 17 - 18.

³ - المرجع نفسه ، ص10.



صورة رقم (01): موقع قرقوان بتونس¹

وبنى الرومان في كل بلاد حلوا بها حمامات جماعية كانت تستخدم للتدليك والعناية بالجسم والبشرة خاصة. و نظرا لتواجد الرومان المطول في الجزائر وتوفر كل أرجائها على ثروة مائية هائلة، فقد انتشرت الحمامات التي كانت ملكيتها تعود إلى الدولة و" أصبحت الحمامات مكانا يجمع بين ملاء الفراغ ومنتعة الاستحمام".² إذ كان الرومان يهتمون كثيرا بالاستحمام ويعود ذلك إلى تقاليدهم القديمة جدا والعائدة في أصولها الأولى إلى عهد

¹ - فضيلة كريم، مرجع سبق ذكره ، ص11

² - المرجع نفسه، ص 15.

الوثنية، التي اقترنت بعبادات خاصة، حيث كان الماء يمثل في معتقداتهم رمز الطهر ويستخدم لحماية المنازل. و لشغف الرومان بالحمامات جسدها حتى في لوحاتهم. وتبرز الصورة التالية فسيفاء رومانية تصور الآلهة فينوس داخل حمامها.



صورة رقم (02): فسيفاء رومانية تصور الآلهة فينوس داخل حمامها¹

كما بنى الرومان حمامات فاخرة في عنابة وضواحيها لتمييزها بمنايع المياه الساخنة.

وتوجد بسوق أهراس و سكيكدة حمامات عدة منها " حمام الصالحين وحمام زايد وحمام تاسة وحمام النبايل"² ويوجد بغرب الجزائر وبالضبط في وهران " أشهر الحمامات حمام الملكة في الشرق المطل على مرسى الكبير و حمام المسخوطين"³ الذي يبعد عن قسنطينة بحوالي ثمانين كيلومتر، يستخدم لعلاج الروماتيزم والأمراض الجلدية والتئام الجروح نظرا لخصائص مياهه.

¹ - فضيلة كريم، مرجع سبق ذكره ، ص 12.

² - المرجع نفسه ، ص 36.

³ - المرجع نفسه، ص 36.

2.1- دور الحمام ووظائفه الاجتماعية

الزيارة الأسبوعية للحمام هي تقليد يتصل بمنافع النظافة والعناية بالبشرة واسترخاء عضلات الجسم وإراحته من أتعاب الأسبوع والأعمال الشاقة وجرت العادة بالذهاب في وقت مبكر لأن المرأة تقضي فيه وقتاً طويلاً ليس فقط للاستحمام لكن لتبادل أطراف الحديث والحكايات وسماع أخبار الأقارب والمعارف والجيران.

فالحمام النسائي هو مكان حميمي ترفيهي وتنفيسي مغلق على جنس واحد، العلاقة مع الرجال ممنوعة فقهيًا وعرفيًا في هذا الفضاء فهو منشأة معمارية تركز العزل بين الجنسين حسب المعايير الثقافية والاجتماعية.¹

يقول جيمس أتكينسن James Atkinson " أنه يسود الاعتقاد أن بعض الأيام حسب التقاليد الإسلامية تكون أنسب من غيرها لتوجه المرأة إلى الحمام (...) ويمثل الحمام للمرأة الفارسية متعة لا توصف تقضي فيه ساعات مع نساء أخريات، يتبادلن الحكايات ويتزين، ويتناولن ما لذ وطاب، ويصبغن شعورهن (...) وكانت النساء تجلسن في حلقات يتداولن على حك ظهور بعضهن البعض بواسطة (نوره)، وهو قفاز مصنوع من الحلفاء، يشبه الكاسة الجزائرية. و بعد الانتهاء من الاستحمام، كن يتقاسمن ما أحضرنه من فواكه ومشروبات..."²

كان الحمام مكاناً محبوباً أيضاً للرجال، إذ يخضعون لعمليات التدليك من أيادي مدلكين محترفين مما يجعلهم يشعرون براحة في أجسامهم ونفسياتهم. ويتعزز هذا الشعور بالراحة والاسترخاء عندما يتناول كأساً من الشاي الساخن أو القهوة التي يعدها أحدهم داخل الحمام ليبيعهما للزبائن، وفي كثير من الأحيان ينامون لفترة قصيرة قبل ارتداء ملابسهم للانصراف. والمكانة التي احتلها الحمام العام في الفضاء المدني أساسية ولها أهمية لتعدد الوظائف التي كانت ترتبط بوجوده إذا كان يتم في أرجائه التباسط في أمور عائلية أو مهنية

¹ - شاكور لعبيبي، العمارة الذكورية فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 186.

² - فضيلة كريم، مرجع سبق ذكره، ص 42.

أو تبادل أحاديث فردية أو إخوانية أو تصفية حسابات عالقة أو المباشرة بالكلام عن زيجات مدبرة أو مجرد "طق حنك" ونقل خبريات¹.

لقد ظل الحمام محافظاً على دوره الاجتماعي بالرغم من بعده عن الفخامة في أيامنا هذه حيث أنه لم يفقد مكانته وخصائصه النافعة التي أبقته على وجودها وتواصلها في عادات وتقاليد بلادنا خاصة في بعض المناطق كمنطقة الدراسة مدينة الشريعة، حيث بقي فيها الحمام يستغل كمكان لتلبية حاجة الجسم للنظافة، وكفضاء عام لم يفقد سحره في استقطاب النساء إليه للترويح عن أنفسهن والاستمتاع بسماع أخبار الأقارب والجيران والأحباب و اقتسام الأفراح كالذهاب مع العروس يوم حمام عرسها.

2- حمام العرس ودلالاته الرمزية

1.2- الحلاقة و العناية بجسد العروس

قبل عدة أيام من موعد الزفاف يقوم كل من العريس والعروس بالكثير من الاستعدادات العامة والخاصة للتعبير عن الفرحة والبهجة والسرور وضمان حياة زوجية سعيدة لا تنغصها النقائص. وتحرص العروس بصورة خاصة على العناية والاهتمام بنفسها من حيث مآكلها ومشربها وتعطي أهمية خاصة لجسدها لتبدو أجمل عروس رآها الناس وليبقى جمالها حديث النسوة لمدة كبيرة من الوقت.

تمثل عملية تزيين العروس قبل الزفاف محورا هاما للعديد من الممارسات التي تحتل مكانة هامة بين العديد من خطوات الاستعداد للعرس، إذ تبدأ عناية العروس بجسدها عناية فائقة لأنه سفير جمالها، ونجد أن لكل ثقافة عادات للتعامل مع الأجساد خاصة جسد العروس الذي يعتبر محور كل شيء في العرس.

كان مارسيل موس من الأوائل الذين اكتشفوا ارتباط الجسد بالثقافة ذلك من خلال الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية التي قام بها حول الجماعات شبه البدائية إذ من خلال معاشته لها والملاحظات التي دونها حولها اكتشف الكثير عنها وعن اهتمامها بالجسد (كطرق استعمال مواد التنظيف والتطهير واستعمال الماكياج، الوشم، الوصم، اللباس...² من

¹ نادر سراج، الحمامات العامة في الموروث الثقافي العربي الأمثال والأغاني الشعبية نموذجا، أعمال ندوة النصوص المطبوعة ودورها في صون الموروث الثقافي وتوظيفه في خدمة المجتمع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 20 أبريل 2010، ص 77.

² زهية بن هيد الله، مرجع سبق ذكره، ص 24.

هنا نتوصل أن لكل مجتمع عاداته و ثقافته في التعامل مع الجسد من ناحية العناية به و تزيينه.

ويؤكد دافيد لو بروتون أن المفهوم الحديث للجسد جاء نتيجة تحول نظام المجتمعات من نظام جماعي إلى فردي يركز اهتمامه على الجسد وأيضا الظروف التي غيرت العلاقات وأعادت تشكيلها فيقول: "الجسد في المفهوم الحديث (...)" هو نتاج تراجع التقاليد الشعبية وظهور النزاعات الفردية. فالجسد يترجم محور الفرد حول نفسه في نطاق تجربته ومعرفته بالأمور.¹ نستخلص من هذا الكلام أنه في الماضي لم تكن النزعة الفردية طاغية على المجتمعات فكان اهتمام الأفراد بالجسد أقل من اليوم حيث أصبح التركيز على الجسد بصورة ملفتة للأنظار ونجد أن ثقافة مجتمعاتنا العربية بما فيهم مجتمع الدراسة يؤيد هذا الزيف واختلاق صورة غير طبيعية لجسد المرأة حتى يستمتع بها الرجل وتكون زوجته خاصة عروسه، محط أنظار وحديث الناس من الناحية الجمالية والأناقة.

ونجد سيمون دي بوفوار يقول: "حتى إن كانت كل امرأة ترتدي ما يوافق ظروفها الاجتماعية، فهناك تحايل على الغير (...). فصبغات الشعر والمكياج (...). تدخل في تزييف صورة المرأة، تزييف وجهها وجسمها (...). وحتى المرأة الأقل استعمالا لذلك تظهر للعيان كلوحة أو تمثال (...).، حيث يتمظهر شخصها دون وجودها الحقيقي."² وبالرغم من قناعة الرجل في مجتمع البحث بأن جمال المرأة هو جمال روحها ونفسها وأخلاقها وأن الجمال الظاهري خاصة المصطنع لا يعكس الصورة الحقيقية لها إلا أنه يسعى ويأمل بل ويبحث عروسه أن تبدو جميلة أمام الناس خاصة أقاربه، حيث يقوم بتزويدها بالمال الكافي الذي تستخدمه لتصفيف الشعر والصبغة والحمام وغيرها من الأمور المرتبطة بزينة الجسد. و أول ما تعمد إليه العروس قبل بضعة أيام من زفافها هو الذهاب إلى الحلاقة "الحفافة" لصبغ شعرها وتغيير لونه. و كما جرت العادة فالعروس تغير شعرها إلى اللون البني الفاتح الذي تتخلله خصلات صفراء تميل إلى البياض إذ يقال أن العروس (دارت Les meches). و نلمس في مجتمع البحث عناية خاصة بجمالية الشعر لارتباطه بجمال المرأة، حيث يجب أن يكون طويلا منسدلا وبالنظر إلى ما يوحى إليه من جوانب جمالية إغرائية فقد ارتبط بدلالات رمزية تحيل إلى ما هو أخلاقي قيمى يتجسد في عدم قص المرأة شعرها لأن ذلك يتنافى مع

¹- David le Breton: La sociologie du corps, Editions PUF, Paris,1997,p 29.

²- Simone de Beauvoir: Le deuxieme sexe, Editions Gallimara, Paris,1949, p 120.

معايير جمال الأنثى¹ ثم تنتقل العروس بالعناية بوجهها لوحدها أو بالاستعانة "بالحفافة" التي تضع لها ماسكات عصرية وخططات تقليدية من أجل نظارة الوجه ويكون ذلك على عدة جلسات سواء في بيتها أو في قاعة الحلاقة وحسب قدرة العروس المادية.

تلي هذه العمليات عملية "نزع الشعر" من كامل الجسد إذ تقوم إحدى قريبات العروس أو صديقاتها وأحياناً "الحفافة" بتنظيف جسم العروس بإزالة الشعر من كل الأماكن في جسدها، يلي ذلك حمام تنظف فيه العروس نفسها جيداً وتسترخي خلاله، حتى تتفرغ لحمام العرس الذي يلي هذا الحمام و في الغالب يكون في اليوم الموالي.

2.2- حمام العروس

يحدد موعد حمام العروس يومين قبل الزفاف، فتبدأ الاستعدادات لهذا اليوم بفترة، حيث تحضر العروس ملابسها والأدوات الخاصة بالحمام. وتقوم والدتها بدعوة قريباتها من عمات وخالات وبنات العمات والخالات والأعمام والأخوال، وبنات الجيران المقربات وصديقات العروس وبعض المعارف المقربين، ويؤكد خاصة على حضور العازبات لمرافقة العروس في الحمام في كل خطوة تقوم بها حياءاً من كبيرات السن، ولكي يكون الفأل لهن فيما بعد. أما أخو العروس أو عريسها فيقوم بالتفاوض مع أصحاب حمام الحي الذي تسكن فيه العروس لحجزه بكامله لنصف يوم، هذا إذا كان ميسور الحال لأنه هو من يدفع تكاليف الحجز بالإضافة إلى أجرة حمام العروس وكل من يرافقها ولوازم تستخدم في الحمام من غسل للشعر وصابون وعطر... الخ، أما إذا كان وضعه المادي لا يسمح بكراء الحمام وحجزه بكامله فإنه يرسل مبلغ أقل كأجرة حمام العروس ومرافقاتها وبعض أدوات الاستحمام، وتتشارك العروس ومرافقاتها الحمام مع نساء أخريات وهن زبونات الحمام وتأتي بعض النسوة للفرجة ورؤية العروس و ليس للاستحمام في ذلك اليوم.

1.2.2- ملابس وأدوات الحمام

لما كان حمام الزواج يكتسي أهمية كبيرة في حياة العروس في منطقة الدراسة مدينة الشرعية، فإن التحضير له يكون بعناية وبفترة قبل حلول مواعده حتى تكون العروس على أتم الاستعداد له، فتشتري الثياب وتجهز أدوات الحمام المتكونة من ملابس للذهاب والعودة

¹ - خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص 85.

وأخرى تلبسها بعد الاستحمام وأدوات الزينة والحلي وأدوات الاستحمام وغيرها. فيما يلي بعض التفاصيل لها:

- ملابس خارجية وداخلية تحملها في حقيبة كبيرة وفاخرة وتتمثل في فستان (قندهورة) جميل يكون ذو لون فاتح و جذاب و غالبا ما يكون وردي أو أخضر أو بنفسجي لأنها ألوان ترمز إلى الحب والصفاء والسعادة، وألبسة داخلية تكون بنفس لون الفستان أو تتناسبه، وحذاء يتمشى مع الفستان. و تحضر لقدمها إلى الحمام والعودة إلى البيت عباءة أو حجاب.
- الحلي وتكون ضمن حقيبة صغيرة الحجم وتابعة للحقيبة الكبيرة وتحوي كل الحلي الذهبية والفضية للعروس.

• أدوات الزينة بكل أنواعها والسواك والكحل والبخور والعنبر و" أيضا أواني لا غنى عنها خلال الاستحمام الطقسي كالفوطة وغيرها من " أثواب الحمام "المطرزة والمحبس و الطاسة المستعملة في نضح الماء على الجسد في الحمام وعلبة الصابون والعطور"¹.

• الفوطة: هي قطعة قماش مخططة ذات لون وردي تضعها العروس بمجرد أن تنزع ثيابها لتدخل للاستحمام من أجل السترة وتكون طويلة تحت الركبة.

• مناشف الجسد و الرأس: تكون ثلاث مناشف منفردة اثنتان للجسم وواحدة أصغر منهما للرأس تكون ذات لون وردي أيضا وأحيانا تكون العروس قد حاكت منشفة خاصة للرأس من الصوف الرفيع تسمى " الملوى" تستخدم لتجفيف الشعر لها طرفان يلف فيهما الشعر الطويل عادة ثم تلوى حول الرأس.

• صندال تنتعله للدخول إلى غرف الحمام ويكون مميزا من حيث شكله ومرتفعا قليلا.

• أدوات الاستحمام من صابون وغسول الشعر والجسم و الكاسة، كما تأخذ معها عدة خاصة تتمثل في كرسي و دلو و طاسة وعلبة صابون وأمشاط وفراش لتجلس عليه أثناء الاستحمام ومراة. كل هذه الأدوات تكن مزينة بنوع من القماش يطلق عليه " الدنتال" و تتعمد العروس أن تكون هذه العدة بيضاء أو وردية تتناسب مع لباس الدخول ونجد أحيانا بعض العائلات مازالت تحتفظ بالدلو و الطاسة المصنوعين من النحاس.

¹- Aissa CHENOUF, Les Juifs d'Algerie 2000 ans d'existence, Editions eL Maarifa, Alger, 2004, p 187.

2.2.2- طقوس الدخول والخروج

في يوم حمام العروس تتجمع أغلب المرافقات في بيتها في الصباح، ويترافقن إلى الحمام وقد جرت العادة أن يذهبن راجلات لا في السيارات، وكان ذلك بمثابة إعلان للناس على بدايتي مراسيم العرس. وقد رافقنا ثلاثة عرائس أثناء دراستنا الميدانية فضلا عما كان قبلها وعن تجربتنا الخاصة، حيث بمجرد وصولنا إلى الحمام تعالت الزغاريد معلنة عن قدوم ووصول العروس. ولاحظنا أثناء سيرنا النساء وهن يطلن من النوافذ والشرفات وأحيانا كانت بعض العجائز ترشنا بالماء وتزغرد، وتبارك. إذا فطقوس الحمام تبدأ منذ خروج العروس من بيتها وهي بمثابة احتفال اجتماعي متكامل يجري وفق العادات والتقاليد التي توافق عليها مجتمع البحث.

بعد الاستقبال الحار والحفاوة من صاحبة الحمام، تدخل النساء وتشعر العروس في نزع ثيابها واستبدالها بفوطة الحمام وتنتعل صندالها المميز البراق الذي تنفرد به العرائس. وحسب المعتقدات فان دخول مكان الاستحمام يلزم الفرد بعدم الدخول وحده وتوخي الحذر من الجن الموجود في الحمام لذا كانت العروس لا تدخل وحدها، ويكون دخولها مصاحبا بقراءة بعض الأدعية لإبعاد الجن والأرواح الشريرة حتى لا تمسها بسوء. وبعد هذه الطقوس تدخل العروس ومرافقاتها إلى "البيت السخونة" لتعطي لجسمها دلكا خفيفا وتنظفه جيدا ثم تتعاون عليها رفيقاتها العازبات في جو تملؤه ضحكاتهن وقهقهاتهن فنجد واحدة تغسل شعرها بالغسول والأخرى تشطف بالماء وثالثة تنظف رجلاها ونجدهن مع العروس يضعن السواك في أفواههن حتى تنظف الأسنان جيدا وتحمر اللثة، فتبدو الأسنان بيضاء تحيط بهما اللثة الحمراء. إن استعمال السواك عادة تتميز بها نساء منطقة الدراسة كلما ذهبن إلى الحمام وهي عادة تدخل في العناية بالجسد وتجميله.

بمجرد الانتهاء من الاستحمام تقوم صديقات العروس بلف جسمها وشعرها في المناشف، ثم يخرجن وهن يحملن الشموع متجهات إلى قاعة فسيحة للاستراحة وقد جهزت بالزينة والزرابي ويوضع للعروس أريكة توضع بطريقة تعطي الفرصة للجميع لرؤيتها. بعد أن تلبس العروس ثيابها الجديدة بمساعدة صديقاتها تزين وتضع العطر وتلبس حليها وتجلس على الأريكة كالمملكة بعدما أتمت طقس الاستحمام. فالحمام فضاء نسوي خالص تحتاج إليه المرأة لتتفرغ لجسدها والعناية به من خلال ما يوفره من خدمات كترطيب الجسم وإزالة الشعر

من بعض المناطق كما أنه مجال لتحقيق الطهارة والاعتسال وفضاء للاسترخاء يعيد للجسم حيويته ونشاطه ويهيئه للحب¹، بعد أن تلبس جميع مرافقات العروس ثيابهن يجلسن وتبدأ بعضهن بالغناء والرقص وإطلاق الزغاريد وتتفرغ ثلاثة أو أربعة من النساء لتوزيع الحلويات والمكسرات والقهوة و"الشاي بالكوكاو"، و تؤخذ الصور التذكارية مع العروس. بعد انتهاء طقوس الحمام والاحتفال الجماعي تعود العروس إلى البيت لتواصل استعدادات أخرى.

3.2.2- الطقوس التطهيرية للاستحمام ورمزيتها

ارتبطت الطقوس التطهيرية في الحمام بالماء الذي هو مصدر الحياة ورمز الخصب والتجدد. والطهارة ممارسة دينية طقوسية يلتزم فيها الفرد أو الجماعة بالتخلص من النجاسة والدنس وللماء مكانة مركزية في رمزية الألوهة المؤنثة فهي لا تتجلب الحياة فقط بل وتغذيها من حيث أن كل الكائنات تنمو وتحافظ على بقائها بالمياه²، ويأتي الماء ضرورة لازمة للعزائم والرقى كأحدى الوسائل الطقسية التي تمارس طلبا للاستشفاء انطلاقا من رمزيته وعلاقته بالخلق ومبدأ الحياة والتبرك به³ إذا هو مكان لإزالة النجاسة والعبور إلى الطهارة من أجل الاستعداد للعبادة. والحمام مكان يوحى بالإثارة الجنسية وهو تحضير للفعل الجنسي فهو في نفس الوقت مقدمة وخاتمة الأعمال الجنسية. هناك ترابط بين التطهر و الجنسية. كما يتمثل دوره في تخفيف التوترات الجسدية والنفسية الناجمة عن الفعل الجنسي، فهو لعبة التكيف مع الروحي⁴.

إذن من هنا يتحدد دور الطهارة ويتضح جليا احتواء الغسل على معنى ميتافيزيقي فهو أسلوب للتغلب على القلق والاضطرابات بحيث يقوم بامتصاص القوى الغامضة المواقبة للجماع والحيض والولادة، ويمكن للإنسان بالتالي معاودة التحكم في جسده والسيطرة عليه وتأتي عملية الذهاب إلى الحمام للطهارة لمعاودة إخضاع تلك القوى للسيطرة والتقنين

¹ - خلود السباعي، مرجع سبق ذكره، ص ص 101-102.

² - صوفية السحيري بن حنيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2008، ص 193.

³ - صوفية السحيري بن حنيرة، مرجع سبق ذكره، ص 194.

⁴ - المرجع نفسه، ص 197.

والإدماج¹ أي أن الإنسان وهو في حالة انشغال بنظافة جسده والعناية به يتخلص من التوتر والقلق فيعود إليه توازنه الداخلي.

والطهارة الطقوسية استعادة للشيء المفقود وحالة القداسة، وقد لعب الحمام دورا هاما في هذه العملية لذلك يتمتع الحمام بمكانة خاصة تتعدى القواعد الصحية والشعائرية. من خلال ما تقدم نستنتج أن الطقوس التطهيرية في الحمام لها دلالات و رمزية ترتبط باستعمال الماء الذي يعد مصدر الخصب والنماء وتجدد الحياة ورمز الخلود لدى كل المجتمعات الانسانية وفي كل الثقافات والديانات.

3- يوم الكباش

1.3- إعدادات العروس بعد الحمام

1.1.3- السخاب (كيفية إعداد السخاب)

في إطار الاهتمام بتجميل جسد المرأة عامة واهتمام العروس بجمالها وتزيين جسدها خاصة فقد استخدمت الحلي بمختلف أنواعها وأشكالها وعبر العصور لغرض الزينة. كما **يلبسها** الناس لأغراض عقائدية أو سحرية أو تعبيراً عن المكانة الاجتماعية، حيث كانوا يعتقدون في قدرتها على حمايتهم من المرض ورد العين كما كانوا يضعون أثناء أداء الطقوس الدينية، وفي المناسبات الاجتماعية تعبيراً عن علو المكانة والغنى وأيضاً عن الانتماء المكاني أو الجغرافي للبسها. لذا اختلفت كل منطقة بأنواع وأشكال من الحلي القديمة والحديثة أو التقليدية والعصرية. من بين هذه الحلي السخاب الذي يوجد في منطقة القبائل والأوراس والميزاب كما أشارت إليه وسيلة تامزالي في كتابها "أبزيم- زينة وحلي نساء الجزائر". ويذكر ماثيا فودري أن هذه القلادة قديمة جدا وكانت نساء الأوراس يلبسها إلى الخصر لكنها حسب ملاحظاته بدأ السخاب في الانقراض بسبب الموضة. وتعد منطقة الدراسة مدينة الشريعة التي لم ينقرض بها السخاب بالرغم من التغيرات التي أدخلت عليه. السخاب عقد تقليدي يصنع من عجينة سوداء أو بنية تتكون من مواد أهمها القرنفل والعنبر والمسك وما يسمى بالقمحة² ثم تشكل العجينة المحضرة على شكل مثلثات صغيرة تثقب في وسطها ثم تترك لتجف بعد المدة الكافية لتصبح صلبة ترصف في خيوط رفيعة.

¹ - صوفية السحيري بن حنيرة، مرجع سبق ذكره، ص 197.

² - ناهد بوخالفة، تراثيات حضارة تبسة، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، المسيلة، 2015، ص 21.

وشكل المثلث كان متداولاً في الماضي، أما في الحاضر فقد أضيفت أشكال أخرى لحبات السخاب وهي شكل النخلة والهرم¹.

في الماضي كان السخاب يحضر قبل الزفاف بعدة أيام، وكانت أم العروس تعده لابنتها بالتعاون مع قريباتها وجاراتها وصديقاتها وهذا ما أفادتنا به الإخبارية رقم (03) في قولها: "السخاب بكري هو زينة المرا والعروس بلا بيه ما تسماش عروس² وهذا ما يؤيده رأي أم قواشون في كتابه "الحياة النسوية في ميزاب" والذي أورد تفسيراً لإحدى النساء يخص هذه القلادة في قولها: "امرأة لا تملك سخاباً ليست امرأة" باعتبار أن هذه القلادة القديمة تخص القبائل والأوراس وميزاب. وتضيف المبحوثة رقم (10) قائلة: "لازم كل أم تحضر السخاب لابنتها مع فاميلتها وحباباتها وجاراتها، كنا كي تقرب الطفلة تعرس نجلو في بيت بيهنا ونحضر الحبات متاع السخاب مع بعضانا ونحنا نغنو ونزغرتو ومن بعد نكلمو تحضر لينا أم العروس الطمينة فال متاع السخاب بعد ثلاثة ولا أربع أيام على حساب الجو سخون ولا بارد تشيح الحبات متاع السخاب تخبيهم أم العروس حتى لنهار الركوب تجدهم وتعرض العزريات الكل متاع الدوار باش يعمره مع العروس"³، تفيدنا الإخبارية في كلامها أن عملية صنع وتحضير السخاب هو عمل تعاوني وواجب جماعي تمليه الأعراف والتقاليد على الأقارب والجيران وتقوم به النساء بتلقائية مع الشعور بالسعادة والمتعة. لكن حالياً توكل مهمة صنع السخاب إلى إحدى الخبيرات وهن في الغالب عجائز أو نساء توارثتها عن أمهاتهن أو جداتهن، وأصبحن يمتهن هذه الحرفة ليسترزقن منها.

كانت حبات السخاب (سخاب القمحة) ترصف في خيوط رفيعة ومتينة جداً على شكل قلادة يتخللها المرجان وبعض القطع الفضية في الوسط والجوانب وهي "الخمسة" أو "المشطة" كما كان يطلق عليها في الماضي و "المحاقن" التي تفصل بين أجزاء السخاب. أما تحضير السخاب حالياً في منطقة الدراسة فأدخلت عليه بعض التغييرات حيث أصبحت هناك بدائل للقطع التي يتشكل منها إذ أصبح من الممكن أن تكون القطع فضية خالصة وقد تكون مغطوسة في الذهب ومن كانت ميسورة الحال فإنها تعمد إلى أن تكون تلك القطع من الذهب الخالص، كما تغيرت بعض أشكال القطع المستخدمة في السخاب فما

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال الملاحظة بالمعايشة.

² - مقابلة مع الإخبارية رقم (03)، سبق نكرها.

³ - مقابلة مع المبحوثة (10)، 20 أوت 2016، على الساعة 11:30.

هو سائد حاليا في مجتمع البحث هو "الإجاصة" عوض "الخمسة" و"الحسك" عوض "المحاقن" والجوهر عوض المرجان¹. بالنسبة لعملية تحضيره فيكون بعد الحمام مباشرة إذ تجتمع كل الفتيات اللاتي رافقن العروس إلى الحمام في بيتها فتسلم لهن الأم ذلك السخاب المجهز مبدئيا لإعادة تحضيره فيتقابلن وتسلم كل واحدة خيطا متينا ورفيعا وإبرة وتكون خمسة خيطان لرصف الحبات تتداول عليها الفتيات وبين كل جزء توضع "حسكة" والجوهر وفي وسطه "خمسة" وأحيانا "إجاصة"، تستخدم الخمسة اعتقادا من أنها ترد العين إذ يقال: "خمسة في عينين الحسود"².

إلى جانب سخاب القمحة يحضر سخاب آخر يطلق عليه "سخاب القرنفل" الذي تصاحبه أيضا بعض الطقوس. إذ تعتمد أم العروس قبل يومين من يوم الحمام إلى وضع كمية معتبرة من القرنفل في الحليب فيتشربها القرنفل وينتفخ لتسهل عملية ثقبه وإدخال الإبرة في حباته من أجل رصفه في خيوط وتزيينه ببعض القطع الفضية أيضا. في هذا المقام تقول لنا المبحوثة رقم (11): "سخاب القرنفل مليح ياسر لخاطر ريحتو ما تروحش خلاص نرنخو القرنفل في الحليب لخاطر الحليب فال مليح وباش تجي حياة العروس والعريس صافية كيما نقولو " صافية حليب" يعني مكانش المشاكل"، بعد الانتهاء من تعميم السخاب تتناول الفتيات العصيدة التي تكون أم العروس قد حضرتها، يلف السخاب في فولارة خضراء ويوضع في جهاز العروس لتلبسه فقط بداية من يوم الحزام وليس قبل.

"بكري السخاب في بلاصة الريحة تاع توا المرا كي تعرس لازم تكون ديما ريحتها مليحة ومعطرة باش تجبد راجلها تلبسو العروس حتى تكمل عامها المهم حتى تجيب صغيرها لول تنحيه غير كي ترقد ولازم تلبسوا في المناسبات ولا يعايروها النساء ي قولو فلانة جت بلا سخاب. وساعة ساعة دير كعبة ولا زوز في فمها للوس لخاطر ناس بكري كلش عندهم عزيز شكون يشري القرنفل يا حسرة. وأما تو كاين بعض البنات ما يحبوش يديروه نقولو ماتت مودتو"³ ما ذكرته الإخبارية هنا عن سخاب القرنفل مهم جدا إذ تطرقت لوظائفه فهو من جهة يستعمل لإثارة الرجل وجذبه إلى المرأة لرائحته الطيبة تقول وسيلة تامزالي " أن هذه القلادة ويقصد بها السخاب تمثل أداة للإغراء نظرا لرائحتها القوية والحلوة فهي ذات

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال الملاحظة بالمعايشة.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال الملاحظة بالمعايشة.

³ - مقابلة مع الإخبارية (11)، 25 أوت 2016، على الساعة 13:00.

قيمة كبيرة لقدرتها على فتنة الرجال¹. كما أنها تحمل في ذات الوقت اليد أو الخمسة التي يتعوذ بها من العين. وأيضا وظيفة علاجية وهي تسكين آلام الضرس عندما يسوس لأن الناس كانوا لا يقبلون على الأطباء خاصة أطباء الأسنان. كما أن العروس يجب أن لا تشتكي من أية علة خاصة عندما تكون في عامها الأول أو الثاني كأن الأم تحسبت لهذه الطوارئ وهيأت لها الحل المناسب.

2.1.3- الفحص الطبي وشهادة العذرية

لقد كانت اختبارات العذرية على مر العصور كثيرة ومتنوعة ومعظمها مترسخة في الخرافة، وقد بقي القليل في الوقت الحالي، فمثلا في بريطانيا كان الاعتقاد السائد بأن المرأة العذراء هي التي تستطيع النظر مباشرة إلى الشمس رغم حدتها. أما في هنغاريا فان الدليل على أن الفتاة عذراء هو قدرتها على السير خلال سرب من النحل دون أن تلتسع، فاعتقادهم هو أن المرأة العذراء طاهرة والنحل لا يمس المرأة الطاهرة باعتبار العذراء طاهرة. كما حيكت أيضا حولها بعض القصص والاعتقادات في منطقة الدراسة مدينة الشريعة إذ كانت الفتاة المشكوك في أمر عذريتها تعرض على امرأة عارفة لتفحصها لكن ليس في جهازها التناسلي بل من خلال معصمها أو الكوعين فهناك علامة تدل على ذلك قالت لنا المبحوثة رقم (06): "بكري ماكانش السرتيكة متاع ها الوقت والأم تلقيا مقلقة على بنتها خاصة كي تجي تعرس لا تكون ماشي صبية ودارها بيها واحد وهي جاحدة، تولى تديها لعروز تعرف، تشوفها وتقلها صبية ولا لا. كيما يقولوا تعرفها من زندتها كان فيها حفرة في الجهة الدخانية هذا العصب راهي ماشي صبية وكان ماكانش حفرة راهي صبية والله يعلم وأخرين يقولوا يشوفو عرقوب الطفلة ولمارة هي الحفرة ثاني ولتو كاينين ناس مازالوا يمنوا بالشبي هذا"².

تذهب الإخبارية في كلامها إلى وجود اعتقادات خاصة بالفتاة العذراء وأن هناك بعض الدلائل والعلامات المرتبطة بجسمها تدل على أنها عذراء أو لا، وأن هذه الاعتقادات لا زالت قائمة في منطقة الدراسة لكن لم تجزم بصحتها وتوجهنا إلى المبحوثة رقم (10) لتأكيد أو نفي هذه الأقوال فقالت: "الناس يقولوا الشيء هذا بصح ما دريت صح ولا لا وكاين لي

¹ - وسيلة تامزالي، أبزيم زينة وحلي نساء الجزائر، منشورات ألفا، الجزائر، 2007، ص 43.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (06): سبق ذكرها.

يقول الشيء هذا صحيح وكاين نساء وهو ما لي يت قزو ويداواو النساء على الضناية يعرفو المرا ثاني صبية ول لا بصر ما يفولوش كيفاش يعرفوها"¹.

بالرجوع إلى قول الإخبارية نجدها تؤكد على اعتقاد الناس في وجود أساليب وطرق

لمعرفة الفتاة العذراء لكنها هي أيضا لا تجزم بصحة تلك الاعتقادات. بناء عليه ونتيجة للتغيرات الحاصلة في المجتمع توجهنا بسؤالنا حول كيفية معرفة المرأة العذراء حاليا وكيف

تؤكد الفتاة ذلك عندما تزف إلى زوجها، وهل من الضروري إثبات عذريتها والإعلان عنها

أمام الجميع أم أن الأمر مرتبط بالعروس وزوجها فقط؟ للإجابة عن هذه الأسئلة توجهنا

إلى مجموعة من المبحوثات فقالت المبحوثة رقم (12): "أنا كي عرست رحت للطبيبة بعد

الحمام دارتلي شهادة العذرية كيما نقولوا سرتفيكة وهي ضرورية لخاطر الباطل كثر والناس

عندنا يشكو في المرا لوكان ماديرهاش، والعروس كي تديها معاها تكون مهنية وماشي مقلقة

لخاطر ضامنة روحها وتقدر تواجه الناس كان صرا مشكل"². أما المبحوثة رقم (13)

فقالت: "وحتى الراجل حتى لوكان مقتنع بلي مرتو نظيفة ومحافطة على روحها وبننت فاميليا

مادابيه ديرها باش يتهنى على الأقل من جيبتها."³ وأضافت المبحوثة رقم (14) قائلة:

الراجل حتى لوكان ما يصرحش برغبته في أنها ديرها يفضل أنها تكون بعيدة على الشكوك

والقيل والقال"⁴ وتؤيد المبحوثة رقم (15) قول المبحوثات السابقات بقولها: "أنا مخطوبة

وراجلي ثابت فيا ويعرفني مليح بصر ما عندي ما خسرت كي نديرها بالعكس نروح عند

ماليه وأنا متهنية وزيد بزيادة نهني يم عليا تعرفي الأم ما تتهناش وتبقى مقلقة، وحتى كان

ظهر مشكل الله لا يقدر يكون هو المسؤول"⁵.

ما أجمعت عليه المبحوثات هو ضرورة أخذ العروس لشهادة العذرية معها كدليل عن

عفتها ولضمان حقها وإسكات السنة السوء التي قد تمسها وتخلت عن هذا المطلب أو وقع

مشكل في ليلة الدخلة فهن يرين أن هذه الشهادة تخلص العروس وأهلها خاصة هي وأمها

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (10): سبق ذكرها

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (12) ضمن مقابلة جماعية ، يوم 31 أوت 2016، على الساعة 14:30.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (13)، ضمن نفس المقابلة الجماعية .

⁴ - مقابلة مع المبحوثة رقم (14)، ضمن نفس المقابلة الجماعية .

⁵ - مقابلة مع المبحوثة رقم (15)، مقابلة جماعية، سبق ذكرها.

ومن التوتر والترقب وتشعرهم بالطمأنينة وهو أمر لا يكلف الجميع عناء بل على العكس فحتى الزوج لا يمانع بل يحبذ ذلك حتى لو لم يعبر صراحة عن ذلك.

إذا فعذرية العروس مرتبطة بشرف العائلة وهي مقياس لتربية العروس وأخلاقها الحسنة، ورمز لعفتها لذا جرت العادة بأن تذهب العروس بعد حمامها إلى الطيبة لإجراء الفحص الطبي من أجل جلب شهادة العذرية. وبمجرد منح الطيبة لهذه الشهادة تنطلق الزغاريد في العيادة للإعلان عن سلامة الفتاة والافتخار بأنها عذراء وعند العودة مباشرة إلى بيت العروس تزغرد المرافقات لها وتعد هاته الزغاريد إعلام لرجال العائلة حتى ولو كان هذا غير صريح ذلك حتى يطمئنوا، ويسمع الجيران والحضور. ولشدة اهتمام مجتمع البحث بهذا الموضوع فإن إحدى أخوات أو قريبات العروس تدور بها على الحاضرات من النساء في ذلك اليوم لتؤكد رؤيتهن لها. ومن لم تحضر في ذلك اليوم فإن أم العروس تتعمد إخراجها وإظهارها ثانية أمام الحاضرات، وحرصا منها على أن يراها أهل العريس فإن هذه الشهادة تعلق على صدر العروس فوق فستان الزفاف (Robe de mariage) وتحفظ بها العروس أو والدتها لسنوات فيما بعد.

2.3- شاة الحلال وطقوسها

1.2.3- رمز الكبش

من هنا يجب علينا التعرض لهذا الرمز "الكبش" فهو رمز الرب أمون أكبر أرباب شمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط خلال العصور القديمة، والذي وجد منقوشا في بعض البقايا أو منحوتا في مواقع في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى¹. في هذا المقام نتناول أصل هذا الرمز وعبادته وتواجده وارتباطه بالطقوس الدينية وتقديمه كعربان وكرمز للخصوبة. يرجح أن الكبش أتخذ كرمز لأمون لأنه أكثر الحيوانات شعبية وشهوانية ويرمز للخصوبة. كما هو الحال عند الإغريق كما اعتبره اليهود المسيحيون مقدسا يدل على الذكورة الطبيعية من جهة، وملعون بتلبس الشيطان صورته لذا يضحى به تكفيرا عن آثام الشعب. وهنا نستذكر قصة إبراهيم الخليل عليه السلام وابنه إسماعيل الذي افتداه الله بكبش.

¹ - محمد حمام، المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، الجزء الأول، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004، ص 46.

وتأخذ كلمة أمون أبعادا في اللغتين الأمازيغية والمصرية. فهي في المصرية مشتقة من معنى الاختفاء والسرية ويعتبر إليها مصريا، أما في اللغة الأمازيغية فتعني كلمة "أمن" أو "أمان" الماء¹. وقد ارتبطت كلمة "أمون" ببعض الجماعات البشرية التي حملت اسمه لارتباطها به وعبادتها له. ويؤكد الأستاذ محمد شفيق أن صيغة الرب أمون صيغة أمازيغية. وقد ارتبطت كلمة "أمون" الذي يرمز له بالكبش إلى جماعات بشرية حملت اسمه وارتبطت به وعبدته. أي أن الرب الكبش كان له عباد من الأمازيغ الذين اتجهوا إلى ليبيا الحالية ومصر والذين حملوا معهم ثقافتهم ومعتقداتهم وعبوداتهم. هذا ما ذهب إليه أوريك باتس Oric Bates في قوله: "يبدو من المؤكد أن ثمة علاقة وحدثت بين ديانة المصريين القدماء وديانة الليبيين (الأمازيغ)"². ويضيف: "تماما كما توجد عناصر أمازيغية محددة في اللغة المصرية فإنه، توجد كذلك، عناصر متنوعة في الديانة المصرية ذات أصل أمازيغي"³. انطلاقا مما تقدم يمكن القول أن تقديس أمون قديم جدا، وأن المؤرخين والباحثين يربطون الكثير من المظاهر الثقافية المصرية خاصة الدينية بالثقافة الصحراوية الأمازيغية باعتبار أن جماعات بشرية وصلت إلى مصر جاءت من الصحراء التي كان يسكنها الأمازيغ أو أنهم بعض من الأمازيغ الذين نزح البعض منهم إلى شمال إفريقيا. أي أن الكبش المرتبط بعنصر حيوي للحياة هو الماء ذو أصل أمازيغي. وتؤكد الدراسات أن كبش النقوش الصخرية أقدم من كبش أمون.

في هذا الصدد عثر في مقبرة النوبة على بقايا أكباش قدمت كقربان. وتظهر الأكباش في النقوش الصخرية في شمال إفريقيا مزينة وتحمل قلائد وعقود وعلى رؤوسها إشارات ومن أشهر هذه الأكباش كبش فج زناكة بالمغرب وكبش بوعالم بالجزائر الذي يحمل فوق رأسه وبين قرنيه قرنا دائريا، ويحيط بعنقه عقد. وكان الهدف من تقديس الكبش وعبادته الزيادة في تكاثره. وقد أشار بعض الباحثين إلى أن سكان إفريقيا هم الوحيدون الذين قدسوا الكبش في

¹ - محمد حمام مرجع سبق ذكره، ص ص 46-47،

² - ، المرجع نفسه، ص 50.

³ - المرجع نفسه، ص 50.

القديم. وارتبطت عبارة الكبش ببعض المهرجانات والحفلات الشعبية.¹ إذا مما تقدم نقول أن "تبجيل الكبش وتقديسه دليل على تمسك الأمازيغ بتقاليدهم وعاداتهم الدينية القديمة."² وربما ما يفسر ممارسة هذه الطقوس إلى يومنا هذا أما فيما يخص طهيه وتوزيعه وطقوسه سنأتي على تفصيلها في الفصل المقبل.

2.2.3- طقوس ذبح الكبش

يعد يوم الكبش اليوم الأول الذي تبدأ فيه مراسيم العرس أو الزواج حسب مجتمع البحث ويسمى أيضا "نهار أو يوم الركوب". وفي بحثنا عن معنى هذا المصطلح قالت لنا الإخبارية رقم (04): "العرس يبدأ بنهار الركوب يقولوا الركوب لخاطر بكري في اليوم اللول تاع العرس النساء يركبو الرحي باش يرحو القمح باش يديرو كسكسي العرس ويخبزو منو لخاطر ناس بكري ما يسجوش قبل الحوايج لي يوكلو بيهم، في نهار الركوب يجملوا النساء وكل زوز ولا ثلاثة يتعاونوا يديرو حاجة، آخرين يرحو وآخرين يغربلوا وآخرين يكسكو وآخرين يخبزو حتى يتم العرس، ماشي كيما تو الناس تسجي كلش بكري الكسكسي يتكسكس بكري ولا يتشرو من السوق"³.

بالعودة إلى كلام الإخبارية نجد أن هذا المصطلح بقي راسخا في الأذهان ويستعمل للتعبير عن بداية العرس بالرغم من عدم اقترانه بما أوجده بتعبير آخر تخلي النساء عن عادة تركيب الرحي من أجل رحي القمح من خلال بعض الصور لأعراس لم يمض عليها وقت طويل نساء يفعلن ذلك أي يستعملن الرحي في رحي القمح وهو طقس يمارس لإعطاء الإشارة لانطلاق العرس فهن أثناء عملية الرحي يغنين أغاني تقليدية تعبر عن بدايته فتنتقل الزغاريد متتالية بعد سماع المقطع الأول من أول أغنية التي ترافق أول كلماتها أول حفنة قمح توضع في الرحي.

في هذا اليوم تعلق كسوة العروس في بيت زوجها في غرفة استقبال المدعوين لتراها القاديات من المهنئات. فتبدأ الزغاريد ويطلق البارود لإعلان بدأ العرس، فتذبح الذبائح وتجهز ويبدأ المقربين في الحضور إلى بيت العريس"⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 52-53.

² - المرجع نفسه، ص 53.

³ - مقابلة مع الإخبارية رقم (04)، سبق نكرها.

⁴ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

ومن الأمور الشائعة في مدينة الدراسة أن الأعراس حاليا تقام في فصل الصيف لأنه موسم العطل بالنسبة للكثيرين حتى يسمح للأقارب خاصة البعيدين الحضور وأيضا فصل الربيع للطاقة جوه واعتدال المناخ فيه.

بعد الزوال ينطلق أهل العريس إلى بيت العروس وهم يحملون " شاة الحلال " ومعها كل ما يلزم للطبخ وتجهيز الغداء لهم في يوم الغد أي يوم العقود لأنه من العيب والعار أن يتغدى أهل العريس على حساب أهل العروس وهذا ما تقره العادات والتقاليد منذ زمن بعيد مع فروق بسيطة في المستلزمات التي يحملونها معهم. تقول الباحثة رقم (16): "بيدي العرس بنهار الكبش إلي ندوه لدار العروس نديرو في رقتو محرمة خضراء لخاطر فال مليح لخضر لون الجنة والصفاء والفرحة والخير الياسر وندو معاه قضيات لي هوما: الكسكسي، الزيت، الطماطم، الزبيب، الحمص، القهوة، السكر، التاي، السلاطة، الزيتون، طماطم الكعب، الخيار والفاكهة تاع الموسم"¹

يتكون الموكب المتجه إلى بيت العروس عادة من ثلاث إلى أربع نساء تبقى اثنتان لحراسة العروس ولتنظيف وطهي الكبش وتجهيزه لليوم الموالي وهو يوم العقود لأنه من الواجب على أهل العريس التكفل بالخدمات التي تقام في بيت العروس فيما يخص ذبح الكبش وتنظيفه وطهيه حيث أن الشخص أو الأشخاص الذين يقومون بعملية الذبح والسلخ يحضرهم العريس ويجب أن لا يكونوا غرباء عن العروس لأنه لا يسمح لأحد برؤيتها غير المحارم من أهله فيكون هؤلاء عادة من إخوته وأعمامه وأخواله باعتبار أن العروس تساهم في طقوس الذبح فيراها الحاضرين.

بمجرد وصول الموكب إلى بيت العروس يطلق البارود وتزغرد النساء إعلانا عن قدومهم وإحضارهم الكبش، يستقبل أب وإخوة وأخوال وأعمام العروس والحاضرين معهم أهل العريس ويقدمون لهم بعض الحلويات المنزلية والقهوة في انتظار ذبح الكبش. في هذه الأثناء تكون العروس جاهزة بعد حمامها والقيام بكل الاستعدادات لأنه لا يسمح لها بمغادرة البيت أبدا إلا للذهاب إلى الحلاقة.

وتمارس طقوس قبل وبعد ذبح الكبش ، حيث توضع فولارة أو محرمة خضراء في عنقه لما للون الأخضر من دلالة فقد صورت الألوان وبشدة في الخرافة و أشير إليها في مداخل

¹ - مقابلة مع الباحثة رقم (16)، 20 سبتمبر 2016، على الساعة 16:30.

عديدة. حيث نجد الناس في كل المجتمعات يعتقدون بأن ألوان معينة تجلب الحظ والصحة وألوان أخرى هي ألوان تجلب النحس والشؤم. من هنا نجد أن بعض الألوان شائعة كثيرا في مناسبات خاصة، فاللون الأخضر يعني القناعة والصحة. ويعد اللون الأخضر في الكثير من الدول الأوروبية لونا محظوظا بسبب ارتباطه بأوراج الأشجار، وتفيد الخرافة بأن تعليق الأغصان الخضراء على الأبواب يجلب الحظ ويترد الساحرات والعفاريت.¹ أما في مجتمع الدراسة فيشير إلى الصفاء والسعادة والراحة والسلام عند ذبح الكبش تتقدم العروس لتضع في فمه مرآة صغيرة مغلقة لم يسبق لأحد أن فتحها أو نظر فيها مع قطعة نقود من فئة 5 دج وقليل من السكر لتكون حياتهما حلوة وسعيدة، ثم تمسك رقبة الكبش ليذبح، بعد رؤية الدم تتصرف ويقوم من ذبح الكبش بصب الملح على الدم كما يقال تقاديا لغضب الجن وحتى يذهب الشر والهيم حيث تقول المبحوثة رقم (17): "كي نذبحو الكبش كيما نثولو شاة الحلال نصلبو فوق دمها شوية ربح(ملح) باش يبعودوا الجنون وما يذوش العروس ومالي العرس الكل وباش يروح الهيم كيما يقولوا جدودنا" جري الدم يروح الهيم".²

بعد السلخ وتقسيم الكبش يحضر لحمه للغد ليطهى ليتغدى عليه أهل العريس وجميع الحاضرين، والمهم هو الأجزاء التي تطهى في قدر خاص وحدها وسنتعرض لها بالتفصيل في الفصل المقبل مع التطرق لقيمة المرآة.

تقوم المرافقتين لشاة الحلال بتنظيف أجزاء الكبش وتجهيزه مع تقديم بعض الشواء منه للمرافقين والمرافقات من النساء اللاتي لن يحضرن في اليوم الموالي لإعطاء فرصة للأخريات للحضور في العقد، أي أن الحضور إلى بيت العروس حسب مجتمع الدراسة يتشارك فيه الجميع خاصة النساء حيث أنهن يحضرن إلى بيت العروس بناء على طلب أم العريس وأبيه وإذا حدث أن نسيت أو تغافلت عن واحدة فإنها تغضب وتتسحب من العرس قبل نهايته لذا نجد أهل العريس حريصين على تذكر الجميع وإرضائهم حتى لا تعكر أجواء العرس، وتولي أهمية بالغة للمقربين جدا، في هذا المقام تقول لنا المبحوثة رقم (16): "نحن النساء في لعراس نروحو لدار العروس بالدالة آخرين يروحوا نهار الكبش ويكونوا كبار وقرلب من العريس وآخرين يمشوا نهار العقود خاصة الصغار والصبايا وآخرين يمشوا نهار لي

¹ - فليب وارنغ، معجم المعتقدات والخرافات، ترجمة: رمضان مهلهل سد خان، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص ص 60-106.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (17)، يوم 21 سبتمبر 2016، على الساعة 15:00.

تدخل فيه العروس باش ما يغضب حتى حد، وقليل لي يدي النساء لي ماشهم من العرش ولازم على أم العريس وبيو ولي متوكلين بالعرس يعرضوا لي يروحوا"¹ يفيد كلام المبحوثة أن عملية الذهاب إلى بيت العروس في عملية مشاركة من الجميع وهي حق وواجب وتآزر وتعاون بين الأقارب بصورة خاصة.

بعد انصراف أهل العريس يتهيأ الجميع ليوم العقود وهو يوم مهم في مجتمع البحث بالنسبة لأهل العروس خاصة لأنه اليوم الذي يستقبلون فيه أكبر عدد من أهل العريس لذا يجب عليهم أن يظهروا بأحسن صورة من جميع الجوانب (الأكل، اللباس، مكان الاستقبال...) وقد جرت العادة في منطقة الدراسة في منطقة الشريعة أن توضع قطعة قماش من الفولار الأخضر في عنق الكباش عند إحضاره حيا إلى بيت العروس يوم عقد الجماعة، ويحضر معه كل اللوازم من الكسكسي والزبيب والحمص ولوازم طهيه من طماطم وزيت كما يحضرون القهوة، الشاي، السكر والمشروبات الغازية، الفواكه، الخس والزيتون بنوعيه الأسود والأخضر ولا تحضر فقط الأشياء (الحارة) كالثوم، البصل، الهريسة، الفلفل الحار والتوابل لأنه فال شر على العائلة. كما يقوم أهل العريس بإحضار تشكيلة من الحلويات والمكسرات وحلوة الشامية والحلقوم... إلخ

4- يوم العقود

1.4- عقد الجماعة

1.1.4- قراءة الفاتحة

بعد تجمع أهل العروس وجماعة والدها في قاعة جلوس فسيحة مرتبة ومزينة ومجهزة بالزرابي والمفروشات الجميلة، يجلسون في انتظار أهل العريس أو جماعة العريس. وبمجرد وصولهم يجتمعون معا بعد الترحاب وإطلاق الزغاريد من طرف النسوة المرافقات لأم العريس ينتظم جميع الحضور في حلقة حول الإمام الذي يشرف على عملية عقد الجماعة وقراءة الفاتحة، ويجلس بجانبه الشاهدين والوكيلين. ويتم عقد الزواج بالإيجاب والقبول بين الرجل والمرأة أو ولي المرأة، ويمكن أن تكون الوكالة عن كل منهما². يبدأ الإمام كلامه بالبسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ص) ثم يسأل إن كان الطرفين متفقان على الشروط

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (16)، سبق ذكرها.

² - فيصل محمد خير الزراد، المرأة بين الزواج والطلاق في المجتمع العربي والإسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت،

لبنان، 2010، ص 58.

ومبلغ الصداق، ثم يقوم بصيغة العقد، وبعدها يدعوا الجميع لقراءة الفاتحة ثم يدعو للزوجين بالرفاء والبنين والتوفيق والصلاح بينهما. بمجرد انتهاء الجماعة من هذا العقد تطلق طلاقات البارود إعلاناً عن إتمام العقد الشرعي، يكون ذلك من طرف أهل العريس فتنتطق الزغاريد ويكون للمرأتين اللتين زغردتا للمرة الأولى مبلغ مالي يقدمه العريس كشكر لهما وتكونان من أهل العروس وعادة من الخالات وعمات ثم تنطلق الأغاني والزغاريد من الطرفين في غرفة جلوس العروس وهي في أبهى حلة محاطة بأخواتها وخالاتها وعماتها ووالدتها. وتبارك الحاضرات لأُم العريس والعروس وتتبادلان هما التهناني والتمنيات السعيدة للعريس والعروس. ويقوم الحضور أيضاً من الرجال بتهنئة العريس وأهله والمباركة له بدوام الهناء والسعادة. بعد العقد مباشرة تضع العروس القليل من السكر في فمها تعبيراً عن حلاوة الحياة المستقبلية مع زوجها. ويقدم للحضور بدءاً بالرجال الرفيس والتمر والحليب تعبيراً على تمام الأمور على خير ولما لهما من رمزية بالنسبة لمجتمع البحث إذ يعتبران من الخصب والسلام والأمن والحلاوة والعيش الرغيد للعروسين، ثم يلي ذلك تقديم القهوة والحلويات.

وقد جرت العادة أن تكون الخطبة بنوعها في أيام معينة من الأسبوع هي الاثنين والخميس عادة لاختصاصها بالبركة دون بقية أيام الأسبوع. ويكون وقت عقد الجماعة عادة قبل وقت الغداء، حتى يتركوا متسعين من الوقت ليتعدى كل الحضور عند أهل العروس.

2.1.4- المهر

يعد المهر من أهم الموضوعات المتعلقة بالزواج والمصاهرة بصفة عامة، وللمهر معنى ووظيفة اجتماعية. وهو الهبة التي يقدمها العريس وأسرته إلى العروس لإتمام بعض الالتزامات التي تقتضيها العادات والتقاليد، يقدم مبلغ من المال لإقامة زواج شرعي، ويعتبر قبوله على انتقال بعض الحقوق إلى الزوج في مجتمع البحث فهو من يسمح لها بالخروج أو الذهاب إلى مناسبة معينة إلى الأعراس أو زيارة الأقارب إلى غير ذلك. إذ يقبضه وبمجرد هذا العقد الشفوي المبني على الكلمة يصبح الخاطب هو المسؤول عن خطيبته في كل شيء، والمهر في التقاليد والأعراف الاجتماعية هو مال أو ما يحول إليه، يقدمه الزوج لزوجته باعتبار أنه هدية، ويرتبط المهر اجتماعياً بمراسيم الزواج¹ والمهر في الشرع لا يعد

¹ - محمد صفوح الأخرس، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976، ص 130.

ركنا من أركان العقد ولا شرطا من شروط صحته، إذ يصح العقد دون مهر ويعد في الرؤية الأنثروبولوجية هو ثمن العروس وهو أقدم نظم الزواج وهو منتشر على نطاق واسع وفي كل المجتمعات الإفريقية، وقد أدى انتشار هذا النظام في المجتمعات. ويرى سير هاري سميث Sir Harry Smith أن "الفهم الحديث للظاهرة يستخدم مصطلح ثروة العروس بدلا من المصطلح القديم¹، وهو عبارة عن هدايا حتى وإن كانت بسيطة.

واستخدمت الكتابات الأنثروبولوجية مصطلحات تعبر عن مهر العروس فاستعملت ثمن العروس "شراء" للتعبير عن عملية دفع المهر باعتباره ركنا أساسيا من الأركان التي تقوم عليها رابطة الزواج والمصاهرة، لأن دفع المهر يعد شراء في مقابل الحصول على زوجة بالنسبة لبعض الثقافات. إذ كان اليونان قديما يشترون المرأة بعدد معين من الثيران التي يتم دفعها إلى أب الفتاة، وكان الرومان يشترون المرأة من أبيها الذي يقبض ثمنها ويسلمها إلى زوجها فتصبح ضمن أملاكه، ونجد نفس الشيء لدى بعض القبائل الإفريقية إذ تقدم الماشية بأعداد معينة للحصول على زوجة.

من هنا يعد "ثمن العروس" تعويض لأقاربها العاصبين وهي لا تباع وإنما يعتبر دفع ثمن العروس في بعض الثقافات مقابلا لانضمام الأبناء للذين ستتجهم وهم بالطبع سينتمون إلى عشيرة الزوج. ولثمن العروس وظائف حيث يعتبر تأمينا لحسن معاملة الزوجة في بيت الزوج.² المهر ملك خاص للعروس تتفق منه لتجهيز نفسها، لكن قد يأخذ الأب لنفسه شيئا ويعطيها بعضه ظنا واعتقادا منه أن هذا من حقه³.

والمهر أو الصداق في منطقة البحث مدينة الشريعة هو مبلغ مالي يختلف باختلاف المستوى المادي لكل عائلة بالإضافة إلى قطع من الذهب تتمثل عموما في "المقياس" وهو شرط الفتاة عندما تكون من غير الأقارب بالإضافة إلى خاتمين "خاتم العقد" و خاتم الكسوة و "خاتم الخطوبة" و "اثان من اللوز" التي تعتبر ضرورية لتحني عليها العروس وإذا كانت الفتاة من الأقارب فيمكن تنازل عائلتها على "المقياس" وتعويضه ب "المسايس أو السبوعيات" بالإضافة إلى الألبسة و الهدايا التي يحضرها العريس وأهله يوم الحنة أو الزفاف

¹ - محمد يسرى إبراهيم دعبس، الأسرة في التراث الديني والاجتماعي " رؤية في أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة"، د.غ.م، الإسكندرية، 1955، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 11،

³ - ليلي صباغ ، مرجع سبق ذكره، ص 164.

لأنها أشياء يجب توفرها و تقديمها دون الحديث عنها أو الخوض فيها ،لكن أحيانا يشترط أهل العروس نوع باهض الثمن من الفساتين (قندهورة الفرقلني) المطرزة بالذهب، و نجد بعض العائلات الميسورة أو الغنية تقدم حزاما من الذهب الخالص يطلق عليه "المحزمة المشبكة " وهي باهضة الثمن هذا بالإضافة إلى الصوف، لكن يكون التركيز دائما على المبلغ المالي والذهب للاستعمال الأول في شراء بعض لوازم العروس أما الذهب فيراه مجتمع البحث مفيد جدا للأيام القادمة و عموما تستخدمه الفتاة بعد زواجها إما للزينة إذا كان زوجها ميسور الحال و إما تبيعه مع ما أحضرته من بيت أبيها لشراء سيارة أو سكن أو قطعة أرض.

وعادة ما يخضع المهر إلى الأخذ والرد والمساومات تقديرا للوضع المادي للعريس وأهله، وعندما يحضر الكبار والوجهاء يقومون يوم العقد بإنقاص مبلغ يقدر تقريبا بالعشر ويعتبرونه "باروك" للعريس، ويكون تسليم المبلغ المالي في حضور جماعة العقد وفي يومه، أما الباقي فيكون على مراحل.

2.4- ليلة الحنة

إذا كان عقد الجماعة فوري فإن " ليلة الحنة " تكون كما أسلفنا بالنسبة للعريس والعروس في نفس اليوم بعد العقد وقراءة الفاتحة، حيث تكون حنة العروس في المساء مباشرة أما حنة العريس تكون ليلا لأنها تحتاج إلى ترتيبات كثيرة بالرغم من التحضير لها مسبقا. و هي في النوع الثاني أي في العقد المؤجل تكون في الليلة التي تسبق الزفاف(الدخول) وهي ليلة حاسمة بالنسبة لكل عروس لأنها آخر ليلة تقضيها في بيت أهلها.

1.2.4- حنة العروس

بعد انتهاء العقد وقراءة الفاتحة مباشرة يقدم لجميع الحاضرين الرفيس والتمر والحليب ثم القهوة والحلويات ويقدم في ذلك جماعة العقد أولا ثم الحاضرين كلهم. بعد الانتهاء منها تقدم وليمة الغداء للجميع رجالا ونساء على شرف العريس وأهله.

في هذه الأثناء تقوم أم العريس أو جدته أو خالته أو أختها الكبرى أو من تفوضها أم العريس وتراها مناسبة لهذه المهمة" بربط الحناء" للعروس. والتي تكون أحضرتها معها في طبق خاص مع "قصعة الحنة" والتي تتضمن حقيبة كبيرة وأخرى تابعة لها بحجم صغير

تحوي الكبيرة على ملابس خارجية وداخلية وأحذية ومناشف و قمصان نوم وغيرها والحقيقية الصغيرة على بعض الحلي الذهبية المسماة في مهر العروس وما يمكن أن تضيفه والدة العريس كهدية من العائلة.

وسلة تحتوي على العطور البخور والصابون وأدوات الزينة المختلفة. وطبق يحتوي أدوات الحنة من علب الحنة والشموع وحلوة الدراجي وقطن وأشرطة خاصة توضع لربط الحناء. كما يجلبون طبق (سلة) القشقة المكونة من الحلوى، كوكاو، لوز، حلوة الحلقوم، شامية... إلخ. تقوم أم العريس أو مفوضتها بإشعال الشموع ووضعها في صحن خاص أو كؤوس بها سكر لتكون عشرة الزوجين حلوة مثل مذاق السكر. ثم تلبس أم العريس خاتم العقد للعروس كما يمكن أن تلبسها أي هدية ذهبية من العائلة كالأقراط أو سلسلة و كل الذهب الذي كان في الشروط. ثم تغطي رأسها بمنديل عادة يكون أبيض أو أخضر لما لهذين اللونين من رمزية ودلالة. من الضروريات أيضا إلباس الحذاء للعروس بدءا بالرجل اليمنى ثم اليسرى مع وضع القليل من السكر والكمون فيه حتى تكون حياتها حلوة وسعيدة ولإبعاد عيون الحساد عنها.

تبدأ بعد ذلك والدة العريس أو من فوضتها بخاط الحنة" بماء الزهر" دلالة على حسن الحظ في صحن خاص تحضره معها أو تعطيه إياها والدة العروس، وتحتفظ به العروس بعدها دائما تخطط فيه حنتها في كل مناسبة وتخبئه من أجل ختان أولادها وتزويج الأبناء والبنات. ثم تضع الوالدة قليل من "الحنة" في اليد اليمنى للعروس على شكل دائرة صغيرة في راحة اليد (دورو) وتضع فوقها "لويزة ذهبية" ثم تربطها بشريط خاص لذلك، ثم تفعل نفس الشيء مع اليد اليسرى، هذا وسط زغاريد النساء والتقاط الصور للذكرى.

بعد ذلك تغسل الحناية" الصحن" جيدا من بقايا الحنة وتسكب الماء في شجرة لأنها رمز الخصوبة والنماء، ولا تترك شيئا للحاضرات حتى لا يستعملنها في سحر العروس وربطها عن زوجها أو الإنجاب خاصة حسب اعتقادات مجتمع البحث.

بعد الانتهاء من الحنة تأخذ والدة العريس كمية من القشقة وترمي بها على رأس العروس، وحسب الاعتقادات السائدة في مدينة الشريعة فإن عدد حبات الحلوى والكوكاو أو اللوز الذي يبقى فوق رأسها هو عدد الأولاد الذين ستنجبهم وتنسب الحلوى للإناث أما الكوكاو واللوز للذكور. هذا وتكون العروس محاطة بأخواتها ووالدتها لحراسة حنتها من أن

تمتد لها أيادي الحاضرات، وقالت لنا الإخبارية رقم (03): "بنيتي نحنا بكري نخلطو ياسر حنة دير منها العروس لولة ومن بعد يديرو منها النساء الكل خاصة لي مازالو ما زوزوش باش ينوب عليهم ربي أما تو كثر الشك ولت العروس برك إلي دير الحنة كيما يقولو راهم يسحرو فيها ويربطو لمرا باش ما تضناش"¹، فسألناها لماذا زاد الشك بالسحر خاصة من الأقارب فأردفت قائلة: "بكري الخالة ولا العممة في بلاصة الأم بصح تو ولت الخالة ولا العممة هي العدو اللولة لخاطر ولو يغيرو من بعضاهم ويحسدو لي زوزت قبل بناتهم وحتى أهل العريس يغيرو خاصة كان عندو بنات خالاتو ولا عماتو ولا عمامو ولا خوالو والقرب الكلب حابين يمدولو، وهو وعيلتو ماشهم حابين، رانا في تاخير الزمان حتى الأم دير لولدها كان ماشي موافقة على العروس، ربي يسترنا وخلص"²، يفيدنا كلام الإخبارية أن الأقارب أصبحوا كما يقول المثل "الأقارب عقارب" أي أن كل سوء يأتي من القريب وأن طبائع الناس ومحبتهم لبعضهم تغيرت بمرور الوقت وأصبح الناس في مجتمع دراستنا يستشهدون بالمثل القائل "همك في دمك".

بعد الانتهاء من حنة العروس تقدم لها الحاضرات التهاني و"الباروك" أو "الفال" كل واحدة بحسب استطاعتها وأيضا ردا ربما لباروك استلمته هي الأخرى في مناسبة سابقة عندها، كما تحاول كل واحدة منهن إعطاء مبلغ أكبر من أجل التفاخر هذا مع التبراح، حيث تقوم إحدى قريبات العروس كلما أعطت واحدة مبلغا للعروس برفع صوتها وقول عبارات للمدح لترغيب الأخريات ودفعهن إلى إعطاء "باروك" أكبر.

كما يمكن أن تستلم العروس "الباروك" من أقاربها الرجال لكن عن طريق زوجاتهم أو بناتهم ويكونون عادة الأخوال، الأعمام، الإخوة، أزواج الأخوات أو والد زوجها أو إخوته، وهكذا تواصل "البراحة" عملها التطوعي إلى آخر واحدة تضع الباروك. في هذه الأثناء تجلس أم العروس وكما تجري العادات تراقب في يقظة وتسجل في ذاكرتها كل من أعطت "الباروك" وما قيمته لأنها يجب أن ترد لكل واحدة ما أعطت في مناسبة مثل هذه.³

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (02)، سبق ذكرها.

² - نفس المقابلة.

³ - السيد حنفي عوض، قراءات ودراسات في علم الإنسان، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1997-

1998، ص 278.

بعد الانتهاء من إعطاء " الباروك " تفتح أخت العريس الحقيبة لتعرض على جميع الحاضرات أشياء " قصعة الحنة " فتراقب النسوة ويسجلن كل ما يرينه في ذاكرتهن ليتحدثن عنه لاحقاً. فإذا كان ما أحضروه فاخر وغالي الثمن وأشياء ذات قيمة وجميلة تبقى " قصعة حنة فلانة " حديث النسوة لمدة من الزمن .

2.2.4- حنة العريس

كما تكون ليلة حنة العريس أيضا في نفس اليوم وتكون ليلا حيث يبارك له الجميع ويقوم بدعوة الرجال والنساء لحضور مأدبة العشاء ثم يتعشى جميع الحضور نساء ورجالا من المهنيين الذين قدموا منذ المساء وتكون وليمة فاخرة وبعدها يبقى العازبين وحديثي الزواج والمقبلين عليه و كل الشباب الصغار في السن لحضور حنة العريس أما الكبار في السن عادة ينصرفون بعد العشاء أو يتسامرون في جهة أخرى. إذ يخضع العريس لسلطة التقاليد حيث يمد يده طائعا ليأخذ حظه من الحناء فتقوم أم العريس أو جدته بوضع الحناء في السبابة اليمنى ثم تضع لأصحابه كلهم والحاضرين ممن أراد ذلك وتوزع الحلويات والقشقة ويطلق البارود والزغاريد .

5- يوم المرواح (الدخول)

1.5- زينة العروس

1.1.5- الإستراتيجية المظهرية

يعد يوم الدخول يوما هاما وحاسما بالنسبة لكل من العريس والعروس لأنه بداية حياة جديدة مليئة بالمسؤوليات خاصة بالنسبة للعروس التي تنتقل إلى أسرة جديدة عليها التطبع بطبائع أفرادها والسير على نهجهم في الحياة والتخلي عن حياة ألفتها منذ صغرها. وعلى حد قول فوزية دياب فإن يوم الزفاف هو الحد الفاصل بين حياتين حياة اللهو واللامسؤولية وحياة الواجبات والمسؤولية، فتصبح حياة العريس حياة الرجولة والأبوة، كما تصبح حياة العروس حياة الأنوثة والأمومة¹. أي أن هناك تحول من مكانة اجتماعية إلى أخرى بالنسبة لكليهما.

في هذا اليوم تكون مظاهر الاحتفال في بيت العريس أكثر من بيت العروس بكثير، حيث أن الاهتمام يتحول هناك من أجل الاستعداد لاستقبال العروس فتحضر وليمة كبيرة

¹ فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص 192.

للغداء وأخرى للعشاء، فتكون النساء منشغلات في إعداد الطعام وغسل الأواني وتحضير القهوة وتقديم الطعام للمهنيين، كما تكون الفتيات مستمتعات بالغناء والرقص مع تنوع الأنماط الموسيقية، وبينما تكون أم العروس وبعض قريباتها منشغلات بتجهيز غداء للحاضرات اللاتي سيرافقن العروس تتجه العروس إلى الحلاقة بعد أن تستحم. في هذا اليوم تعمل العروس على طلب الزينة لدرجة المبالغة لوجود علاقة أكيدة بينها وبين الجمال لأن المرأة من جهة تتمتع بجمالها وصورتها ومن جهة ثانية هناك ضرورة لجلب اهتمام الرجل. يقول فريد الزاهي في تلك الطلاقة القائمة بين المرأة وعالم التجميل وأغراضه أن هناك معادلة بين الأنثى والجمال حيث أن اهتمام المرأة بجمالها يتوزع على المتعة الشخصية من خلال تأمل نفسها وبين الضرورة التي تفرضها علاقتها بالآخر أي الرجل باعتبار طبيعتها الأنثوية وهذا من خلال نظام العلاقات الاجتماعية أو مؤسسة الزواج حيث يمثل جسد المرأة رأسمالها الرمزي وموطن هويتها. فالتجميل مولد فالزينة هي إستراتيجية مظهرية ترتبط بالغواية والفتنة ولها طقوسها وشعائرها ومواردها التي تضرب بعمقها في العصور التاريخية¹. أي أن هناك علاقة بين الفتنة والجمال وهذا ما يجعل جسد المرأة رأسمالها الرمزي الذي يؤثر في علاقتها بالرجل لذا نجد أن النصوص الدينية حذرت من فتنة المرأة وفي نفس الوقت تدعو إلى إدماج جمال النساء في مؤسسة الزواج إذ حثت المرأة على التجميل والتزين من أجل زوجها، وأن تحرص على أن يراها جميلة ليركن إليها وتستقر علاقتها. كما أن التجميل عملية ليست وليدة العصر الحالي إذ نجد المرأة منذ القديم تتزين في الكثير من المناسبات خاصة حين تعرض على الخطاب وكانت الزينة تستخدم للزوج ولغرض الزواج. ويتضمن تزيين العروس في مجتمع الدراسة عدة مواضع أساسية وأولها تزيين الشعر وأن تكون التسريحة مناسبة للعروس وتتلاءم مع تفاصيل وجهها لأن الشعر كما تقول الباحثة رقم(18): "الشعر زينة المرا العروس لي تلقي شعرها طويل وأرطب يزيد في العروس النص تصلحلو أي مشطة ونتعاملو معاه بسهولة بصح لي شعرها قصير ولا أحرش نل قو صعوية باه نديرولها المشطة لي تعجبها وتخرج عليها. لبنات لي مازالوا ما عرسوش ما يقصوش شعورهم إلا في حالات نادرة وقليلة خلاص"².

¹ - فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 96.

² - مقابلة مع الباحثة رقم (18)، يوم 23 ييبتمبر 2016، على الساعة 08:30.

بعد القيام بتسريحة مناسبة ولافتة للأنظار تعمد الحلاقة إلى تزيين الوجه باستعمال أدوات الزينة المختلفة أو ما يطلق عليه "المكياج" إذ يزيد التجميل من مقبولية جمال العروس وإدخالها في نطاق المعيار الجمالي السائد، حيث تعمد الحلاقة إلى تكبير عينيها وإبراز جمال لونها وإبراز الوجنتين وإضفاء الحمرة عليهما لتبدو العروس زاهية وليست شاحبة اللون كما تعمد إلى رسم الحواجب وصبغهما، بمعنى أن هناك عملية تغيير في معالم الوجه باعتباره عنصراً رئيسياً في الدلالة الجسدية لأن فيه تتجمع الحواس ومنها حاسة البصر ومركزها العين التي تعد مركز التواصل والتفاعل بين الأفراد خاصة بين المرأة والرجل في نطاق علاقة لفت الانتباه وجلب الإعجاب والحب والتعلق بالآخر. ويعبر فريد الزاهي عن القوة التعبيرية والغوائية للعين بقوله: "أن العين باب النفس الشارع كما يقول ابن حزم. فإنها تشكل العضو السيميائي الأكثر ثراء في الإشارية... إن لغة العين تقول في التواصل الغوائي ما لا تقوله اللغة. خاصة في سياقات معينة موسومة بالحضر والممنوع"¹ كما هو حاصل في مجتمع الدراسة الذي يتسم فيه الخطاب الغوائي بين المرأة والرجل بالحشمة والتردد، إذ تتردد العروس خاصة في أيامها وشهورها الأولى بأن تبوح لزوجها بحبها وإعجابها به وبأن تبدي له حاجتها إليه، حيث أن التنشئة التي خضعت لها تقضي بذلك.

ويضيف فريد الزاهي إلى أن الجسد يتم اختزاله في الوجه العينين المجلتين اللتان تحملان الرغبة الباطنة في تعبيرهما الإشاري الرمزي بتحليل هذا الكلام نقول أن الوجه يمثل منطقة تعبيرية شديدة الأهمية في جسد العروس وأن العينين تمتلكان قوة تعبيرية رمزية تسيطر بهما المرأة على قلب الرجل وتملكه مثلها في ذلك مثل الفم الذي يأخذ حيزاً من الإهتمام به إذ تعمل المزينة إلى إبراز حدوده وتلوينها بألوان براقه تبرزه في الوجه فهو موطن الشهوة والحب بين العروس والعريس.

2.1.5- وظيفة تعاضدية لثوب الزفاف

من ناحية ثانية فإن اللباس يقوم بوظيفة تعاضدية وتساندية مع الوجه إذ أن العروس تحرص أن يكون ثوب الزفاف مبرزاً لمفاتنها ومكشوفاً في بعض المناطق وهذا ما يتعارض مع عادات وتقاليد العائلات في منطقة الدراسة. لكن العروس لا تستطيع أن تخرج عن قاعدة لعب الدور في وقت معين أي لعب دورها كامرأة جذابة تغري العروس زوجها وتجلب الإطراء

¹ - فريد الزاهي، مرجع سبق ذكره، ص 104.

من الجميع. ونتيجة لهذا التضاد تعمل عادات مجتمع الدراسة على التوفيق بين المتضادات عن طريق إخراج العروس وهي مغطاة بالبرنس المرافق لثوب الزفاف وعدم السماح بظهور مفاتها للرجال ومن جهة أخرى تلي حاجة العروس إلى الظهور جميلة فسمح بلبس ثوب الزفاف مكشوف في بعض المناطق لكن في وسط النساء فقط وكانت العروس في الماضي تغطي عند خروجها بـ " اللحاف " وهو قطعة كبيرة من القماش ذات لونين أخضر ووردي تغطي العروس من رأسها حتى قدميها، هذا ما أخبرتنا به الإخبارية رقم (04) في قولها: " يا حسرة على بكري كانت العروس يغطوها باللحاف بكلها ماشي كيما تو تلبس لافوار بصح في عاداتنا عيب العروس تتشاف على هذيك نغطوها بالبرنوس لي يجي معا الروبا وكاين عيلات لتو يديرو السفساري ولا جلال مرا كبيرة للبراقة والسترة"¹. ما نستشفه من كلام الإخبارية هو محافظة بعض العائلات إلى حد الآن على عادات إخراج العروس لكن في أشكال جديدة تضمن المحافظة على سترة العروس، وعلى تشكيل انطباعات جيدة وجميلة عند أهله وكل الحاضرين بإبراز جمالها في الوسط النسائي.

من جهة الحاضرات اللواتي سيرافقن العروس إلى بيت زوجها ومن عادة الأم والأخوات، العمات، الخالات، الجدات ونساء الأعمام والأخوال ويتعدى ذلك إلى بعض النساء، فإنهن يقمن بعمل تسريحات جميلة ومكياج للوجه لكن مختلف عن العروس ويكون الاهتمام خاصة بالبنات التي سترافق العروس مع أخرى تحضر من جهة العريس حيث لا تكون زينتها صارخة وتلبس عادة لباس تقليدي محتشم باعتبارها عذراء يفترض عدم تبرجها أمام الناس لذا إن تجاوزت الخامسة عشرة فترتدي خمارا مع لباسها.

5-2- التهيئة الاحتفالية للسلطان

5.2.1- فضاء السلطان ووزيره

من العادات المعمول بها في منطقة دراستنا أن العريس يكون منزويا مع مجموعة من أصدقائه يلزمونه منذ بداية العرس إلى نهايته ويبقون في اتصال مستمر معه بعد نهاية العرس قرابة أسبوعين وهم ما يطلق عليهم "الحجابه" والذين يرافقونه في دعوات الأهل والأقارب له بعد الزفاف. وفي سؤالنا أجابنا الإخباري رقم (01): "الحجابه هو ما صاحب العريس ويكونوا ماهمش مزوزين ولا يكونوا مزوزين جدد يترافقوا مع العريس وين ما مشا

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (04)، سبق ذكرها.

والاسم تاع الحجابة جا من ناس بكري لخاطر العريس يدر ف ويتحجب على والديه والناس لكبار لخاطر العريس يحشم وعيب ي قلبلهم يولي يقعد في الخيمة تاعو لي ينصبوهالو في العرس تكون بعيدة شوية على لخيام الباقيين وباش ما يقلقش ي قعدوا معاه صحابو يسهروا ويوكلوا مع بعضاهم والعرسان الجدد يوصوه ويعلموه المسؤولية¹.

عند عودتنا إلى كلام هذا الإخباري نجد أن كلمة الحجابة كلمة متداولة منذ العقود الماضية ويطلق على أصدقاء العريس الغير متزوجين والمتزوجين الجدد والذين يلازمونه دائما وينزويون به ويحجبونه عن أنظار والديه والكبار حياء منهم واحتراما لهم. وإن حدث وتصادف العريس مع والديه خاصة والده فيهرول مسرعا إلى مخبئه ولا ينظر إليه أو يكلمه. هذا ما كان سائدا في الماضي الذي بقيت منه بعض العادات كانزواء العريس مع مجموعة أصدقائه ولكن لمدة أقصر لانصراف البعض إلى أشغالهم ووظائفهم لكن يبقون في اتصال مباشر معه. والجدير بالذكر أن الحجابة يمكنون مع العريس في الفضاء الخاص بهم منذ بداية العرس. وهو مكان يعد سلفا حيث يكون مفروشا بالزرابي الفاخرة ووسائد من النوع الرفيع ومجهز بكل ما يلزم للنوم والأكل وغيرها من الاحتياجات الضرورية، ويكون عادة في سكن مجاور للبيت الذي تقام فيه مراسيم واحتفالات العرس أو بيت الأخ أو الأخت أو أحد الأقارب المهم أن يكون قريب جدا من بيت العرس. في هذا الفضاء يتم إطلاق اسم السلطان على العريس ويعين الوزير والذي يتخيره العريس بنفسه ويستشيريه في كل كبيرة وصغيرة يقول المبحوث رقم (19): "العريس في عرسو سلطان لخاطر الناس لكل يخدموه ويوخذولو الراي وعندو وزير لي يدبر عليه وما يخليهش وحدو خلاص خاصة في ليلة الدخلة لخاطر يحتاجو ياسر"².

ويعد مكان مكوث الحجابة والعريس فضاءا خاصا جدا لا يقتحمه أحد غير أصدقائه، وهو ما يؤكد على مكانة العريس كسلطان والذي يكون جناحه خاصا ومجلسه موقرا لا يدخله كل من هب ودب، ويقوم بخدمته وزيره الذي يعد حارسه ومستشاره الدائم ووصيفه الخاص. المهم العريس "يصبح بؤرة الجماعة وملتقى طقوسها الاحتفالية، وترتفع درجة التعامل معه إلى مستوى ملوكي"³، ويتجلى ذلك من خلال المعاملة والخدمة والفضاء واللباس الذي

¹ - مقابلة مع الإخباري رقم (01)، سبق ذكرها.

² - مقابلة مع الإخباري رقم (19)، يوم 02 مارس 2017، على الساعة 12:00.

³ - عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2005، ص 394.

يميزه البرنوس الأسود الذي يتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل في كل عائلة، ومن لم يكن والده يملك واحدا يستعير واحد من أحد أقاربه أو أصدقائه لأنه لا يمكن للعريس يوم زفه الظهور دونه.

2.2.5- الحلاقة والاستحمام الاحتفالي

من العادات الشائعة في الكثير من المجتمعات العربية ذهاب العريس يوم الدخلة إلى الحمام رفقة مجموعة من الأصدقاء والأقارب للقيام بالطقوس التطهيرية قبل ليلة الزفاف. ومن المعمول به في مجتمع بحثنا أن العريس يذهب مع مجموعة من أصدقائه إلى الحلاق ليهتم بقص شعره وحلق ذقنه. وبعدها يتجه الجميع إلى الحمام لاكتساب الطهارة التي تأتي نتيجة التقيد بمجموعة من الممارسات الطقسية¹ حيث يمارس العريس الاستحمام الاحتفالي كعنصر أساسي في طقوس عبور العريس من مرحلة اليقاعة إلى مرحلة الرجولة. وتتسم أجواء ذلك الاستحمام الاحتفالي باللهو والمرح ومشاكسة العريس يقول المبحوث رقم (20): "العريس في نهار الدخلة تاعو لازم يمشي للحفاف يحففلو شعرو ولحيئو ويعدلو شلاغمو ومن بعد يمشي للحمام في العشية قبل ما يروحو يجيبو لعروس باه يكون هو في استقبالها وهو في أحسن حطة، وأنا مشيت مع صحابي قداه من مرة كنا كي ندخلو للحمام نلعبو مع العريس ونتمسخرو بيه ويدورو بيه صحابو لكل ويدوشوه، ومن بعد نخرجوه ونلبسولو قشو ونحنا نغنو ونرقصو، نشربو مشروبات منوعة من بعد ما نرتاحو شوية نخرجو من الحمام نجو في الطاكسيات لي رحنا بيهم وكي نڤيو ننزلو ونمشو على رجلينا ونبدو نعيطو ونغنو ونضربو البارود"². أي أن بعد إنهاء الممارسات الطقوسية والتطهيرية يخرج الجميع من الحمام وهم في أبهى الألبسة وهم يهتفون ويرددون بعض الأغاني المعبرة عن الفرحة وهم متجهين إلى بيت العريس الذي يقام فيه العرس، حيث يتجهز الجميع للذهاب لجلب العروس التي تتجلى مكانتها الملكية هي أيضا في معاملة الناس لها خلال أيام العرس من خلال خدمتها والسهر على راحتها وتنفيذ أوامرها، وأيضا في المراسيم والإجراءات المتبعة في الاحتفالات إذ تكون الأزياء التي ترتديها تقدمها وكأنها ملكة وزوجة سلطان، حيث نجدها تضع تاجا على رأسها وتلبس ثيابا فاخرة خاصة ثوب الزفاف الذي يبدو وكأنه ثوب ملكي

¹ - روجيه كايوا، الانسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 61.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (20)، يوم 04 مارس 2017، على الساعة 17:30.

كما تصوره الحكايات. إضافة إلى ذلك مكان جلوسها سواء في بيت أبيها أو بيت زوجها في يوم الدخلة واليوم الذي يليه، إذ يكون في العادة مرتفع على الجميع ويقابلهم كما في مجالس الملوك، بتعبير آخر أن العروس أيضا تبرز وتتجلى لديها عناصر ملوكية تعبر عن مكانتها.

3.5- موكب العرس

1.3.5- عادات خروج العروس

يعتبر حفل الزفاف بالنسبة للبعض في منطقة الدراسة كما في المجتمع الجزائري عامة مناسبة مفرحة وسعيدة للعروس وأهلها لأن هذا الحفل هو بداية حياة جديدة. يسودها الاستقرار والاستقلال، ومن أجل تأسيس حياة أسرية عمادها الاعتماد على النفس والحب والتفاهم، فحصول الفتاة على زوج مستقر ومستقل هو مدعاة واطمئنان والديها وإخوتها عليها. لكن من الأمور الطبيعية أن تبكي العروس وأفراد عائلتها من النساء عندما يحين وقت مغادرتها منزل أبيها تعبيرا عن فراق من تحب وللمكان الذي ترعرعت فيه تنفيسا عن المخاوف التي تعتريها حيث تراودها الهواجس من حين إلى آخر خاصة عند عدم معرفة الزوج جيدا. من هذا المنطلق سألنا المبحوثة رقم (21): فقالت: "أنا نهار لي خرجت من بيت بابا جاني إحساس غريب بكيت من غير ما نشعر، حسيت إني رايحة نفارق خاوتي وخواتي وبابا وماما والدار لي تربيت فيها"¹ وأضافت المبحوثة رقم(22) قائلة: "العروس كي تخرج من بيت باباها تبكي بلا ما تفيق خاصة في اللحظات الأخيرة تحس كأنها ما عايش ترجع"². أما المبحوثة رقم(23) فتقول: "البكاء يجي وحدو وزيد بزيادة العروس لازم تبكي شوية باش ما يفلوش فرحانة بالراجل ونست ماليها من النهار اللول"³ تجمع المبحوثات على أن العروس لا تستطيع أن تتحكم في عواطفها ومشاعرها تجاه أهلها تلك المشاعر التي حتى لو لم تظهرها فإنها تعبر عن نفسها يوم خروجها عروس، كما أنه على العروس أن تظهر انزعاجها بالدموع حتى لا يقال عنها أنها نسيت أهلها من أول يوم وهذا ما ورد في بعض أقوال المبحوثات اللاتي قمنا بحوارهن، وربما هي عادة مترسبة للتعبير عن التمسك بالأهل وعدم الرغبة في البعد عنهم وبحسب تجربتنا الخاصة فإن ساعة سماع خبر وصول أهل العريس تنهمر الدموع دون إرادة غير تاركة مجالا لاعتراضات الحاضرات بحجة فساد

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم(21)، ضمن مقابلة جماعية، يوم 08 مارس 2017، على الساعة 22:00.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم(22)، نفس المقالة الجماعية.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم(23)، نفس المقابلة الجماعية.

المكياج ولا لكبر السن ولا لأي حجة في الدنيا يمكن أن تمنع العروس عن البكاء ففي تلك اللحظات تحس العروس برهبة لا يستطيع الإنسان الإحساس به في أي موقف ويمر شريط الطفولة والصبا والشباب أمام ناظري العروس وكأنها تودع حياة بأكملها إلى غير رجعة، وكأنها تقتلع من جذورها لتتبت في مكان آخر مهما كانت الرغبات التي تنتظرها.

وجرت العادة في مجتمع بحثنا أن تخرج العروس من بيت أبيها وهي برفقة أختها وأخت العريس وهما تحملان الشموع حتى تكون حياة العروسين مضيئة، في تلك اللحظة وبمجرد وضع العروس قدميها على عتبة الباب تطلق العيارات النارية من عدة بنادق يجتمع أصحابها عند الباب وفي دفعة واحدة تدوي تاركة صوتا قويا يسمع من بعيد ويرافق البارود الزغاريد العالية والمتتالية من الطرفين، كما يطلق البارود على حيطان المنزل ليترك علامات تعبر عن إجراء عرس فيه وكفأل حسن للأولاد والبنات الأخريات. يرافق العروس أهلها من النساء المقربات كالأم والأخوات والعمات والخالات وبعض الفتيات من صديقاتها وقربياتها لتأنس بهن، كما يرافقها إخوتها وأعمامها وأخوالها وأبناءهم ليكون عزوة لها وكلما كثر عددهم كان ذلك أفضل هذا من منظور مجتمع الدراسة الذي يرى أفرادهم أن ذلك يشكل انطبعا بالقوة والعزوة والهيمنة لدى أهل العريس فيحسبون للعروس ومرافقاتها ألف حساب قبل أن يقدم أحد على تعكير صفوهن إذ في بعض الأحيان تتشاجر النساء من الطرفين.

أما العريس يكون في استقبال عروسه وأهلها وهو غير ظاهر للعيان لأنه في سيارة خاصة مع أصدقائه المقربين ووزيره الذي لا يفارقه.

2.3.5- طقوس دخول العروس

بمجرد نزول العروس من السيارة تزغرد النساء ويضرب البارود بكثرة وعند الباب الخارجي تستقبلها أم زوجها وهي تحمل فولارة (محرمة) رأسها وتكون خضراء وهي تحركها إلى الأعلى والأسفل قائلة: " قبلتلك بالمال والذرية يا مرت لعزير عليا"، وتردد هذه العبارة ثلاث مرات ومعناها أن أم العريس تقول لزوجها إنها بأنها تستقبلها فرحة وتدعو لها بالمال والذرية لأنها زوجة ابنها العزيز¹.

ومن الطقوس المعمول بها والممارسة أثناء دخول العروس أن تسلم لها أم زوجها قليلا من "الدهان" أو الزبدة التي تصنع من حليب الماشية لتمسح بها أعلى العتبة وهذا من الأمور

¹ - مادة اثنوغرافية جمعناها من الأعراس التي حضرناها.

الملحة والواجب القيام بها لدرجة أنه إذا كانت عتبة الباب عالية يرفعها عمها أو خالها أو أخ زوجها عن طريق حملها لتدهنها¹. وتفسر هذه العادة كما جاء في أقوال الإخباريات بأنها عادة الأجداد والجذات وهي تعبير على التمني بأن يكون بيت العروسين بيت فيه الخير والرزق والمال الوفير وقد كانت الماشية تمثل ثروة العائلة لذا تستخدم الزبدة التي صنعت من حليبها للإشارة إليها، كما أكدت بعض المبحوثات أن هذا الطقس تمارسه العروس للإشارة إلى مكانتها العالية في البيت الجديد ويرمز الدهان إلى الخير الذي ينتظر أن يأتي بعد دخولها لبيت زوجها.

تقربنا من المبحوثة رقم (24) والتي ساعدت عروس ابنها على القيام بهذا الطقس وسألناها عن معنى ذلك فأجابت قائلة: "يقولون ناس بكري الدنيا نواصي وعتب" معناها لعروس كي تكون مبروكة على راجلها يجي معاها الخير الرزق والذرية الصالحة وكي تكون ماشي مبروكة تمسح الخير الكل لي قدامها وناصية المراهي لي تكون مبروكة ولا ماشي مبروكة على هاذيك نعطلوها الدهان باش تجيب الخير معاها وحتى كي تكون ناصيتها خايبة يروح الشر مع هاك المسحان ويتبدل كيما الدهان لي كان في اللول حليب وتبدل ولا دهان وثاني كيما يقولون بكري الدار لي فيها الدهان تكون ديما دار عامرة بالخير والرزق والذري"²، أي أن تلك الزبدة المصنوعة تقليدياً لها رموز ودلالات في مجتمع البحث وهي الرزق والخير الكثير والذرية الكثيرة كما لها دور في ذهاب الشر والهم عن البيت الجديد.

3.3.5- فصعة الركابي

بمجرد دخول العروس إلى قاعة جلوس فسيحة تضم تقريبا كل الحاضرات من المهنيين والمدعوين، تجلس على أريكة لوحدها وتجلس إلى جانبيها النساء اللواتي حضرن معها، تبقى العروس مطأطئة رأسها في حين تنتشط الحاضرات من أهل العريس في الغناء بقوة وإطلاق الزغاريد العالية والمنتالية تعبيراً عن الفرح بقدوم ووصول العروس وأهلها والرجال في الخارج يطلقون البارود بتواصل، لكن من العيب أن تغني أو تزغرد أي واحدة من أهل العروس القاديات معها. بعد وقت قصير تأتي حماتها وهي تحمل قصعة مليئة بالكسكسي

¹ - مادة اثنوغرافية جمعناها من الأعراس التي حضرناها.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (24)، يوم 12 مارس 2017، على الساعة 18:00.

الذي يرافقه "الدهان" وليس المرق والكثير من اللحم وبخاصة لحم "المسلان" وقطعة لحم جيدة تكون مخصصة للعروس وحدها.

وقد جرت العادة أن تضع الحماة تلك القصة على ركبتي العروس ومن هنا جاءت تسميتها "قصة الركابي"، تقوم الحماة بالكشف عن وجه العروس وتسلم عليها ثم تأخذ يد العروس اليمنى وتغمسها ثلاث مرات في الكسكي ثم تأخذ هي بيدها حفنة من الكسكي وتطعمها ثلاث مرات وبعدها تسلم لها قطعة اللحم الخاصة بها لتأكلها مع صديقاتها دون جلب النظر إليهن¹.

في بحثنا عن دلالات وتفسيرات ذلك لدى المبحوثات والإخباريات أجابتنا المبحوثة رقم(25) بقولها: "هذي عادة جدودنا ونحن ما بطنناهاش كي تدخل العروس نحطولها قصة متاع العود معمرة كسكي مسمغ بالدهان على ركايبها توكلها أم راجلها ولا المرالي مشت مع الكبش وقعدت عندها وهي لي جابتها ولا جدت لعريس أم بيو كان حية وكان مكانش جداتو أم أمو لخاطر جهة البي أولى، وبعد ما نوكلوها شوي كسكي ثلاث مرات بليد لخاطر فيها البراكة والدهان واللحم باش يكرموا الضيوف الرزق والدار الكبيرة لي فيها الذري ياسر وديما عامرة بالرزق وياسر ذري وخايب علينا لوكان مانديروهاش وماكان في الشريعة حتى عيلة ماديرهاش"².

من خلال تمعننا في كلام الإخبارية نجدها تؤكد على ضرورة ممارسة هذه العادة، وهي حسب اعتقادها تجلب الخير والذرية للعروسين الجديدين من خلال رمز الدهان والكسكي وأيضا اللحم الكثير الذي يشير إلى إكرام الضيوف والترحيب بهم، ولا يزال اللحم في منطقة الدراسة مدينة الشريعة رمزا لإكرام الضيف ودلالة على وجود أهل البيت وكلما كثر في المناسبات العائلية والاجتماعية كلما أعطى دلالة على الثراء والغنى وحسن الحالة المادية لدى العائلات. ويذكر عبد السلام الترماني أن شاعت عادات وطقوس كثيرة لدى المجتمعات العربية والغير عربية منذ القديم عند دخول العروس بيت زوجها فبعض الشعوب تنتثر الأرز وأخرى تنتثر الدقيق والشعير وأخرى تنتثر الدراهم. فيقول أنه عند بربر الجزائر كان يقدم للعروس اللبن والماء لتشرب منهما كما يعطي لها قليل من الشعير والقمح لئنثرهما يمينا

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان أثناء الأعراس.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم(25)، يوم 15 مارس 2017، على الساعة 20:00.

وشمالاً أما في المغرب العربي فتقوم أم العريس بنثر الدقيق والحبوب والكسكسي والخبز فوق رأس العروس كما تنتثر بعض الفواكه المجففة كالتين والزبيب¹. ويذهب علماء الاجتماع إلى تفسير ذلك بالشعور بالتيقن بكثرة النسل وهم يربطون هذه الكثرة بين بذور ثمار النبات وبين الثمار الناتجة من الزواج.

ومن العادات الراسخة أيضاً في مجتمع البحث أن تضع أم العريس طفلاً ذكراً في حجر العروس تفاقلاً بأن تكون ولوداً ويكون نسلها من الذكور ومازالت هذه النظرة التفضيلية لدى أغلب أفراد مجتمع الدراسة يقول المبحوث رقم(26): "واش يدير الواحد بالبنات راهم غير يزيديو المسؤولية على الرجل sois كان بيهم ولا خوهم"²، وفي محاولة منا في مناقشة جدوى التعليم للبنات في وقتنا، حيث أصبحت البنت يعول عليها في تحمل مسؤولية نفسها وأنها أصبحت تتقاضى راتباً لا يجعلها عالة على أحد ويضيف المبحوث رقم(27): "قوليلي الطفلة كي يقدر عليها ربي وما تزوزش ووالديها يموتو وخاوتها يزوزو واش دير حتى لوكان قارية تقدر تعيش وحدها؟ وإذا عاشت مع خاوتها يديروها النساء خدامة وبلا مزية"³، أما المبحوث رقم(28) فيقول: "لبنات ملاح حنانات وبهزو الدار لكن إذا ما عطاهاش ربي في الزواز يبقو مشكلة لخاطر مجتمعنا ما يرحمش والعقلية تاينا ما زالت ما تسمحش للمرأ باه تعيش وحدها ولا تتحمل مسؤولية روحها كاملة"⁴ أما بالنسبة للذكور فيقول المبحوث رقم(29): "أما الذري كي يكبرو يدبرو على رواحهم وما يخافش الواحد عليهم كان عاشوا وحدهم ولا قعدوا"⁵ من خلال هذه الإيفاءات والاستجابات المطروحة نلاحظ أن الأفراد ما زالت تسيطر عليهم فكرة تفضيل الذكور على الإناث.

بعد القيام بهذه الطقوس والعادات مع العروس، تقدم للقادمت معها القهوة والحلويات المنزلية وبعد فترة قصيرة يقدم العشاء وتقوم مجموعة من النساء من المقربات من العريس بهذه الخدمات تعبيراً عن التقدير والاحترام، ففي مجتمع البحث إذا قامت نساء بعيادات قرابياً من العريس بذلك يؤول على أنه قلة تقدير وح ثقة من أهله. ويقوم أهل العريس بنفس الشيء

¹ عبد السلام الترماني، مرجع سبق ذكره، ص 159.

² مقابلة مع المبحوث رقم (26) ضمن مقابلة جماعية، يوم 19 مارس 2016، على الساعة 15:00.

³ مقابلة مع المبحوث رقم (27)، نفس المقابلة الجماعية.

⁴ مقابلة مع المبحوث رقم (28)، نفس المقابلة الجماعية.

⁵ مقابلة مع المبحوث رقم(29)، نفس المقابلة الجماعية.

مع القادمين من الرجال مع العروس أي يقدمون لهم القهوة والحلويات وبعد ذلك العشاء ومهم جدا أيضا أن يستقبلهم أب العريس وإخوته تقديرا واحتراما لهم وأن يقوم المقربين أيضا بخدمتهم وتلبية حاجاتهم الضرورية.

4.5- نصرة العروس

1.4.5- حل التصفيح أو فك الربط

إن صون شرف الفتاة أمر هام بالنسبة لكل عائلة وهو في مجتمع البحث قضية حياة أو موت بالنسبة للفتاة ووالدتها، لذا تحرص هذه الأخيرة على تحصين إبنتها قبل بلوغها عن طريق عملية تسمى "الثقاف" وهي بالمنطوق الشعبي للمنطقة تسمى "التصفيح". والثقاف هو نوع من الإقفال الرمزي للجسد وإحدى الممارسات لتحسينه باعتباره ملكية جماعية تهدد شرف العائلة. وهذا ما يدعو إلى إحكام إغلاقه والسيطرة عليه¹، هذا ما يجعل الأمهات يبحثن عنه ويجعلنه وسيلة لحماية بكاره بناتهن وجعلهن غير قابلات للاختراق سواء تعرضت إحداهن لاعتداء أو كان ذلك بإرادتها.

تلعب عملية التصفيح هذه بالإضافة إلى الوظيفة الوقائية، على إيجاد آليات سيكولوجية تجعل الفتاة تضع رقبيا على نفسها، فنجدها حريصة على سلامة بكارتها وتحافظ على عذريتها من تلقاء نفسها²، فمنذ صغرها تعلمها والدتها بأنه من الضروري الحفاظ على نفسها وعدم الثقة بالرجال حتى لا تقع فريسة لاحتياهم. وفي بحثنا في هذه النقطة تراوح ما أدلت به المبحوثات والإخباريات بين الرفض والقبول، وبين الاعتراف باللجوء إليه أو ممارسته أو الاستخفاف بفاعليته نظرا لما يحيل إليه من ممارسات تتنافى مع الدين فهو من أمر السحر والشعوذة، فلم تفصح المبحوثات في بداية الأمر، تقول المبحوثة رقم (30): "التصفيح عملية سحرية وهي شعوذة بآتم معنى الكلمة، أنا لا أعترف بها لأنها منافية للدين"³. وتقول المبحوثة رقم (07): "التصفيح ما شو مليح لخاطر لقينا نساء عند المرقبين يقرؤ عليهم باش يتحل كي يجو يزوزو لخاطر حتى لو كان حلولها تبقى عندها مشاكل في الضناية ولا يكونو مرضى لخاطر هو نوع من السحر لي يرجع على الإنسان"⁴. وفي سؤالنا لأحد المبحوثين

¹ - خلود السباعي، مرجع سبق ذكره، ص 211.

² - المرجع نفسه، ص 212.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (30)، ضمن مقابلة جماعية، يوم 25 مارس 2017، على الساعة 21:0.

⁴ - مقابلة مع المبحوثة رقم (07)، نفس المقابلة الجماعية.

وهو رقم (17) رد قائلًا: "التصفيح هو نوع من السحر وحتى لو أن الفتاة تحله قبل زواجها فإنها تبقى مربوطة عن الإنجاب وما يزيد الأمر سوء هو حله بالطريقة التي نفذ بها لأن المرأة في المرة الأولى سحرت نفسها وفي المرة الثانية عند حله تعيد سحر نفسها، ولا يذهب شر هذا الأمر والتخلص منه إلا بالرقية الشرعية بمعنى قراءة القرآن"¹.

من هذا المنطلق لم تفصح المبحوثات في بداية الأمر عن اللجوء إلى التصفيح أو ممارسته وكن متكتمات حول هذه المسألة. ثم شيئاً فشيئاً تكلمنا مع العديد منهن في فضاءات مختلفة سهلت علينا مناقشة الموضوع كفضاء الحمام الذي أمكننا فيه رؤية آثار هذه العملية على أجسام الكثيرات فتقربنا من بعضهن، فلم يمانعن في الحديث عن ذلك، كما اغتتمنا فرصة حضور العديد من الأعراس خاصة ليلة الدخلة لجمع معلومات دقيقة حول هذه الجزئية ففي هذه الليلة عادة ما تناقش هذه المسائل من طرف النساء، حيث أمكننا معرفة نماذج وطرق للتصفيح من خلال أقوال المبحوثات والإخباريات وتتضمن عملية التصفيح مرحلتين الأولى تخضع لها الفتاة قبل البلوغ وهي مرحلة التصفيح والمرحلة الثانية وهي مرحلة حل ذلك التصفيح ويكون قبل زفافها بمدة لا تتجاوز الأسبوع ومن الممارسات التي تحقق التصفيح وحله حسب ما جاء في أقوال المبحوثات والإخباريات مايلي:

- طريقة الشلاط وتكون بإحداث جروح صغيرة على مستوى الركبة اليمنى للفتاة وعددها سبعة ثم تغمس فيها سبع حبات من التمر أو السكر وتتناولها الفتاة واحدة تلو الأخرى وتردد عبارة: "أنا حيط والراجل خيط" سبع مرات أي في كل مرة تتناول فيها حبة سكر أو تمر. وبالنسبة للحل فإنها تجري نفس العملية لكن بتغيير اتجاه إحداث الجروح أي البدء من النهاية وقلب العبارة حيث تصبح "أنا خيط والراجل حيط" وبهذا يحل التصفيح.
- طريقة السداية وهي نفس الطريقة الأولى ويضاف إليها المرور فوق السداية سبع مرات أما عند الحل فتجري نفس العملية مع تقليب العبارة التي تردد وبعدها تقوم الفتاة بالاغتسال فوق السداية.

- طريقة الفقل الذي يوضع تحت الفتاة وهي واقفة ويقفل أثناء ترديدها لنفس العبارة السالفة الذكر وهي ترمز إلى إقبال المرأة والعبارة التي ترافق ذلك الإقبال والتي هدفها منح الفتاة القوة مثل الجدار وانتزاع القوة من الرجل.

¹ - مقابلة مع المبحوث رقم (17)، نفس المقابلة الجماعية.

فتمثيل الرجل بالخيط يرمز إلى الضعف والارتخاء والحيط أي الجدار رمز للقوة والصلابة لأنه حاجز لا يمكن المرور من خلاله¹. والعكس في حين يحل التصفيح تعكس العبارة فيرمز للرجل بالحائط ويرمز للمرأة بالخيط أي سهولة اختراقها من خلال قوة الرجل.

• طريقة التبول على حجر صغير بعد تسخينه وترديد نفس العبارة أيضا. وعند حل هذا التصفيح تمارس نفس العملية بعكس العبارة التي رددتها أثناء المرحلة الأولى. ولنا عودة مع الرقم سبعة في الفصل اللاحق لمعرفة دلالاته ورمزيته.

وبالنسبة لمن تقوم بهذا العمل فهناك نساء خبيرات ومختصات في هذا الأمر وهن من يجب أن يقمن بحل التصفيح وفي حالة وفاة أي منهن تبحث أم الفتاة أو العروس عن واحدة ماهرة وعارفة لهذا الشأن من أجل الحل.

2.4.5- ليلة الدخلة

تعد ليلة الدخلة أهم ليلة في بداية حياة العروسين، ففي هذه الليلة تفتك العروس شهادة شرفها الحقيقية وعفتها التي صانتها طيلة سنوات، وبالمقابل يبرهن العريس على فحولته ورجولته لكل المنتظرين. في مجتمع البحث يأخذ هذا الحدث أبعادا كثيرة واهتماما خاصا إلى درجة التهويل فيه يتجلى التابو ويخرج عن صمته وفيه تبرز المعتقدات ويظهر المسكوت عنه للعيان فما لم يكن مسموحا السؤال عنه أو الحديث حوله أصبح ممكنا الخوض فيه وأضحى تيقن معرفته أساسا ضروريا عند العروسين ويطلق على هذه الليلة في مجتمع البحث "ليلة نصره العروس" وكلمة نصره تعود في أصلها إلى النصر والانتصار أي انتصار العروس في حفاظها على نفسها وصيانة شرف العائلة. من الثابت أن العرب القدامى اهتموا بليلة الزواج، حيث كان الزواج يتم ويكون ذلك بعرض دم البكارة على الأقارب ليكون شاهدا على سلامة الشرف وعفة الفتاة، وكانوا يحتفلون بذلك بالزغاريد والغناء والضرب على الدفوف².

أي أن الاهتمام بالعذرية والبكارة ليس وليد اليوم بل هي من رواسب الماضي التي بقيت متأصلة في الحاضر. كما أن عادة الاهتمام بليلة الدخلة وفض بكارة العروس لا يقتصر على منطقة الدراسة فقط بل يهم المجتمع الجزائري في كل مناطقه، إذ نجد على

¹ - نصيرة قشيوش، مرجع سبق ذكره، ص 144.

² - ليلي صباغ، مرجع سبق ذكره، ص 172.

سبيل المثال لا على سبيل الحصر أنه في " تمرنة " ولاية الوادي بعد خروج العريس من عند عروسه تأخذ والدتها من عندها " القمجة" وهي قطعة قماش بيضاء بها دم البكارة إذ تريها لجميع الحاضرات فيقمن بإطلاق الزغاريد والغناء والرقص وهن يحملنها كما يسمع البارود في كل الأثناء ثم توزع الحلويات والمشروبات على الجميع¹. أما ما يجري في مجتمع بحثنا هو أن العروس تتوجه بها أخوات العريس إلى غرفة خاصة تكون غرفتها الدائمة أو المؤقتة ضمن البيت الذي أقيم فيه العرس، وبعدها تعطى الإشارة للعريس ليدخل، في تلك الأثناء ينصرف الحضور لكن يبقى الأقارب ومن جاء مع العروس في انتظار خروج العريس بعد أداء مهمته التي إن تأخر فيها التهامس والتأويلات²، ويستعجل وزير العريس خروجه عن طريق الوزيرة التي تعين في تلك الليلة لتساعد العروس وتلقنها بعض المعلومات وكيفية التصرف مع زوجها لانجاز المهمة بسرعة، ومن حين إلى آخر تتواجد الوزيرة للتأكد من أن الأمور تجري على ما يرام ولاستعجالهما عن طريق الطرق الخفيف على باب غرفتهما كتذكير لهما بأن الجميع ينتظر. بخصوص هذه النقطة تقول المبحوثة رقم (02): " نساء بكري يديرولهم وزيرة باش تتعت للعروس واش لازم دير وإذا صرا مشكل هي لي تدخل مع الوزير وينظمو لمور"³ وفي العادة تكون الوزيرة هي زوجة الوزير ومن المقربين للعريس وليسا قديما العهد بالزواج ومتقاربين في السن مع العريس والعروس حتى لا يستحيا منهما، كما يجب أن يكون الوزير والوزيرة جريئان وحائزان على استحسان الجميع وثقة أهل العريس لأنهما يكونان من طرفهم. تقول المبحوثة رقم (06): " لتو مازالت العيلات يديرو عوايد بكري كيما الوزير والوزيرة كنشتا ماشي كي بكري بصح يعاونو في شوية حوايج كيما تبخير العروسة وذران الكمون وتعاونها في جبدان حوايجها وتدخيل العريس لدارو وتسمع الحاضرين بالنصرة"⁴. ما نستخلصه من حديث الإخبارية أن الأمور تغيرت بعض الشيء عن الماضي لكن مازالت العائلات في مجتمع البحث محافظة على الكثير من عادات ليلة الدخلة وطقوسها كالوزير والوزيرة اللذان حتى وإن اختلفت أدوارهما أو تقلصت فإن الحاجة

¹ - مريم لمامم محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمرنة" (ولاية الوادي): بين الاسمرارية والتغير، مجلة إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 59، جانفي-مارس، 2013، ص 46.

² - مادة اثوغرافية جمعناها من الميدان.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (02)، سبق ذكرها.

⁴ - مقابلة مع الاخبارية رقم (06)، سبق ذكرها.

إلى خدماتهما أبقّت على وجودهما وأيضاً ممارسة بعض الطقوس الوقائية كمنح الكمون لرد العين وتبخير العروس والغرفة لإبعاد الجن والشياطين عن فراش الزوجين.

فكل هذه العادات والطقوس تكون بمساعدة الوزير والوزيرة وبالأخص إعلان وإعلام الحاضرين بنصرة العروس وفض بكارتها، في تلك اللحظة تدخل الوزيرة لتهنئ الزوجين وتخرج مسرعة وهي تزغرد وتحمل "القمجة" وهي قطعة قماش بيضاء يكون فيها دم البكاره، حيث تريها للحاضرات فيلتقطنها واحدة تلو الأخرى لمعاينتها ثم يرقصن بها ويغنين ويزغردن، ويضرب البارود وتبدأ السهرة من جديد وكأن العرس بدأ في تلك اللحظة، تقول المبحوثة رقم (10): "الأم ما تتنها غير كي تنصر بنتها"¹ وتقول المبحوثة رقم (01): "والوالدين ما يتهنوا غير كي يطمنا على ولدهم ثم يبدا العرس صح ويتحى النزقوم"²

في تلك اللحظات وبمجرد سماع المرافقين للعروس الزغاريد تخرج النسوة المرافقات لهم فينطلق موكب السيارات إلى بيت العروس لإعلام والدها ومن بقي معه وإعلان الجيران فيبتهج الجميع ويضربون البارود وتنطلق الزغاريد والغناء ثم تقدم للوافدين القهوة والمشروبات والحلويات كتعبير عن الفرح وكشكر لهم عن جلب الخبر السعيد فينالون حذوه عند والد العروس.

وتشترك الكثير من المجتمعات العربية في مثل هذه المظاهر كما هو حاصل في مظاهر الاحتفال بليلة الدخلة وهي أن دم بكارة العروس عندهم يكون في منديل كبير من الشاش الأبيض والذي يسلمه العريس إلى حماته التي تحمله بكل فخر وتزغرد. فتتطلق العيارات النارية وتتوالى الزغاريد وتغنى أغاني الشرف وكثيرا ما يتجهون بتلك المحرمة إلى بيت أب العروس الذي يستقبلهم فخوراً مرفوع الرأس وشامخ الأنف، ومن جهتها تكون أم العريس فخورة بابنها لأنه أثبت رجولته بفض غشاء بكارة عروسه وتقبله قائلة " راجل من ظهر راجل"³

ومن العادات المعمول بها في مجتمع البحث أن تحمل أم العروس القمجة بعد عودتها إلى بيتها مع مرور ثلاثة أيام أو أسبوع وتحفظ بها لسنوات بعد غسلها بعد مرور عام عليها. من كل ما سبق نستخلص أن للعدنية قيمة اجتماعية ودينية وتابو يتم خرقه من

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (10)، سبق ذكرها.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (01)، سبق ذكرها.

³ - سامية حسن الساعاتي، مرجع سبق ذكره، ص ص 185-186.

خلال إقامة طقوس معينة لأنه مدنس، إذ "أنه لا يوجد مدنس دون وجود مقدس (sacré)، أي أنه يركز على التفاوض"¹ إذ تعطي شرعية لاختراقه من خلال طقوس اجتماعية لأن كون الشيء مقدس يأتي من الشعور الجماعي الذي يكونه والذي به يتحدد الطقس وهذا ما يذهب إليه دوركايم في عرضه لثنائية المقدس والمدنس.

إن ليلة الدخلة تعني انتقال الرجل من ذكر بيولوجي إلى رجل اجتماعي (راجل) يخضع لامتحانات المجتمع الصعبة يلعب فيه العنف والقسر دورا وذلك من أجل إثبات وتحقيق الرجولة الكاملة من المنظور التقليدي في المجتمع الجزائري².

إذن اعتبرت عذرية المرأة أحد مقاييس اكتمال الجمال عند المرأة وتحقيقها لنموذج المرأة المشتهاة، وقد ارتبطت عفتها وطهارتها بالبركة لذا كان الشعور بالقلق يلزم الأهل حتى تتزوج بناتهم³.

إن ليلة النصرة حسب ما سبق هي امتحان لإثبات عفة وطهارة العروس وعدم تفريطها في عذريتها من خلال الحفاظ على غشاء بكارتها وإثبات لرجولة العريس وفحولته. من هذا المنطلق وهذا المنظور السائد في مجتمع البحث وتقريبا كل المجتمع الجزائري والعربي فإن مسألة الشرف ترتبط بغشاء البكارة وسلامته وهو منظور ضيق لأن الشرف يتعلق بجملته من المواصفات التي يجب أن تتوافر في المرأة والرجل أيضا.

¹ - Martine Segalene, op.cit, 1998, P11.

² - محمد زيان، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر - مقارنة سوسيو ثقافية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013، ص 128

³ - فرفار جمال، تمثيلات الشباب الجامعي للقيم السوسيو ثقافية - طلبة كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة معسكر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص 185.

خلاصة الفصل

تمثل عملية العناية بجسد العروس وتزيينها محورا هاما للعديد من الممارسات التي تحتل مكانة هامة بين العديد من خطوات العرس، التي تبدأ بيوم الحمام، حيث يكتسي حمام العرس في منطقة الدراسة أهمية كبيرة فهو مكان يوحى بالإثارة الجنسية لأنه تحضير للفعل الجنسي. وترتبط الطقوس التطهيرية في الحمام بالماء الذي يعد مصدر الحياة ورمز الخصب والتجدد، والطهارة ممارسة طقوسية احتفالية يمارسها كل من العروس والعريس للتخلص من النجاسة والدنس للإرتقاء من المدنس إلى المقدس كما ينصبان سلطانا وملكة بوزراء وحاشية وخدم. ويعد يوم الكباش كما يطلق عليه شاة الحلال طقسا تصبح من خلاله المرأة حلا للرجل لما اتخذ الكباش من قداسة عند القدماء فهو رمز التكاثر والخصب. كما أنه وسيلة للدنيوي للإتصال مع المقدس من خلال تقديمه كقربان. ويعد المهر من الجوانب الاقتصادية المتعلقة بالزواج ومن الالتزامات الواجب الوفاء بها. من أهم الطقوس أيضا ليلة الحنة التي تعد من مظاهر الزواج التي يتمسك بها أفراد مجتمع البحث كثيرا. وتعد ليلة الدخلة من أهم المحطات في بداية حياة العروسين.

إذا ينطوي العرس على مراسيم احتفالية وطقوس شعائرية تبدأ بإجراءات تمهيدية وتنتهي بدخول العروسين كعضوين في جماعة جديدة يتبوءان فيها مكانة تناط بالالتزامات ومسؤوليات جديدة.

الفصل الرابع

المراحل التحضيرية والتكميلية للعرض والممارسات الشعبية
والعروض الرمزية

تمهيد الفصل

1- المراحل التحضيرية

2- المراحل التكميلية

3- الممارسات الاحتفالية والعروض الرمزية

4- ممارسات طقسية؛ وظائف ودلالات رمزية

خلاصة الفصل

تمهيد الفصل

يستتبع العرس بمراحل تكميلية هي الحزام، المسنونة وقصعة الفراث تمارس فيها عادات شعبية اجتماعية تعبر عن روح التضامن والتكافل المعنوي والمادي التي تتجلى في صور كثيرة، مثل تقديم الهدايا التي تتخذ صورة التبادل الدائري اللانهائي ودعوات العروسين والخدمات المقدمة. كما تقام فيها ممارسات طقوسية تتجسد فيها بعض الأفكار الأسطورية التي تنتقل من جيل إلى آخر. ويتخلل احتفالات العرس ممارسات شعبية وعروض رمزية كضرب البارود، الغناء والرقص المحملة بدلالات وشحنة رمزية، حيث تمثل فرصة لتحرر الجسد والروح من قيود المجتمع وسلطة أفراد، وفرصة للمتعة والمرح، وتعبير عن الذاكرة الجماعية.

1 المراحل التحضيرية

1.1- التحضيرات عند أهل العروسين

1.1.1- في بيت العريس

يعد يوم الكباش اليوم الأول الذي تبدأ فيه مراسيم العرس أو الزواج وتسبقه بمدة شهر أو أكثر التحضيرات اللازمة في بيت العروس والعريس على حد سواء، حيث يشتري العريس كل ما يلزمه من أثاث للبيت إذا كان مستقلاً ببيته، وإذا كان السكن مقرراً مع أهله فيقتصر التجهيز على شراء غرفة النوم وتقوم أم العريس بشراء مستلزماتها وهي كما تقول الباحثة رقم (12): "كي يقرب العرس العريس هو لي يشري الشمبرا وفي عوايدنا الأم هي لي تشريلوا الحوايج لخرى اللازمة كيما المخايد والزرابى والزور والدرافات، وكان عندها قش بكري ديرلو كيما الحنمل والحولي والدرافة وبساطات الصوف ومخايد الرقم"¹، كما قالت الباحثة رقم (13): "الأم هي لي تسجي قش ولدها وما يدبر عليها حتى حد والعريس ما يدخلش في لمور هذي هو ما عليه غير يمد الصوارد كان أمو ما عندهاش"² وتقول الباحثة رقم (14): "حوايج لعريس لي يخصو شمبرتو لكل ديرهم أمو لخاطر هاذوما حوايج النساء والراجل ما يعرفش واش يصلح ولا واش ما يصلحش"³. كما أيدت الباحثة رقم (15) قولهن بقولها: "في عوايدنا الأم هي لي تهبي حوايج العريس للبركة، تلقها من نهار لي يخطب ولدها وهي تملو"⁴.

بالعودة إلى أقوال الباحثات نجد أنهن أجمعن على أن أم العريس هي المسؤولة الأولى عن تهيئة أثاث غرفة ولدها العريس فحتى في حالة استقلاله ببيته الخاص تقوم هي بتجهيز غرفة النوم كما يعود إليها العريس في كل كبيرة وصغيرة من أمور البيت الأخرى، كما يكون المطبخ عادة من تجهيزها وذلك بأنها تعطيه من أوانيها الخاصة بها، فهذا التكليف شرف له ومن أجل البركة وحتى تكون راضية عليه وتبارك كل ما يقوم به وهي أمور جرت بها العادة ورسختها في أذهان الأمهات، وحسب مجتمع البحث فإن كانت الأم متوفاة فالأخت الكبرى هي من تأخذ مكانها فإن لم توجد لا هاته ولا تلك فإن الأمر يعود إلى

¹ مقابلة مع الباحثة رقم (12)، مقابلة جماعية، سبق ذكرها.

² مقابلة مع الباحثة رقم (13)، نفس المقابلة الجماعية، سبق ذكرها.

³ مقابلة مع الباحثة رقم (14)، نفس المقابلة الجماعية، سبق ذكرها.

⁴ مقابلة مع الباحثة رقم (15)، نفس المقابلة الجماعية، سبق ذكرها.

الأخوات الأخريات إن كن في سن يسمح بذلك وإلا عاد الأمر إلى جدات العريس أو إحدى خالاته أو عماته المقربات¹.

كما تشمل التحضيرات اللوازم الضرورية للطهي والزينة والملابس التي يتزين بها أفراد الأسرة طيلة أيام العرس، خاصة النساء اللاتي يعمدن إلى تفصيل وشراء العديد من الفساتين تتراوح بين الفاخرة والبسيطة وذلك حسب اليوم الذي تلبس فيه، فهناك ملابس تلبس يوم الكباش أو الركوب وتكون بسيطة نوعا ما، وهناك أخرى تلبس يوم حنة العريس وعقده وأخرى تلبس يوم دخول أو قدوم العروس، لذا تكون متطلبات النساء كثيرة ويجب التحضير لها بمدة وهذا التحضير لا يخص فقط أسرة العريس، بل حتى المدعوين خاصة الأقارب الذين يتواجدون كل أيام العرس. أما الرجال فيشترون في العادة ملابس جاهزة لكن تخضع أيضا لليوم الذي تلبس فيه.

كما تهتم أسرة العريس بالزينة والأفرشة التي تستعمل في غرف استقبال الضيوف وأيضا تحضير الكثير من الأغذية والوسائد واللحافات، التي تستخدم للنوم لأن كل الأقارب يمكنون في بيت العريس مدة العرس كله لأن العادات والضرورة تقضي بذلك لذا نجد أغلب العائلات تملك الكثير من الأواني والزرابي والأغطية وكل ما يلزم الأعراس التي تقوم بها، ومن لا يملك الكثير منها فيضطر إلى الاستعارة من الأقارب أو الجيران الذين يهرعون إلى المساعدة ومد يد العون. وتقوم عائلة العريس بتحضير كميات معتبرة من الحلويات المنزلية التي تقدم للضيوف على مدار أيام العرس. كما تجهز الذبائح والمواد الغذائية الضرورية بكميات كبيرة والفواكه والمشروبات الغازية وغيرها من مستلزمات الأكل المقدم أثناء أيام العرس وبحسب كل يوم. كل هذه الأمور تشرف عليها ربة البيت وهي عادة الأم فيكون الجميع رهن إشارتها وتحت تصرفها². وبداية من هذا اليوم يختفي العريس عن عيني والده حياء واحتراما ويبقى احتكاكه قليلا بأمه وفي هذا المقام تقول المبحوثة رقم(24): "العادة هذي من بكري عنا، العريس يدرث على أمو ويبو لخاطر يكون حاشم منهم، من يوم لي يبدأ العرس حتى يتم على الأقل سمانة ولا عشرة أيام تو، أما بكري العريس يدرث حتى شهر لخاطر عنا عيب كي يبقى يتقابل معاهم"³.

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

³ - مقابلة مع الإخبارية رقم(24)، سبق ذكرها.

يفيدنا كلام الإخبارية بأن عادة اختفاء العريس عن والديه عادة قديمة مازال معمولاً بها حتى الآن حيث يتجنب العريس لقاء والده خاصة، لذا تخصص له غرفة في البيت وتقوم بخدمته أخواته أو إخوته حتى يحين يوم الزكوب أين يتخذ هو وأصحابه "الحجابه" مكان وفضاء خاص بهم.

2.1.1- في بيت العروس

إذا ذهبنا إلى بيت العروس نجد الأمور تسير بنفس الوتيرة تقريبا، حيث يكون الاهتمام بتنظيف البيت وتزيينه وترتيبه وشرائه الأواني المخصصة للطهي وتقديم الأكل. وتحضر الحلويات المنزلية التي تقدم للمدعوين والضيوف، وحلويات منزلية خاصة بالعروس تأخذها معها أو تحملها لها أخواتها يوم الصباحية كفطور لها ولكل الحاضرين، وتكون من أنواع فاخرة ومتقنة الصنع، كما تحضر تشكيلة من الحلويات والمكسرات كاللوز والجوز وتسمى القشقشة توضع في علب أو أكياس خاصة بكميات متساوية وتوزع يوم العقد على جماعة العريس من النساء الحاضرات بعد إنهاء عقد الجماعة كهدية يحملونها من عند العروس وكرمز للترحاب

والفرح بهم، وهي من العادات المستحدثة في السنوات الأخيرة حيث تقول الباحثة رقم(21): "القشقشة هذي من العوايد الجدد بكري يجييوها مالي لعريس للعروس نهار قفصة الحنة وتفرقها أمها من بعد على الحاضرات"¹. بمعنى أن هناك بعض العادات التي اكتسبها مجتمع البحث من خلال التوارث وأخرى من خلال الاحتكاك بمجتمعات قريبة وفي الغالب تحمل هذه العادات النساء من بيئة إلى بيئة وأيضا عن طريق زواج الرجال من بيئات خارج مدينة الشريعة.

ويتركز الاهتمام في بيت العروس منذ خطبتها عليها، حيث تبدأ بشراء الجهاز وتفصيل الفساتين واختيار الأغطية الخاصة بكل فصل وأدوات الزينة التي لا حصر لها والألبسة الداخلية التي غزت الأسواق وكل ما تحتاج إليه، فعملية تجهيز الفتاة في مجتمع البحث صعبة ومكلفة لأن العروس تأخذ معها تقريبا كل ما تحتاج إليه من ألبسة شتوية وصيفية وأغطية وأواني وأجهزة وآلات كهربائية وإلكترونية وكل ما تستطيع شراءه أي أنها تجهز نفسها وبيتها، وهنا أيضا نجد بعض العادات المستحدثة والدخيلة على مجتمع البحث فمثلا

¹ - مقابلة مع الباحثة رقم (21)، مقابلة جماعية، سبق ذكرها.

الأواني وأدوات المطبخ لم تكن في لائحة المشتريات التي تخص الجهاز الذي تأخذه العروس وأصبحت هذه اللائحة تنقل كاهل الأسر يوماً بعد يوم لزيادة محتوياتها أكثر فأكثر، تقول المبحوثة رقم (22): "والله الوحدة منا ما عرفت واش تدي في جهازها كل يوم تجي حاجة جديدة يا حليل لي ما عندهاش لخاطر عنا الناس يتعانودو ويضحكوا على لي ما دتش جهاز مليح وياسر"¹، وتضيف المبحوثة رقم (23) وهي تضحك: "العروس عنا لازم تدي كل حاجة منها عشرة ولا عشرين تقول عليها ما عادتتش تشري حتى حاجة حتى تموت"²، أما المبحوثة رقم (18) فتقول: "المشكل راهي الحوايج الكل تموت لامود تاها لخاطر كل يوم يجي الجديد معنتها أنو أكثر لحوايج شريناهم خسارة"³ أما الإخبارية رقم (25) فتقول: "وزيادة على هذا العرايس تو يأتو الدار ويدوكلش حتى الماشينات متاع الغسيل والفريجيرات والكوشات وبراً"⁴. وبهذا المعنى فإن العروس تحتاج إلى الكثير ليس فقط النقود، بل الوقت ايضاً لتستطيع أن تفي بكل هذه الالتزامات وخاصة أنه يجب أن تتاسق الأشياء والألوان، هذا ما يتطلب وقت مضاعف وتنقل إلى المدن والولايات المجاورة لشراء بعض الأثاث والألبسة، إضافة إلى اهتمام كل أفراد الأسرة بالعروس وبتحضيراتها هناك تحضيرات أخرى تخص أخواتها وقربياتها، لأنهن أيضاً يعددن الملابس اللاتقة واللازمة لمثل هذه المناسبة فتجدهن في سباق مع بعضهن ومع الزمن لإعداد وشراء أجمل الفساتين وأغلاها ثمناً ليظهرن جميلات ولينتاخرن بها أمام أهل العريس.

2.1- الدعوات والهدايا

1.2.1- دعوة الأقارب والجيران والأصدقاء

بمجرد أن يحدد موعد العرس وقبله بثلاث أو أربعة أيام تقوم أسرة العريس وأسرته العروس بدعوة الأقارب والأصدقاء والجيران حتى يستعدوا لحضور العرس، ويعطي الناس في منطقة الشريعة أهمية كبيرة لحضور كل هؤلاء خاصة الأقارب فحضورهم يعبر عن الحب والتقدير والحرص على حفظ الود وعلاقات القرابة. ففي مثل هذه المناسبات تظهر المشاركة والتعاون والتضامن بكل أشكاله ومعانيه، ويعد هذا الأمر من الأمور المتعارف

¹ مقابلة مع المبحوثة رقم (22)، نفس المقابلة الجماعية، سبق ذكرها.

² مقابلة مع المبحوثة رقم (23)، نفس المقابلة الجماعية، سبق ذكرها.

³ مقابلة مع المبحوثة رقم (18)، سبق ذكرها.

⁴ مقابلة مع المبحوثة رقم (25)، سبق ذكرها.:

عليها والسائدة ليس فقط في مجتمع بحثنا بل في العديد من بلدان أخرى، ففي بعض مجتمعات الريف المصري كما تقول فوزية دياب يعد حضور الأقارب والمعارف والمحبين في احتفالات أقاربهم خاصة الأفراس دليل على حبهم وتعلقهم ببعضهم وهي فرصة لاختبار ولائهم ومساندتهم عمليا من خلال التعاون والتكافل المعنوي والمادي ويظهر ذلك من خلال مظاهر المجاملة المتعددة فمن الحضور من تكون مجاملته عن طريق حضوره الشخصي للتهنئة والتمنيات الطيبة للعريس وأهله ومنهم من يجامل بالنقود النقدي العيني، ومنهم من يجامل أصحاب الفرح بالقيام بخدمات¹. وتقضي العادات في مجتمع البحث أن يلبي المدعوون دعوة أهل العريس والعروس فإن لم تلبى الدعوة فذلك يعتبر إهانة وتقصير لا ينسى ويقابل بالمثل في مناسبات أخرى، وتحدث مقاطعة العائلات لبعضها لأن الداعي ينتظر المجاملة من أقاربه وأصدقائه وأحبائه الذين يتوقعون هم بدورهم توجيه الدعوة إليهم، وإذا حدث العكس يفسر على أنه عدم حب واکتراث وإعطاء قيمة.

وقد أجمع كل المبحوثين والمبחות على أن دعوة الأقارب والأصدقاء والجيران واجبة وتعبّر عن التقدير واحترام الناس لبعضهم وحرصهم على حفظ العلاقات الطيبة بينهم ويقول المبحوث رقم(03): "نحننا كي نديرو فرح نعرضو الناس لقراب الكل وجيرانا وحبابنا لخاطر هو ما يعرضونا ويقدرونا وحتى ما تتفرقش العائلات ويعادو بعضاهم"²، وتقول المبحوثة رقم(11): "إلي عرضنا نعرضوه قريب ولا بعيد وكيفا يقولو ناس بكري دير كيفا يدير جارك ولا أرحل من دارك معناها لي يقدرك قدرو ولي يحقرك أحقرو أنا عندي ولد عمي دار عرس لبنتو ما عرضناش ما رحناش ونحننا كي نديرو فرح في دارنا ما نعرضوهش ما هوش قدرو كبير ونحننا أقل منو"³ وتضيف المبحوثة رقم (08) قائلة: "كلش سلف لي عرضك أعرضو ولي نساك أنساه نحننا كي درنا عراس خيوتي عرضنا الناس الكل لي كانوا يعرضونا في عرساتهم لخاطر لازم نردولهم العرضة تاعهم وجابولنا كيفا دينالهم"⁴.

ويقول الإخباري في مقارنته بين ما كان سائدا في الماضي وما هو كائن اليوم: "بنيتي نحننا بكري ماشو ممكن واحد ما يعرضش ماليه الكل حتى الجيران ولحباب نحسبوهم من

¹ - فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص 281.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (03)، سبق ذكرها.

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (11)، سبق ذكرها.

⁴ - مقابلة مع المبحوثة رقم (08) ، سبق ذكرها.

العيلة، بكري لوكان حد يدير فرح في دارو وينسى واحد ما نفولوش ما يعرضوش لخاطر ماكانش منها الحلقة هذي، ينوضو عليه العرش الكل ويديرو جاهة باش يرضوه أما تو لعباد تلمو على بعضها وتقاطع وقليل لي يدخلو ويرضوا الناس مع بعضها¹.

من خلال كلام الإخباري نستنتج أن علاقة القرابة تمثل قيمة عالية في مجتمع البحث وهذا ينسجم تماما مع ما يقره المبحوث رقم (09) في قوله: "الواحد ما ينساش بني عمو في فرحو لخاطر يلقاهم في فرحو والعزوة مليحة"².

بالرغم من تغير الأوضاع وتبدل الظروف التي أصبحت تحكم المجتمعات في الوقت الراهن إلا أن الأفراد في مدينة الشريعة لازال يحكمهم نوع من العصبية التي تفر بأهمية مساندة الأقارب وولائهم واشتراكهم في الفرحة في المسرات واقتسامهم الحزن في الأزمات، لذا فهم يشعرون بالأمان والاطمئنان في تمسكهم بعصبيتهم.

2.2.1- الهدايا المقدمة في الزواج ودورها

يعد زواج الابن أو البنت من المناسبات التي تتطلب التساند والتعاقد والتضامن الاجتماعي من الوسط القرابي ومن الجيران والأصدقاء، ويمثل تقديم هدايا للعريس والعروس أحد مظاهر هذا التضامن وأحد النواحي الاقتصادية في الزواج. ولقد أظهرت لنا الدراسة الميدانية في مجتمع البحث أن للهدايا أنواع وشروط وأهداف ووظائف وأغراض وأبعاد. ففي مجتمع الدراسة يتحدد نطاق تبادل الهدايا في أربعة أطراف هم أسرة العريس أو العروس وهم الإخوة والأخوات والوالدين ثم الأقارب من الأعمام وأبناء العمومة والأخوال وأبناء الخوالة وغيرهم ثم الجيران وأخيرا الأصدقاء، وتعد القرابة النظام الاجتماعي المهم والملزم لتبادل الهدايا في مجتمع البحث من أجل زيادة التضامن بين الأقارب والارتباط ببعضهم فبمجرد اقتراب موعد العرس يبدأ العريس والعروس في تلقي الهدايا من إخوتهم وأخواتهم وجداتهم وأعمامهم وكل الذين تربطهم بهم صلة قرابة. لكن بالنسبة للأقارب فهناك نوعين من الأقارب بالنسبة لمجتمع البحث وهم الأعمام وأبناء العمومة والأخوال وأبناء الخوالة والأجداد والجدات ثم سائر الأقارب حيث تختلف هدايا الفئة الأولى عن الثانية، إذ أن الفئة الأولى تقدم هدايا شخصية للعريس أو العروس أو لبيته، وتتمثل في اللباس أو الأغطية أو أثاث أو أجهزة

¹ - مقابلة مع الإخباري رقم (01)، سبق ذكرها.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (09)، سبق ذكرها.

كهربائية وإلكترونية، وتكون بمدة لا بأس بها قبل العرس حتى لا يكلف العريس أو العروس نفسيهما شراء نفس الشيء كما يكون أفراد هاته الفئة على علم بما ينقص العريس أو العروس فهي تعتبر مساعدة وإكمال للجهاز.

أما سائر الأقارب وكما بينته الدراسة الميدانية فإن هداياهم تتمثل فيما يحضرونه يوم يأتون إلى العرس ويكون نقدي أو عيني يتمثل في الدقيق، الكسكسي الخضر والفواكه وبعض المواد الغذائية التي تستعمل في العرس، وهذا يدخل حسب مجتمع البحث في ما يسمى " الباروك " ويقدم لأم العريس والذي يلتزم به الأقارب كلهم وهو يقدم كمعونة. من هنا يمكن القول أن هدايا الزواج تمثل نظام اجتماعي محدد ومستقر تحكمه فكرة الالتزام بالمعونة والتي تتحدد تبعا لمركز مقدمها وثروته¹ كما يقدمون أيضا " الباروك " النقدي في حنة العريس وتتلقى العروس أيضا " الباروك " في حنتها من الطرفين أقاربها وأقارب العريس. لكن لا يتلقى أهل العروس أي معونة عينية أو نقدية أخرى سواء من الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء.

أما فيما يخص الجيران والأصدقاء فهداياهم تتراوح بين النقدي والعيني، إذ في حنة العريس يجاملونه بوضع " الباروك " النقدي أما هدية العرس بالنسبة للجيران فتكون نقدية في الغالب، أما بالنسبة للأصدقاء فتكون الهدايا في أكثرها عينية تتمثل في اللباس الشخصي وأدوات وأجهزة وأثاث المنزل.

في تحليلنا لما حصلنا عليه من خلال الميدان وجدنا نطاق الهدايا في مناسبات الزواج لا يقتصر على النطاق القرابي فقط، بل يتعداه إلى علاقات الجيرة والصدقة التي تفرض بموجبها واجب تقديم الهدية.

وأكدت لنا بعض المبحوثات أن تبادل الهدايا بين الجيران في المناسبات يخضع لقوة العلاقات التي تربطهم، حيث تقول المبحوث رقم (05): " الجار كي يكون مليح تروحلو لدارو ويجيك في أي مناسبة كيما لعراس ولا الطهور ولا الولادة ساعات الجار يكون خير من قرايبك"². وتؤكد المبحوث رقم (30) أنه لا يكفي التعارف بين الجيران إذ لا يدخل أي جار بيت جاره خاصة النساء إلا إذا كان بينهم ود ومحبة وعلاقات قوية وتعبر عن ذلك بقولها:

¹ - مرفت العشماوي عثمان العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص 206.

² - مقابلة مع المبحوث رقم (05)، سبق ذكرها.

"ماشي الجيران الكل كيف كيف كاين وحدة يخليها راجلها تمثيلهم وأخرين لا، أنا جيرانني لي عندهم عوامات ياسر حذانا تعارفنا على بعضانا وكلينا ملح بعضانا ونحبهم ويحبوني ولادهم كيما ولادي، وولادي كيما ولادهم نمشو لبعضانا كيما الأهل"¹.

فيما يخص هذه الأنواع من الهدايا فهي تدخل في نمط الهدايا الملزمة بالرد من حيث القيمة والنوعية ووقت ردها. فبالنسبة للقيمة "فقيمة الهدية المقدمة تمثل بعدا لا بد من مراعاته عند رد الهدية، وذلك حتى ترد بقيمة اقتصادية لا تقل في ثمنها عن الهدية المقدمة قبلا حتى لا تعد خسارة على من قدمها"²، إذ أن مقدم الهدية يضع في اعتباره أن الهدية التي ستقدم له في مناسبة مماثلة ستكون أثمن اقتصاديا من التي قدمها.

أما فيما يخص نوع الهدايا فإن الراد للهدية يراعي أن تكون هديته من نفس نوع الهدية التي قدمت له سابقا، أو أن يحرص الذي تقدم له الهدية أولا أن يرد بنفس نوعية الهدية في مناسبة مشابهة. فإذا كانت الهدية نقدية ترد بهدية نقدية مماثلة، أما إذا كانت عينية فلا بد وأن ترد بهدية عينية أيضا"³، مع مراعاة أن الهدايا العينية يجب أن تكون من نفس نوعية الأشياء التي قدمت.

أما بالنسبة لزمن الرد فيعمل الذين قدمت لهم الهدية على ردها في مناسبة مماثلة أو مشابهة فور وقوعها وذلك "انطلاقا من الفائدة الاقتصادية المنتظرة للرد والتي توضع في الحساب كجزء من تكلفة المناسبة"⁴، لأن عدم رد الهدية في وقت مماثل وفورا يثير التساؤلات، ويحدث خلافا في صورة التبادل الدائري الذي تكلم عنه مارسيل موس Marcel Mauss هذا الأخير قام بدراسة حول أشكال التبادل من خلال دراسة الهبة أو الهدايا وتوصل إلى أن "الملح الرئيسي لتبادل الهدايا يكمن في قوة الجبر على العطاء والجبر على الاستقبال والجبر على رد الهدية"⁵ أي أن هناك إلزامية لتقديم الهدية لصاحب المناسبة وعليه

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (30)، سبق ذكرها.

² - علياء شكري ومحمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع العائلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 272.

³ - علياء شكري ومحمد الجوهري و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 273.

⁴ - المرجع نفسه، ص 274.

⁵ - المرجع نفسه، ص 249.

قبولها وردّها في مناسبة مشابهة، وبهذا يكون رد الهدية هو نهاية التبادل وبدأيته كذلك، وهو الحاصل في مجتمع البحث من خلال الدراسة الميدانية.

هناك نمط ثاني للهدايا وهو الهدايا غير ملزمة الرد وتمثل في الهدايا التي تتلقاها العروس من أسرتها بعد انتقالها إلى أسرة زوجها أو إلى بيتها الخاص، وتقدم عادة يوم الصباحية والمسنونة والحزام أو في زيارة بعد الزواج أو في مناسبات ليست بعيدة بعد الزواج مثل المولد النبوي والعيدين. وتلعب هي الأخرى دورا وظيفيا داخل الأسرة إذ تعمل على تقوية علاقات الأخوة والارتباط بالعائلة الأولى.

إضافة إلى هذا فإن أسرة العروس تقدم بعض الوجبات للعروس وزوجها، وأيضا أسرة العريس إذا كان مستقلا ببيته فبين الحين والآخر تحضر لهم والدته طعاما أو تدعوهم إلى بيته، ويدخل ضمن هذا الإطار أيضا دعوات الأقارب التي تخفف على العروسين عبئا كبيرا، حيث ينظم الأقارب دعوات يومية على مدار أسبوع أو أكثر لهما، بمعنى أن هذه الهدايا أيضا تؤدي دورا اجتماعيا واقتصاديا ملحوظا.

فالهدية لها أثر كبير في النفوس ولها أبعاد اجتماعية واقتصادية تساهم في تقوية أواصر الصداقة والجيرة وتعمل بشكل خاص على التضامن الاجتماعي وتقوية العلاقات القربانية واستمرارها فباستمرار الصورة الدائرية لتبادل هدايا المناسبات تتواصل وتستمر العلاقات الاجتماعية وهذا ما يتفق تماما مع ما يقوم به العريس تجاه أصدقائه وجيرانه وأقاربه وأسرتهم في مناسبات أخرى، وأيضا ما تقوم به العروس في زواج صديقاتها أو إخوتها أو أخواتها أو إحدى قريباتها وهذا ما يدل أيضا أن الجنسين معنيين بالتقديم والرد. لكن يجب التنويه ببعض الملاحظات التي توصلنا إليها وهي أن بعض العائلات لا تستطيع تبعا لوضعها الاقتصادي رد هدية أعلى قيمة، لذا يتحتم رد هدية بنفس القيمة. كما تعد المعاملات وحضور المناسبة والقيام بخدمات سواء خارجية أو داخلية من أعمال منزلية كالطهي والتنظيف وتقديم الطعام وغسل الأواني ومرافقة العروس ودعمها ومعاونتها في الشراء والتسوق، وغيرها من الخدمات ديونا يجب ردها وهذا ما تؤكدته المبحوثة رقم (01) بقولها: "كلش دين حتى دمة الخدين"¹ وهو قول بليغ يصور مدى إلزامية الرد سواء بالنسبة

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (01)، سبق ذكرها.

للأشياء المادية أو المعنوية، إذ يصور لنا هذا القول أنه حتى في الوفاة تتذكر النساء من بكى لهن على من فقدن، وهذا أبلغ تصوير وتعبير على دور الهدية في مجتمع بحثنا.

2- المراحل التكميلية

2-1- صباح العروس

2.1.1- التفتيلة ولباس العروس والطقوس المرافقة

يوم صباح العروس أو الصباحية كما يطلق عليها في مناطق أخرى من الجزائر أو الوطن العربي هو اليوم الثاني للزفاف، وهو يوم مهم حيث يحس الجميع بالبهجة والراحة لأن كل الأمور سارت على خير بالنسبة لليلة الدخلة. وهو عادة متوارثة لها مظاهر احتفالية حتى وإن بدت بسيطة فهي ذات أبعاد ودلالات ووظائف. ففي صباح هذا اليوم يقدم العريس لعروسه هدية من الحلبي الذهبية كالخاتم أو العقد أو الأقراط أو مبلغا من المال تعبيراً عن مودته وحبها وكوعد على حسن المعاملة والعشرة والإخلاص، كما ترمز هذه الهدية إلى قيمتها كعذراء وصيانة شرفها والحفاظ على عفتها. فتزيها العروس للحاضرات لتفتخر أمامهن باهتمام زوجها وتقديره لها وكلما كانت الهدية ثمينة أو المبلغ المالي معتبرا أشار إلى قيمة العروس عند زوجها وحبه وتقديره لها. وإذا كان مبلغا من المال تخبر بقيمته، وتشتري به شيئا ذا قيمة كذكرى لزوجها ويكون في العادة حلية ذهبية. ولا تقتصر هذه الهدية على مجتمع الدراسة فقط بل توجد في مناطق من الوطن مثل تلمسان حيث يهدي العريس يوم الصباحية حلية من الذهب لعروسه أو مبلغ مالي خاصة في الأرياف والقرى¹.

كما توجد هذه العادة أيضا في مجتمعات عربية مثل قرى الشمال العربية التي يقدم فيها العريس مبلغا ماليا، كما يضيف البعض أشياء عينية كالحيوانات مثل الغنم أو البقر ويمكن أن تشتري العروس بالمبلغ المالي أغناما، حيث تعلم وتبقى ملكا لها كلما تكاثرت وورثها أبناؤها بعد وفاتها².

في هذا اليوم يحضر الأهل والأقارب من الجهتين، حيث تحمل أخوات العروس وعماتها وخالاتها وقربياتها الإفطار كله من بيت أب العروس مع كامل الحلويات المنزلية الفاخرة التي صنعتها معهن قبل الزفاف، وتكون بكميات كبيرة موضوعة في صواني كبيرة

¹ - نصيرة قشيوش، مرجع سبق ذكره، ص 94.

² - المرجع نفسه، ص 94.

مرتبة ومزينة بطرق تلفت أنظار الحضور ليقال بأن العروس ربة بيت ماهرة لأنه في الأصل يجب أن تكون من حضرته، يحضر الجميع من أجل المباركة للعروسين ومن أجل حضور بعض الطقوس والمشاركة فيها. حيث تمارس في يوم صباح العروس طقوس ذات مضامين رمزية متجذرة في ماضي بعيد، من هذه الطقوس "التفتيلة" تحدثنا في هذا الشأن الإخبارية رقم (03) فنقول: "بكري نفتلو لعروس نهار الحزام بعدما تلبس الملحفة ودير فضتها الكل نمشطولها شعرها ونضفرونها أربع ضفاير نهبطوهم شوية على الجبهة ونخالفوهم كل زوز على جبهة ونهبطولها السوالف على خدودها ونعصبولها بصح الضفاير يكونو الفوف باينين ومبعد نخطوا فوفهم الجبين والفتينة بالمخاطف نتاعها ونريحو للعروس ومن بعد نحزموها وتبقى المرا دايرة الضفاير والسوالف بعد ما نتزوز وما تتحيهمش لخاطر خايب عليها بعيد الشر تتحيهم غير لي مات راجلها ولا ولادها لخاطر هوما زينة المرا المزوزة وببهم يعرفوها الناس لخاطر الصبية ما ديرهمش"¹.

من خلال ما تقدم نجد أن "التفتيلة" أخذت تسميتها ومعناها حل الشعر وفتله على شكل ضفائر للجزء الأمامي وجعل "سوالف" من الجانبين للعروس، وهو طقس عبور يرمز إلى أنها أصبحت متزوجة حيث أنه لا يسمح لغير المتزوجة بأن تسدل جزء من شعرها على خديها على شكل سوالف. في الماضي تحتفظ المرأة المتزوجة بهذا المظهر أي "السوالف و الضفيرة" دائما و لا ترفع سوالفها ولا تحل ضفائرها إلا في حالة وفاة زوجها أو أحد أولادها لأنها رمز لهؤلاء، وإن حدث ورفعتهما وتخلت عن الضفائر فيفسر ذلك على أنه نذير شؤم عليها.

فالضفائر والسوالف تعطي دلالة على أن المرأة متزوجة وفي حمى رجل فهي حرمة لا يجب أن يقترب منها أحد، إنهما رمز المتزوجة لمن يجهل حالتها العائلية.

لكن ما يمارس اليوم في مجتمع البحث هو طقس عبور أني يخص يوم واحد فقط كدلالة على دخول المرأة إلى عالم المتزوجات، يتمثل هذا الطقس من حيث ظاهره في لبس العروس لباس تقليدي والمتمثل في الملحفة وحليها الفضية كاملة، ثم تعمد المرأة التي ذهبت لها يوم الكباش وأحضرتها عروسا إلى زوجها بحل شعرها وتسريحه ثم فتل أربعة ضفائر توجه كل اثنتان إلى جهة وتخترق بهما الجبهة بعد وضع بعض المحارم ثم يوضع الجبين

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (03)، سبق ذكرها

بطريقة تترك المجال للضفائر بأن تكون ظاهرة، كما يسدل بعض الشعر المتوسط الطول على الخدين ويسمى "سوالف" حتى أنه يقال لمن أسدلت بعض الشعر على خديها بالمنطوق الشعبي "واش دارت سوالف لعروس" ثم توضع لها المساحيق اللازمة وتتطرر متهيئة للتحريم أو للمرور إلى طقس الحزام.

2.1.2- التحريم(الحزام)

في الماضي كانت الأعراس في منطقة الدراسة تدوم سبعة أيام لذا أطلق اليوم السابع على اليوم الذي تتحزم فيه العروس وهو ما يسمى أيضا "نهار الحزام"، وهو اليوم الذي يلي يوم "صباح العروس"، لكن حاليا اختصرت أيام العرس الفعلية في أربعة أيام فأصبح يوم الحزام هو نفسه يوم "صباح العروس" حيث تجري الطقوس متتالية ومتتابعة في نفس الصبيحة.

بعد طقس التفتيلة كما أسلفنا ولبس المرأة للباسها التقليدي المتمثل في الملحفة وكل حلبيها الفضية المتماشية معها، وهو رمز تراث المنطقة والتي أدخلت عليها بعض التعديلات على شكلها الأصلي مساييرة لروح العصر، يأتي طقس "التحزام" حيث يقوم أخ العريس بتحريم العروس بعمامة تعود إليه أو إلى والده وتكون بيضاء نظرا لما هذا اللون من مكانة وقدسية في ثقافة مجتمع البحث، حيث يرمز إلى الطهارة والعفة والنقاء، ثم يسلم عليها ويعطيها مبلغا من المال يكون فألا للحزام مرددا عبارات التمني لها بالسعادة وأن ترزق بالذرية الصالحة. في هذه الأثناء تتطلق الزغاريد العالية والمتوالية من طرف الحاضرات، كما يدخل إخوة العروس وأعمامها وأخوالها للمباركة لها وإعطائها مبالغ من المال كرمز لصونها لعرضهم وشرفهم وتعبيرا عن فرحتهم بها لكن لا يسمح لغير المحارم برؤيتها.

بعد إنهاء هذا الطقس تكون والدة العريس قد حضرت الطمينة وهي عبارة عن دقيق يضاف إليه الغرس والزبدة التقليدية ويعجن جيدا حتى ينزع منه النوى بكامله، ثم يسوى ويضع على شكل كريات صغيرة توضع في جفنة مصنوعة من الحطب تضعها فوق رأس العروس وهي واقفة تجول بها قليلا وسط الحضور الذين يتسابقون في خطف بعض الكريات لأكلها في جو من المرح والضحك. والطمينة في مجتمع البحث مرتبطة دائما بالمناسبات السعيدة فتحضر كفال للزواج والولادة والنجاح والبناء وغيرها، وهذا لما تحيل إليها مكوناتها من حلاوة وخصب وخير. بعد بضع دورات تنزل أم العريس تلك الجفنة ، وتعطي لجميع

الحاضرين حتى الرجال الذين يكونون في الخارج وتكرم الأطفال خاصة لأنهم رمز للبركة والخصب¹.

إذن يجسد هذا الرمز في حفل طقسي يعبر عن ضم العروس فعليا إلى عائلة زوجها كما يرمز فعل التحريم إلى العلاقة الوثيقة والوطيدة والحميمية مع أم الزوج خاصة، كما أن كلمة الحزام مشتقة من الحزم بمعنى استعداد العروس وعزمها على القيام بمهامها في بيتها الجديد وبدل فعل القيام بهذا الطقس في اليوم السابع على نهاية العرس وبداية للقيام بشؤون البيت. ويكتسي "التحريم" بهذه المعاني نفس المعنى في البلاد التونسية أيضا². وقد أفادتنا المبحوثة رقم (24) ببعض المعلومات الإضافية حول هذا الطقس وما يحيل إليه من دلالات فتقول: "المرأ من نهار لي يحزموها في عرسها ما عادش تنحي حزامها لخاطر خايب عليها وعلى عيلتها وهو تاع الضناية وتنحيه كان كي ترفد وبكري المرأ لي يشوفوها محزمة يعرفوها بلي مزوزة وما يطمع فيها حتى حد"³.

ما نستنتج من كلام المبحوثة أن الحزام في مجتمع البحث يؤول على أنه رمز لخصوبة المرأة ونسلها ورمز للعلاقة الجنسية الشرعية مع زوجها فقط، ويعطي للمرأة قواما جميلا ويساهم في إبراز معالم جسدها كمنطقة الصدر والوركين. كما أنه دلالة على أنها متزوجة وهي في ذمة رجل لذا لا يقترب منها أحد ولا يطمع في الزواج منها إذا كان يقصد ذلك، لأن النساء في الماضي كن يخرجن لجلب الحطب والماء ويرعين الأغنام، فيتصادفن مع الرجال حتى ولو من بعيد كما يلتقن مع نساء أخريات في موارد الماء ويصادفن أن يكون أحد منهم يبحث عن عروس وأعجب بواحدة فيراها إن كانت تضع حزاما أولا، وبهذا يتجنب السؤال.

ويتطابق هذا المنظور أو هذا التمثل في مجتمع بحثنا مع تمثّل ومنظور القرويات في بعض مناطق من المغرب، حيث وجدت الباحثة أن "الكرزية" وهي عبارة عن حزام عريض من الصوف تُلَف به القروية خصرها لشد بطنها وظهرها يحيل إلى دلالات رمزية ترتبط بمفهوم الحزام، بما يتضمنه من معاني الربط والشد والمنع والتحصين للمرأة، فهو رمز عن امتناع المرأة عن أي عملية جنسية غير شرعية حيث لم يكن يسمح للنساء بنزع الكرزية إلا

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعاشة.

² - فاطمة الزهراء قشي، مرجع سبق ذكره، ص ص 42-43

³ - مقابلة مع المبحوثة رقم (24)، سبق ذكرها..

عند النوم. ويعتبر العزوف عن ارتدائه في تمثل القرويات الأخريات هو دعوة للرجال وإعلان لهم عن الاستعداد لممارسة الجنس، لذا فالفتاة عندهم تلبس الكرزية بمجرد بلوغها وبالتالي فهي إحدى علامات النضج الجنسي لدى المرأة¹.

وجرت العادة في مجتمع البحث أن المرأة خاصة التي تجاوزت الخمسين تعلق بعض التمام والحروز في حزامها من أجل الشفاء ودرء العين والحسد، وللدلالة على أن الحزام في مجتمع البحث يرمز إلى خصوبة ونسل المرأة فعندما لا ترزق بأولاد يقال لها "ربي يحل حزامك" كما تعطيتها العجائز واللاتي رزقن بأولاد بعضها من أحزمتهن للتبرك، ويقال أيضا للمرأة التي رزقت بأولاد بأن "ربي عطاها في حزامها" لذا من الشؤم أن تضيع المرأة حزامها وإذا حدث وسرق منها فإن هذا يؤول بأن الفاعل يريد قطع نسلها.

وفي التصور الشعبي لبعض المجتمعات يعتقد الناس أن الحزام يتطابق مع الخصر الذي لا بد من الحفاظ عليه لأنه يتعلق بالقدرات التناسلية، حيث يعتبر الخصر في عالم الرموز هو نقطة الوصل بين نصفي الجسم العلوي والسفلي، حيث يتعلق الجزء العلوي بالروح والعقل والثاني بالشهوات الدونية لذا إصطبغ الحزام بهذه الرموز والمعاني. ومن الناحية الجمالية يعد الحزام زينة لا تتجزأ من بعض الألبسة التقليدية كالملحفة والقفطان وغيرهما، ويعد ارتدائه وشده بشكل جيد على الخصر من علامات الذوق الرفيع، كما يعد إهماله من الأمور غير اللائقة خاصة عند كبيرات السن اللاتي شهدن على استعمال الحزام التقليدي المصنوع بإتقان من الصوف بألوان زاهية ومتعددة ويكون طويلا يكفي للفه مرتين ويسمح بتنظيم ثنية الملحفة خاصة وتسوية طولها لأنها الثوب الذي كانت ترتديه النساء في القديم في منطقة الدراسة.

3.1.2- طقس فتل الكسكسي ولعبة العصيدة

يعد يوم الحزام والطقوس الممارسة فيه إعلان عن انتقال العروس إلى مكانة المرأة المتزوجة، حيث يبدأ تفاعلها كعضو جديد في جماعة النساء المتزوجات، تقوم بكل التزاماتها فيها، ومن هذه الالتزامات والنشاطات المنوطة بها الطبخ لأفراد عائلتها الجديدة، وللتأكد من مهارة المرأة في الطهي وحسن تدبير المنزل وللإشادة بحذقها يتكلم الناس قديما على حسن وإتقان المرأة لفتل الكسكسي، حيث كانت المرأة تعد ما يكفيها للشتاء أثناء فترة الصيف، كما

¹ - خلود السباعي، مرجع سبق ذكره، ص 68.

كانت تتعاون مع قريباتها وجاراتها في إعداد كميات كبيرة منه في المناسبات خاصة الأعراس.

من هذا جاء الاهتمام بهذا النشاط الذي يعبر عنه بطقس "قتل الكسكي"، حيث أنه بعد انتهاء المرأة من طقس الحزام تأخذها حماتها إلى المطبخ، هناك تسلم لها عدة إعداد الكسكي والمتمثل في نوعين من الدقيق والماء والقصعة والغرابيل ثم تعمد الحماة إلى ثني ساق العروس وربطها مع فخذها اليمنى بمحرمة رأسها، ثم تعطيها إشارة الانطلاق، فتبدأ العروس قتل الكسكي على مرأى كل الحاضرات اللاتي يراقبن حركة يديها في دورانها وسرعتهما فيحكمن عليها أنها ماهرة أو لا¹.

قديمًا كانت المرأة تنهي عملية القتل إلى آخره حتى تحصل على كمية من الكسكي تكفي لعشاء العائلة، لكن حاليًا تبدأ العروس عملية القتل، لكن في أغلب الأحيان لا تهيئها لأن الكثيرات لا يحسن هذه العملية فتجنبن الحماوات أو الحاضرات الإحراج بتدخل واحدة بقولها: "هاتي عليك إنتي عروسة اليوم، ليام طوال وراح تكسكي نشا الله"²، ويبدل الكسكي حسب مجتمع بحثنا على الكثرة والوفرة في الرزق والخير الكبير والدائم، فكما تتكاثر حبات الكسكي وتشكل كمية معتبرة في كل فتلة من كمية قليلة من الدقيق كذلك يزداد خير ورزق العائلة دائمًا، فكان هذا الطقس تعبيرًا عن ذلك ويمارس ليعم الخير على العائلة أكثر فأكثر وتفاؤلاً بالعروس بأنها ستجلب ذلك الخيرو الرزق الوفير. أما بالنسبة لربط ساقها وفخذها فمن أجل أن تكون مطيعة لأهل البيت وخاضعة لحماتها وتحت سيطرتها لأنها امرأة البيت الأولى، هذا ما جاء في قول الإخبارية رقم (30) التي تقول: "في سبرنا بكري العروس تعقلها عزوزتها يعني تثني ساقها وتربطها مع فخذها بعقال الجمل باش تجي عاقلة وتوخذ رايها وتمشي على كلمتها ولي ما عندهاش عقال الجمل تسلفو وتو عادت لعزوز دير محرمتها لخاطر راح لعقال وعاد ماكانش"³. وقديمًا يقال "تعقل" العروس وقد جاء هذا المصطلح من الرباط الذي يربط به الجمل والذي يسمى بالمنطوق الشعبي للمنطقة "لعقال"، حيث يستعمل في عملية الربط ومنه جاء مفهوم "عقل العروس" وكأنهم يروضونها لتصبح طائعة كالجمل. وقد نتساءل لماذا رباط الجمل بالذات؟

¹ - مادة إثوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - مادة إثوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

³ - مقابلة مع الإخبارية رقم (30)، سبق ذكرها.

حسب رأينا وتحليلنا وبالنظر إلى مواصفات الجمل، وهي الصبر وتحمل المشاق والعطش وهو حيوان غير مؤذ وهذا يحيل إلى المرأة العاقلة الصبورة التي تتحمل الشدائد والصعاب واستقرارها في مكان واحد أي بيتها مثل الجمل الذي يبرك في مكان واحد دائما، ومعروف عليه أنه حتى إذا غاب لمدة وابتعد عن مكانه يعود إليه ولا يضيعه بسبب ألفته له، كذلك المرأة العاقلة الصابرة حتى وإن تعرضت للظلم وقساوة الحياة فهي لا تغادر مكانها أي بيتها.

من خلال ما تقدم نصل إلى أن الكثير من العادات والطقوس في المجتمعات العربية تتشارك وتتشابه في أغراضها وأهدافها بالرغم من اختلافها في الممارسة والظاهر فمثلا نجد أن حب سيطرة الحماة وإخضاع كنفها تمارس في طقوس مختلفة لكن غرضها واحد فكما أسلفنا يمارس "طقس عقل العروس" في مجتمع بحثنا لجعلها مطيعة وخاضعة لحمايتها. ففي مصر مثلا يمارس طقس آخر لنفس الغرض وهو فتح الحماة لرجليها وهي واقفة فوق كرسيين لكي تمر العروس من تحتها إلى داخل البيت وهو رمز لخضوعها لحمايتها ولكي تكون دائما تحت طوعها، كما يعبرون عنه بالمثل المصري الدارج عندهم "تحت رجلين حماتها وتحت طوعها"¹.

بعد إنهاء كل طقوس يوم الحزام، تأتي عادة لعبة العصيدة التي تحضرها والدة العريس بكمية كبيرة أيضا كفال حسن في هذا اليوم لدلالاتها كذلك على رغد العيش، وهي فطور العروس والحاضرات لهذا اليوم بعد فطور العروس من بيت أبيها. وتقدم العصيدة بالدهان المذاب نوعا ما مع السكر. والعصيدة عبارة عن ماء مغلي مملح يوضع فيه قبضات من الدقيق الناعم شيئا فشيئا مع التحريك المستمر و تسوى في الأخير باليد، ولا تستطيع فعل ذلك إلا النساء الماهرات أو كما يقال في مجتمع البحث "النسا لحرابر" لأن درجة الحرارة تكون مرتفعة جدا، وعندما يتكاثف الدقيق ويتماسك ويصبح عجينة طرية تطفئ النار. بعد تناول الجميع للعصيدة تبادر إحدى النساء إلى جعل القليل منها على أنف أم العريس، أو أحد الحاضرات فتفعل الأخيرة نفس الشيء معها ومع أخريات لاسترجاع الكرامة وبسرعة البرق تتسع اللعبة لتشمل كل الحاضرات والحاضرين، فيعمد كل واحد وواحدة إلى النيل من الآخر عن طريق وضع العصيدة في شعره أو على خده، وقد تتخذ اللعبة منعرجا

¹ - فوزية دياب، مرجع سبق ذكره، ص 297.

آخر أحيانا فتشدد إلى درجة الركض والجري ويتحمس الجميع، ومن أهداف اللعبة أن يصلوا إلى العروس ليضعوا لها قليلا من العصيدة على وجهها وهو التحدي الصعب لأن الحضور ينقسم إلى فريقين أثناء اللعب ودون تخطيط منهم فكل واحد أو واحدة تساند شخصا معيناً فيتشكل الفريق تلقائياً. وبالتالي يتطوع فريق لحماية العروس فلا يسمح لأحد من الفريق الآخر النيل منها، ثم يظهر السلطان(العريس) في ساحة اللعب وهو ما يزيد حماس اللاعبات واللاعبين فيتطوع الفريق الثاني تلقائياً لحماية السلطان، ويشكل كل فريق من الذكور والإناث على حد سواء ولا يشترط أن يكونوا صغاراً أو كباراً، لكن نجد أغلبهم غير متزوجين ويشارك في اللعبة عادة ذوي الجرأة أما الخجولين أو الذين يخافون على ملابسهم من أن تتسخ أو تتمزق أحيانا فيختبئون حتى لا تصل إليهم أيدي اللاعبيين، ومهما كان فاللاعبين لا يتركون أحد وشأنه ما عدا كبار السن وأم العروس الذين يحظون فقط بوضع شيء قليل من العصيدة على أنوفهم. يزيد حماس اللاعبيين وتتصعد الأمور إلى درجة اللجوء إلى البيض أحيانا لإنهاء اللعبة حيث تتعب أم العريس في إعداد العصيدة وتطلب منهم أن يكفوا، لكن لا تنتهي اللعبة حتى ينال أحدهم من العريس أو العروس خاصة، حينها يتوقف الجميع ويصرخون صرخة واحدة ثم يصفقون وتزغرد النسوة وينصرف اللاعبيين للغسل وبعضهم يأخذ حماماً خفيفاً ويغيرون ملابسهم.

سألنا المبحوثة رقم(11) عن سبب إعداد العصيدة ولماذا اللعب بها فقالت: "هذي عادة جدودنا نهار لي تنصر العروس نديرو لها فال لخاطر العرسان صبحوا بخير ولاباس عليهم ندوقو منها الناس الحاضرين الكل وحتى في ليامات العادية نديرو لعصيدة ونخرجوها معروف خاصة نهار الجمعة صداقة ودفعة بلاء نطيبوها ونبعثوا لجيران ويوكلوها الناس كي يكونوا جاملين لبرا لخاطر فيها الدقيق وهو نعمة ربي والسكر حلاوة والدهان متاع الخير والرزق. ويزيدو يلعبوا بيها في العرس خاصة الشباب والشابات لي مازالوا ما زوزوش هذي ثاني عادتتا من بكري نديروها باش لعباد تزهى وللبركة على العروس والعريس ومالي الدار ولي ما زوزوش يزوزو"¹ نستخلص من كلام المبحوثة أن هذه العادة قديمة ومتوارثة وبالرغم من مرور السنين إلا أنها مازالت صامدة لميزاتها التهريجية والفرجية والمرح الذي تتسم به، حيث ينتظرها الشباب خاصة ويأتون لبيت العريس خصيصاً في هذا اليوم من أجلها، حيث

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (11)، سبق ذكرها.

يقول لنا المبحوث رقم(20): "أنا ما نحب في العرس غير نهار لي نلعبوا فيه العصيدة نوض بكري ونمشي لدار العريس بالذمة باش نلعب ونزهى"¹. ونجد أكلة العصيدة في بعض مناطق المغرب والتي تعد في نفس هذا اليوم حيث ذكرها أحد الباحثين في الثقافة الأمازيغية في تقاليد العرس بالأطلس الصغير العربي، حيث يقول أنه بعد الاتفاق على الصداق يشرع العدول في كتابة العقد ويكون ذلك على طبق يحتوي على دقيق الشعير والذي تحتفظ به أم العروس لتعد منه أكلة العصيدة يوم صبحية الفتاة².

وترمز العصيدة إلى الخير وتستعمل كرمز لشكر الله ودفع البلاء وإبعاد الشرور، وهي رمز للبركة ودوام الخير وتستعمل للإطعام كصدقة، وهي طعام الوعدة والزرادة في منطقة الدراسة. بعد الانتهاء من لعبة العصيدة يبقى جو البهجة والمرح سائدا إلى غاية منتصف النهار حيث يبدأ التحضير للمسنونة.

4.1.2- المسنونة

الاحتفال بيوم الصباحية وتحزيم العروس من العادات المتوارثة منذ القديم في مجتمع البحث، وهي مليئة بالطقوس المتنوعة والتي تبعث على الدهشة والتساؤل في كثير من الأحيان، تتراقق هذه الطقوس بمظاهر احتفالية تبدأ بسيطة في الصباح وتتطور شيئا فشيئا حتى تصل إلى ذروتها في الليل.

بعد لعبة العصيدة تستمر أجواء المرح والفرح بين الحاضرين، وتوزع العروس على كل من حضر العرس بعضا من الهدايا والمتمثلة في البخور والصابون المعطر والروائح والمناشف وسجادات للصلاة وقطع من القماش وبعض الفساتين وألبسة داخلية وحناء، كل حسب قربه منها ومن العريس وأيضا مكانته الاجتماعية، وتبعا للهدايا والباروك الذي قدمه.

بعد منتصف النهار تبدأ التحضيرات لوليمة المسنونة الكبيرة، حيث توجه الدعوة لكل من حضر العرس نساء ورجالا للحضور، حيث أنه جرت العادة يوم دخول العروس أي الزفاف أن المهنئات والمدعوات عندما يردن الانصراف يتوجهن إلى أم العريس لتوديعها،

¹ - مقابلة مع المبحوث رقم(20)، سبق ذكرها.

² - رشيد نجيب سيفاو، حفاظ المرأة الأمازيغية على تقاليد العرس بالأطلس الصغير العربي سلسلة الندوات والمناظرات رقم 14، المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008، ص 75.

فتوجه لهن الدعوة مجددا ليلة المسنونة بقولها "باش ترجعوا ليلة المسنونة"¹، يفعل المسؤول الأول عن العرس وهو الوالد عادة نفس الشيء مع الرجال لذا يلبي الجميع الدعوة للمشاركة في احتفال نهاية العرس، وليقدموا التهاني للعروسين.

تذبح الذبائح من جديد وتعد وليمة لجميع الحاضرين، حيث في العادة لا يغيب عنها إلا القليل لأن فيها يودع الجميع بعضهم للقاء في عرس آخر. في هذه الليلة يسود الفرح وتعم البهجة والسرور، وكأن العرس يعاد من جديد لأن كل الأمور تمت على خير حيث نجد مجموعة تحضر الوليمة بكل ما يرافقها وتقدم القهوة والحلويات منذ العصر ويستمر حتى العشاء، حيث أن هناك عادات وطقوس أيضا خاصة بالعشاء. وقد ذكر أن العرب قديما كانوا يعدون وليمة ثانية بعد عرض دم البكارة على الأقارب وهذا اليوم هو بالطبع اليوم الذي يلي الزفاف أي يوم صباح العروس والحزام بمعنى أن عادة المسنونة من العادات القديمة جدا ولها جذورها حيث أنه "عندما يتم الزواج، ويكون بعرض دم البكارة على الأقارب ليكون شاهدا على سلامة الشرف، وعفة البنت، يحتفل بذلك بالزغاريد والفرح، وتولم وليمة أخرى يشترك فيها ذوو القرى والجيران والأصدقاء ويرافقها الغناء والضرب على الدفوف، ويتقبل الزوج التهاني"².

تجلس العروس في مكانها المعد والخاص بها في قاعة جلوس كبيرة تتواجد بها أغلب النساء، يبدأ الغناء والرقص وتنطلق الزغاريد وأثناءها تغتتم النساء الفرصة لاختيار زوجات لأبنائهن، كما تعرض الفتيات مهارتهن في المشاركة في إعداد الوليمة وأخريات يستظهن جمالهن من خلال اللباس والرقص والغناء ومختلف الأعمال التي تبرزهن للمتصيدات لفتيات في سن الزواج. في هذه الليلة يقدم العشاء لكل الحاضرين من الرجال أولا ومن العادات والطقوس أن أم العريس تحضر جفنة كبيرة من الكسكسي وفوقها لحم كثير توضع في وسط مجموعة الرجال في قاعة كبيرة يتناولون منها ثم يضعون فيها محرمة خضراء تجمع فيها مبالغ مالية من الحضور وهو "قال" للعروس يشرف على تجميعه وزير العريس ثم يربط المحرمة ويسلمها للوزيرة التي تسلمها مباشرة للعروس هذا من جهة. من جهة ثانية تقوم أغلب النساء بتسليم "القال" للعروس وتهنئها بنصرتها. تأخذ العروس عادة هذا المبلغ وتعطي

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - ليلي صباغ، مرجع سبق ذكره، ص 172.

شيئاً منه لوالدتها ومبلغاً آخر لحماتها وتشتري بالباقي شيئاً يبقى ذكرى لزواجها وفي الغالب تكون حلية ذهبية لأنها تدوم طويلاً. يستمر السهر والسمر إلى أواخر الليل حتى يرهق الجميع فيبدأ إنصرافهم وهكذا تسدل الستارة على عادات وطقوس متكررة ومتجددة في أعراس أخرى.

2.2- مغادرة أم العروس

1.2.2- الزيارة والمتبوع

تكون ليلة المسنونة آخر ليلة لنهاية العرس وبالتالي في صبيحة اليوم الموالي تغادر كل القريبات اللاتي مكثن في بيت العريس ووالديه طيلة أيام العرس، لأنه من العادات الدارجة أن تبقى العمات والخالات والجدات وكل القريبات للمساعدة في أعمال المنزل والقيام بتدبير أمور العرس مع أم العريس حيث يكن ذراعها الأيمن في كل كبيرة وصغيرة كما ينبى عنها في القيام ببعض العادات والطقوس.

يتجهز الجميع للمغادرة فتحمل كل واحدة بعض الهدايا من عند العروس وأخرى من عند والدة العريس، وهي عبارة عن أقمشة ومناشف وسجادات ومحارم للرأس واليدين وخطور وصابون معطر وحناء لهن ولأزواجهن وأولادهن وبناتهن. كما تحظى كل امرأة جاءت إلى العرس وهنأت أم العريس وقدمت "باروك العرس" بقندورة أو قطعة قماش وتكون من النوع المتوسط عادة. كما تحظى قريبات العروس واللاتي رافقنها بذلك أو بمبلغ مالي من عند والدة العريس عند مغادرتهن بعد فض بكارة العروس.

أما عمات العروس وخالاتها ونساء أعمامها وأخوالها وجداتها فيحظين بقطع قماش من النوع الجيد وتسمى في منطقة البحث بـ"المتبوع" وهو ما يتبع كسوة العروس حيث تشتري يوم شراء الكسوة. وهي من الشروط الواجب أن يفي بها العريس لكن يؤجل طلبها إلى غاية يوم الكسوة. أما المتبوع الخاص بأخوات العروس ونساء إخوتها فيكون فساتين جاهزة من نوعية جيدة يظهرن بها ليوم الحزام.

واستقينا بعض المعلومات من مقابلة بعض المبحوثات حول زيارة بيت العريس والمتبوع حيث تقول المبحوثة رقم (17): "نحننا كي نديرو لعراس مالي لعريس يزورو النساء الكل بقنادر عاديين ولي يجو مع العروس تزورهم أم العريس ثاني بقنادر وكاين تو لي يمدو الصوارد، أما خوات العروس ونساء خيوتها والقريبات ليها ياسر كيما عماتها وخالاتها وجدياتها تطلب

ليهم أم العروس قنادر ملاح خاصة بناتها ونساء ولادها لي يكونوا قنادرهم مخيطين وملاح باش يلبسوهم نهار الحزام قدام الناس، والنساء لكل من جهة العروس ولا العريس يدو حوايج من عند لعروس وخاصة قرايب العريس تعطيهم قنادر"¹.

ما نستنتج من كلام المبحوثة أن الهدايا المتمثلة حسب مجتمع البحث في المتبوع والزيارة والباروك والفال تكون متبادلة بين جميع الأطراف المشاركين في العرس سواء كانوا أهل العروس وأقاربها أو أهل العريس وأقاربه وجيرانه وأصدقاءه أي أن دائرة تبادل الهدايا تتسع شيئاً فشيئاً لتشمل الجميع، وهذا ما يؤدي إلى الود والمحبة وقوة العلاقات القرابية والاجتماعية فما تعطيه العروس وأم العريس كهدايا يكون دينا على من أخذته وسيرجعن مثله أو أكثر في زواج أبنائهن وبناتهن، وهنا نعود مرة أخرى إلى دائرة اللانهاية للتبادل فكلما استمرت الدائرة استمرت العلاقات.

بعد يومين من يوم الحزام تكون أم العروس آخر من يغادر، وقبل مغادرتها تقضي العادات أن يشتري لها زوج ابنتها زيارتها بمشورة أمه عادة وتتكون الزيارة حسب العادات من لباس لها وما يلزم للعشاء الذي تحضره في بيتها فور عودتها والحلويات والمكسرات المتنوعة التي توزعها على من يأتي لزيارتها بعد عودتها.

يتمثل لباس أم العروس عادة في فستان (قندورة) من نوع رفيع وخمار ومحرمة وحذاء

وسترة مصنوعة من الصوف، أما ما يلزم العشاء فيكون عادة خروف يذبح حين عودتها وكسكسي، زبيب، حمص، طماطم، زيت، وبعض الفاكهة والخس والزيتون ومشروبات غازية بالإضافة إلى القهوة والسكر والشاي والحلويات والمكسرات². أما في الماضي كما تروي لنا الإخبارية رقم () بأن الأعراس كانت تجري في الريف وكانت العروس في يوم الصباحية تأخذ من طرف أم العريس وأمها وبعض القريبات إلى زريبة الأغنام قبل خروجها فيدخلن هناك أين تقوم العروس بمحاولة إمساك ثلاث رؤوس من الغنم شريطة أن تكون من الإناث وتوزع كالتالي الأولى تسرحها وتعود إلى بيت زوجها، وكأنها هدية منها إليهم لأنها أصبحت من نصيبها في عملية الإمساك والثانية والثالثة تكونان من نصيب أمها وتتنازل لها أمها على

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (17)، سبق ذكرها.

² - مادة اثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

واحدة كهدية منها لها، حيث تعلم هذه الأخيرة بقص أذنها وكل ما نتج من نسلها فهو للعروس يكون ملكا خاصا لها يتصرف في بيعه زوجها بإذنه.

بوفاء العريس بكل هذه الالتزامات تجاه والده زوجته تغادر وهي تدعو لابنتها بالسعادة والهناء وعمارة الدار وتوصيتها بحسن معاملة والدي زوجها ومعاشرة زوجها عشرة طيبة والصبر على مصاعب الحياة وأن تلتزم بيبتها مهما حصل كما توصي والده زوجها بها خيرا.

2.2,2- عشاء العودة

يقوم العريس بإيصال حماته إلى بيتها في عز وفخر فيسلم على أهل البيت الذين يستقبلونه بالفرح والترحاب الكبير، يحتسي القهوة مع رجال البيت ويعطرونه ثم ينصرف. بمجرد وصول الأم وتسليمها على من تركت في البيت تبدأ تحضيرات إعداد العشاء فيذبح الخروف ويشوى جزء بسيط للحاضرين ثم يعد العشاء والمتمثل عادة في الكسكسي، شربة الفريك وبعض الفواكه والسلطة والمشروبات. ومن العادات الشائعة أن يدعو الوالد أقاربه من الرجال لتناول العشاء، وتدعو الوالدة من جهتها النساء وجاراتها اللاتي حضرن العرس وتكون الأولوية دائما للمقربين من حيث الإقامة.

تطرقنا في مقابلاتنا عن البحث في هذه الجزئية وهي إعداد العشاء ودعوة بعض الناس له وحاولنا معرفة إن كان هناك أبعاد لهذه العادة أم أنه مجرد عشاء لتوزيع ما أحضرته أم العروس تقول المبحوثة رقم (25): "أم العروس كي تروح تجيب معاها زيارتها لي هي اللبسة ولحوايح لي يخصو العشاء، طيب العشاء وتعيط لحباباتها وقرابها وقراب راجلها لي يكونوا قراب وحتى جاراتها لي جولها في العرس باش تتعت ليهم واش دارولها دار العريس وثاني حاجة مهمة باش يشوفوا القمجة تاع بنتها لخاطر كاين لي ماراحش معاها، والنساء يجو باش يسفسو على خبارات العرس والعروس في دار العريس"¹.

من خلال ما تقدم في كلام الإخبارية نستخلص أن العشاء الذي تعده أم العروس بعد عودتها له أبعاد وهي التأكيد على نصرته ابنتها وجعل الجميع شهودا على ذلك حتى من لم يحضر ذلك الطقس، وهذا من خلال الدليل الذي أحضرته معها لتحتفظ به وتريه لكل من تزورها إن لم تحضر في بيت العريس. كما يعبر أهل العروس بهذا العشاء على كرم وجود صهرهم ويتفاخرون في الكثير من الأحيان بما جلبت أم العروس إذا كان ما أحضرت قيما

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (25)، سبق ذكرها.

وكثيرا. ولا ننسى بعد آخر وهو أن هذا العشاء فرصة وفضاء لتبادل وسماع أخبار العرس وأهل العريس وتقييم الأم لسير الأمور وصهرها وأهله. أما بالنسبة لدعوة الوالد فتعد بمثابة شكر لكل من حضر عرس ابنته ودعمه وسانده وتضامن معه وكان له عزوة أمام أهل العريس، حتى لو كانوا أقاربه أيضا.

من أجل هذه الأبعاد التي يرمي إليها هذا العشاء تحضر المدعوات والمدعويين فتنصب الموائد فيتعشى الجميع ثم يشربون الشاي، وبعدها تعمد الأم إلى العادة التي تتكرر في العديد من الفرس والمواقف وهي إظهار "القمجة" مرة أخرى لمن رآها ومن لم يرها كالجارات اللاتي لم يذهبن إلى بيت العريس. فترمي بها الأم في وسط الحاضرات فتتلقاها الأيادي وتقلبها وتفتحصها الأعين ثم ترغرد الحاضرات ويهنئن الأم على نصره ابنتها ويدعين لها بالسعادة وصلاح الزواج والذرية الصالحة ويقلن لها "ربي يصلحها في راجلها ويعطيها عمارة الدار أو يعمر دارها" ¹ وأخريات يقلن لها: "ربي يصلحها ويعطيها في حزامها" ² ثم تقوم والدة العروس بإظهار زيارتها للحاضرات كما توزع عليهن المكسرات والحلويات ليحملنها معهن إلى بيوتهن ليذوق منها أفراد عائلاتهم ليفتح الله على من لم يتزوج بعد. كما تخبئ الأم نصيب المقربات منها ومن زوجها من الحلويات والمكسرات لمن تعذر حضورهن حتى يستطيعن الحضور حتى ولو بعد مدة، فإن لم تفعل ذلك تلام ويمكن أن تقاطعها إحداهن.

3.2.2- قصعة الحجابة

بعد مرور سبعة أيام فعلية من العرس ابتداء من يوم الكباش يأتي الطقس الأخير الذي ينهي احتفالات العرس، والذي يجري في بيت العريس، يتمثل هذا الطقس فيما يسمى في منطقة الدراسة بـ "قصعة الحجابة" أو "العراصة" وهي وليمة يعدها أهل العريس لأصحابه، وكما أسلفنا أنهم غير متزوجين أو جديدي العهد بالزواج ولها دلالات رمزية تتمثل في أنها شكر لأصحاب العريس على مرافقتهم له وعلى الخدمات التي قاموا بها من أجله. تعد الوليمة ليلا ويدعى لها إضافة إلى أصحاب العريس بعض الأقارب وأسرة العروس، يقدم فيها الكسكسي بلحم كثير وشربة الفريك والفواكه والمشروبات. وبعد ذلك يقدم

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

الشاي بالكوكاو ويسهر العريس وأصحابه إلى ساعة متأخرة مودعا حياة العزوبية إلى الأبد، معبرا عن سعادته بالحياة الجديدة وأيضا تقل المسؤولية التي تنتظره. في هذه السهرة الأخيرة يتصارع الحجابة ويتمازحون ويغنون ويرقصون ويعبر لهم العريس عن مدى حبه وشكره وامتنانه لما قدموه واعدوا من مازال أعزبا أن يكون له خير صديق ومعين في عرسه.

بخصوص هذه السهرة ومعناها وأبعادها تقول لنا الباحثة رقم (16): "نحننا في الشرعية بعد سبع أيام من العرس نديرو عرضة لصحاب العريس نسموها قصعة الحجابة ولا قصعة العراسة وكاين لي يسميها قصعة لفراق يعني لعباد الكل يتفارقوا وكل واحد يشوف شغالاتو، العريس يفارق صحابو لي كانوا ديما معاه ويدخل حياة جديدة ماشي معنتها يروح عليهم خلاص بصح ما عايش يسهر كيما بكري وبيات لبرا لخاطر عندو مرا تستناه ولازم يستهنا فيها وما يخليهاش وحدها وثاني العروس تفارق ماليها والحياة تاع الدلال في دار بيها، وفي العرضة هذي يجو مالي العروس العيلة الكل باش يشوفو دار بنتهم وفي سبرنا العريس يمد هديات لصحابو من عند العروس كيما مناقش الوجه والريحة وسجادات الصلاة. المهم هديات ملاح"¹.

إن هذه السهرة الأخيرة التابعة لمراسيم العرس فراقا بالنسبة للجميع لذا يطلق عليها أيضا "قصعة الفراق"، فالعريس يفارق أصدقاءه وسهراتهم ولهوهم خارج البيوت إلى ساعات متأخرة وسفرهم لأيام والنوم خارج بيته دون أخذ إذن أحد أو الرجوع إليه. والعروس تفارق أهلها الذين سهروا على تربيته، وتفارق الدلال والنوم في الصباح لتشر على ساعديها للاهتمام ببيتها.

تظهر المشاركة والتضامن الاجتماعي أيضا من خلال الولائم التي تقام على شرف العروسين، حيث بعد انتهاء العرس توجه لهما الدعوات للغداء أو العشاء من طرف أقارب العريس وأصدقاءه وجيرانه، من العادات في منطقة الدراسة أن العروس ترافقها أم زوجها أو أخته أما هو فيكون برفقة الحجابة ووزيره في كل الدعوات، وعادة يكون الجميع من الأقارب حتى يتسنى لهم دخول بيوت بعضهم البعض. وتستمر دعوات الأقارب لمدة على حسب عدد هؤلاء الأقارب وفي العادة يصل متوسط الدعوات قرابة خمسة عشرة أو عشرون يوما.

¹ - مقابلة مع الباحثة رقم (16)، سبق ذكرها.

ويتنافس الحجابة خاصة والإخوة والأخوات من جهة العريس والعروس في تلك الدعوات حيث يحبذ كل واحد أن تكون دعوته هي الأولى أو الثانية إلى غير ذلك. من مجمل هذه الدعوات المهمة هي دعوة أب العروس لها بعد بضعة أيام من زواجها حيث تحضر إلى بيت والدها برفقة حماتها أو أخت زوجها وتبيت الليلة الأولى عندهم، لكن دون حضور زوجها معها في أغلب الأحيان، وفيها يعد عشاء خاص تكون العروس قد أحضرت كل مستلزماته من بيت زوجها لأنها الزيارة الأولى لها بعد زواجها، وهي نفسها التي أخذتها أمها حين عوتها كما تأخذ هي الأخرى هدية معتبرة من بيت والدها بالإضافة إلى مستلزمات عشاء كامل تعده في بيتها يوم عودتها وتسمى "الزيارة" أيضا، وتكون مثل التي أحضرت أو أكثر. كما تحصل العروس على زيارة "هدية" من الذين يدعونها إلى الغداء أو العشاء مع زوجها وتتمثل في مبلغ مالي أو قطعة قماش من النوع الرفيع.

3- الممارسات الاحتفالية والعروض الرمزية

1.3- الغناء والرقص

1.1.3- غناء الفتيات

يحرص مجتمع الدراسة في احتفالات أعراسه أن تكون مرفوقة بالغناء والرقص الشعبي، وهي طقوس إجبارية وضرورية في مثل هذه المناسبة، حيث تمثل الرقصات والأغاني مكونا أساسيا للفرحة والتعبير المطلق والحر على العاطفة وما يدور في وجدان الإنسان، وأغاني الأعراس هي أغاني شعبية ظهرت في أزمنة ماضية درج الناس على استعمالها لفترات طويلة لما تحققه نصوصها وما تلبيه من احتياجات الجماعة ولأنها ملائمة لها ولروحها وتوجهاتها في فترات حياتها المختلفة¹. وتنتقل أغاني الأعراس بين الناس من جيل إلى آخر شفاهة، وترتبط بحياتهم ارتباطا وثيقا لأنها نابعة منهم وتعبّر عنهم، وهي من الفنون القولية التي تخص الرجال والنساء على حد سواء.

أما مواضيعها فتخوض الأغاني الشعبية في مواضيع الحب والغزل، الحروب، العمل، الشوق والأوقات الحزينة أيضا، حيث تعمل على تهيج النفس وبث الحماس فيها وتعطيها الشعور بالفرح والسرور، كما تمنحها السلوى. ومن أبرز وظائف الأغنية الشعبية الاحتفال

¹ محمد عباس إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 79.

بالزواج لأنه إشهار علني عن رابطة إجتماعية هامة في حياة الإنسان¹، وتقوم بدور شحذ الهمم والتنفيس عن الهموم والمتاعب والتعبير عن المشاعر المكبوتة، كما تؤدي وظيفة الترفيه وإدخال البهجة على النفوس وتشجيع الفرح بين المستمعين، ومن مهامها مساعدة الناس على ممارسة الرقص لأنها تنظم الحركات وتوجهها حينما يرقص الإنسان على أنغامها. إذن الغناء الشعبي هو تعبير شعبي بالكلمة واللحن عن واقع الشعب تبرز من خلاله صور بنائه وكما أنه وجد للتسلية واللهو فهو قناة تحمل القيم الحضارية لذلك الشعب وتعبّر عن وجدانه².

وعن الغناء الشعبي الممارس في أعراس منطقة الدراسة فهو زاخر وغني بالمعاني ومحمل بالدلالات والرموز، فهو يمثل ذاكرة شعبية تحمل قيم متوارثة من جيل إلى آخر. في دراستنا الميدانية وحضورنا في الأعراس ومقابلاتنا تحصلنا على أغاني تراثية متنوعة ارتأينا تسجيل البعض منها فهي التي يعبر بها مجتمع البحث عن فرحته وبهجته بالعرس والمواقف والمراحل المختلفة فيه، وأيضا حسب الطقوس الممارسة حيث تنقسم أغاني النساء الممارسة إلى نوعين هما غناء الفتيات الذي يرافقه عادة الرقص، وغناء الطواحي فيما يلي بعضا من أغاني النوع الأول ودلالاته.

يا الحنة يا الحنينة يا المخلطة في السطل نحنو بيها للعريس ونشا الله بدريه طفل
يا الحنة يا الحنينة في الجبل تبـوخ نحنو بيها للعريس والبارود ينـوخ
يا الحنة يا الحمراء في الجبل العالية نحنو بيها للعريس ولد العرش الغالي
وهذه الأغنية خاصة بليلة الحنة سواء حنة العريس أو العروس حيث تضاف بعض المقاطع أو تستبدل بعض الكلمات مثل استبدال "عريس" بـ "عروس" وإضافة المقطع التالي دلالة على حنة العروس.

يا الحنة يا الحنينة في الجبال الشامخات نحنو بيها للعروس زينة البنات
تغنى هذه الأغنية عندما تبدأ حنة العروس أو العريس وتردها الحاضرات مع الزغاريد حتى تنتهي الحناية من وضع الحنة للعروس أو العريس، وأثناء هذه العملية لا ترقص الحاضرات لأنهن يكن مشغولات بمراقبة حنة العروس وكيفية إجراءها.

¹ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص 118.

² الجيلالي الغرابي، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2013، ص 130.

سعدينا ويدوم علينا	سعدينا ويدوم علينا
في عرسو نعمل سهريّة	سعدينا ويدوم علينا
سعدينا حطو القاطو	سعدينا حطو القاطو
لعريس قربع صباطو	سعدينا حطو القاطو
سعدينا حطو الصينيّة	سعدينا حطو الصينيّة
لعريس ممو عينيّا	سعدينا حطو الصينيّة
سعدينا حطو الكراسي	سعدينا حطو الكراسي
لعريس جاب العراسّة	سعدينا حطو الكراسي
سعدينا حطو الحلووى	سعدينا حطو الحلووى
لعريس تزغرتلو سلووى	سعدينا حطو الحلووى
سعدينا ويدوم حياتو	سعدينا ويدوم حياتو
في عرسو جاب خياتو	سعدينا ويدوم حياتو
سعدينا حطو المخدّة	سعدينا حطو المخدّة
لعريس تزغرتلو حوّدّة	سعدينا حطو المخدّة

تغنى هذه الأغنية في بيت العريس وليس العروس، حيث تغنى على لسان أخواته تعبيرا عن حبهن له وفرجهن الكبير بعرضه، ونجد ذكر أسماء في هذه الأغنية إذ تستبدلها المرذدات للأغنية بأسماء أخوات العريس وتغيرن بعض الكلمات تتماشى معها وهذا للدلالة على اختصاص هذه الأغنية بالعريس وأهله.

لالة حبيبة وعليه نـ دور	آي دور دور والخوخ منـ دور
آي يدو بيضاء والساعة ذهب	آي يدو بيضاء والساعة ذهب
جيبولي لسمر والقلب لهـ ب	آي يدو بيضاء والساعة ذهب
لالة حبيبة وعليك نـ دور	آي دور دور والخوخ منـ دور
محرمتمو حمراء في الجيب حريقة	محرمتمو حمراء في الجيب حريقة
جيبولي حبيبي لنروح ضيقة	محرمتمو حمراء في الجيب حريقة
محرمتمو بيضاء في الجيب تلوح	محرمتمو بيضاء في الجيب تلوح
جيبولي حبيبي والباقي يـ روح	محرمتمو بيضاء في الجيب تلوح

أي دور دور والخوخ من—ور
 أي عينو كحلة لفريز ن—وار
 أي عينو كحلة لفريز ن—وار
 جيبولي حبيبي والريق م—رار

تردد مرافقات العروس هذه الأغنية في الحمام، حيث أننا إذا تأملنا بعض كلماتها في مقطع البداية وهو مقطع يردد من حين لآخر، نجد أنها تشد اهتمام العروس إلى نفسها، حيث تصف بعض مناطق من جسدها حيث يشير "الخوخ" إلى النهدين، وبتعبير آخر فإنه في هذه المرحلة تثار في العروس سلوكيات واتجاهات جديدة مختلفة تماما عما كانت أمها تلقنها والتي كان محيطها يغرسها فيها في حياتها الماضية، لكن آن الأوان لإطلاق عواطفها وتشجيعها على إظهار مشاعرها تجاه زوجها ومحبتها له ورغبتها في التواجد معه، والتغني بصفاته مثل شعره وعينه كما جاء في بعض المقاطع

غريتي بيا ويا عذاب—يا
 غريتي بيا سبلت في أهلي
 غريتي بيا سبلت في أهلي
 ناسي وماليا إدوني ن—روح
 يا بحور عنابة والحوت يعوم
 يا بحور عنابة والحوت يعوم
 يا مبهى العرس لوكان يدوم
 يا مبهى العرس لوكان يدوم
 على راس لقناطر ويا عذاب—يا
 على راس القناطر حبيبتو لسمر
 يا زهو خاطر ويا عذاب—يا
 يا ناس أخطوني لنرمي روعي
 في قاع البير حبيبتو لسمر
 في قاع البير ويا عذاب—يا
 شباب صغير ويا عذاب—يا
 يا بحور عنابة والحوت ثم
 يا مبهى الزهو لوكان يتم

تعبّر هذه الأغنية عن حنين العروس واشتياقها لأهلها بعد انصراف الناس وانتهاء العرس، حيث كانت قبله وأثناءه فرحة ومسرورة بحبها لا تشعر بفراق أهلها وأقاربها وبلدتها في خضم تلك الاحتفالات والسعادة، وكأنها تستفيق فجأة لتجد نفسها وحدها غريبة في بلاد بعيدة، لذا نجد الأغنية تحمل في طياتها التحذير من الزواج بعيدا عن الديار والأهل وكما يقال في مجتمع البحث "مزوزة غريبة" أو "برانية" ونجد الناس يعاملونها دائما على هذا الأساس. غير أنه في وسط هذا الشوق إلى الأهل والندم على هذا الاختيار بسبب الحب، تجد هذه العروس من يهون عليها غريتها وهو حبيبها وزوجها.

عمي الصوار إذا جاتك
تصاوير كبار وعاملها يا
عمي النقرين إذا جاتك
معشة وجبين وعاملها يا
تغنى هذه الأغنية من طرف أهل العروس في حضور أهل العريس خاصة، حيث
تنسب إلى العروس صفات الجمال والحسن، وتعتمد المرددات لهذه الأغنية تكرر المقاطع
للفت الانتباه والتركيز على العروس، وتغنى خاصة في بيت العروس.

سافر عزيزي وخلاني	الماني الماني ها الماني
وخلاني حافلة بالقصة	سافر عزيزي لتبسة
والماني الماني ها الماني	قولولو يروح علجالي
سافر عزيزي وخلاني	الماني الماني ها الماني
وخلاني حافلة باللفوار	سافر عزيزي للـدوار
والماني الماني ها الماني	قولولو يروح علجالي
سافر عزيزي وخلاني	الماني الماني ها الماني
وخل ناري لهابة	سافر عزيزي لعنابة
والماني الماني ها الماني	قولولو يروح علجالي

في هذه الأغنية تتأشد الحبيبة بأن يعود إليها لأنها في انتظاره وتعبّر على شوقها
ووجدها به وحبها له بالنار التي تحرقها، وكما نلاحظ بعض العبارات التي تعبّر عن الولاية
التي تنتمي إليها منطقة الدراسة، مما يؤكد على انتماء الأغنية إلى هذا المجال الجغرافي
مثل "تبسة" وأيضاً المفردات المستخدمة مثل كلمة "دوار" ومعناه الريف وأيضاً الإشارة إلى
بعض الولايات القريبة "عنابة"

اللاوي اللاوي ها لميمة	اللاوي اللاوي ها لميمة
تشطح بداوي ها لميمة	اللاوي اللاوي والسمرء
دسي دسي ها لميمة	دسي دسي ها لميمة
تشطح تبسي ها لميمة	دسي دسي والسمرء
في الكميون ها لميمة	في الكميون ها لميمة

للطواحي لأنها أغاني غنية بالمعاني العميقة المعبرة عن مشاعر وعواطف الإنسان منذ وجوده.

• أغنية الافتتاح سبأفت ربي¹

سبأفت ربي والنبي محمد من سبيفا الله لا يتيها
ولا يسو وعاليا مكان وبيت سيدنا محمد
محمد وعلي صلى الله وعلى النبي محمد
اه يا الشبأحي سمشا زرقت في المراحي
زرقت في الكمون وهذا حال لا يدوم
محمد وعلي صلى الله وعلى النبي
محمد أه يا الطاهر ونيابو فضا وجواهر
محمد وعلي صلى الله وعلى النبي
محمد زين التميمة كبر ورباتو حليمة
كبر وعاد صبي صلى الله وعلى النبي
محمد زين البشرى وصحابو عشرة
محمد وعلي صلى الله وعلى النبي
ولادي لجواد ساروا ساروا بلا لفتة
قصدوا مكة الشريفة تعز على ربي

صلى الله و على النبي

• أغنية وجد وعتاب²

منك موظام وحبك درباني طوالو ليام و بابا حناني
أحمل ها الواد وأحمل بالنيلة خالي ما جاش ولد الفميالة
منك موظام وحبك درباني طوالو ليام و بابا حناني
أحمل ها الواد وأحمل بحجارو خالي ما جاش قاعد في دارو
منك موظام وحبك درباني طوالو ليام و بابا حناني

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - مقابلة مع المبحوثة رقم (01)، سبق ذكرها.

هذا جنان مخضر ورفقاتو خالي ما جاش الغربية حرقاتو

منك موظام و حبك درباني طوال وليام و بابا حنانني

أحمل ها الواد و أحمل بالحصبة خالي ماجاش يضرب في القصبة

* * * * *

في هذه الأغنية تعبر المحبوبة عن حبها لحبيبها وتعلقها به وعتابها له لأنه أطال الغياب، كما نلاحظ إشارة إلى علاقة القرى " ولد الفميلة". وأيضا استعمال كلمة " خالي" في النوعين من الغناء ويقصد بها الحبيب أو الخليل وهي كلمة متداولة في الشرق الجزائري حتى في الحديث اليومي كناية على القرب والمحبة.

• أغنية واش دوايا¹

واش دوايا و صغير جاتو الحناية حايولفنا	واش دوايا هامالهيئا واش دوايا و
فيدو ليمة و صغير فارح ديما حايولفنا	فيدو ليمة هامالهيئا فيدو ليمة و
واش دوايا و صغير جاتو الحناية حايولفنا	واش دوايا هامالهيئا واش دوايا و
فيدو قارو و صغير راي شعلت نارو حايولفنا	فيدو قارو هامالهيئا فيدو قارو و
واش دوايا و صغير جاتو الحناية حايولفنا	واش دوايا هامالهيئا واش دوايا و
فيدو شمعة و صغير يبكي بالدمعة حايولفنا	فيدو شمعة هامالهيئا فيدو شمعة و

* * * * *

3.1.3- الرقص

لقد مارست كل المجتمعات الإنسانية الرقص للتعبير عن أفراحها وآمالها وأحزانها وطقوسها وعاداتها، وهو من أهم مظاهر الإبداع الشعبي الذي يحتل حيزا مهما في وجدان الشعوب، ويرتبط الرقص في مجتمع الدراسة بالمناسبات الاجتماعية كالخطوبة والزواج وغيرها من المناسبات، حيث تمثل فضاء لممارسته من أجل التعبير عن المشاركة الجماعية للفرحة وعن روح الجماعة وذاتها وخصوصيتها. وأيضا استهداف التسلية والترويح عن النفس. والرقص ظاهرة ثقافية يختلف باختلاف الثقافات حيث تعبر حركات الرقص وترمز إلى ثقافة مجتمع ما.

¹ - مقابلة مع المبحوثة (01)، سبق ذكرها.

بدأ الرقص قديماً في مراحله الأولى في شكل احتفالات دينية لارتباطها بالقوى الخفية والسحرية، مثل الرقصات التي تقدم فيها القرابين للآلهة والطقوس التي تقام لتقديم الأضاحي، كما مارست بعض الشعوب رقصات لجلب الأمطار وأخرى رقصت رقصات الحروب والصيد التي تحمل قيم سحرية¹. بالإضافة إلى ممارسة بعض القبائل لرقصات معينة اعتقاداً منهم أنها تجلب المحاصيل الزراعية وتطرد المجاعات وأبعاد الكوارث والشرور عنها. كما زاولت المجتمعات العربية الرقص الذي كان مواكبا لها ولتاريخها، حيث عبر عن أفراحها وطقوسها وعاداتها في مناسبات كالزواج الذي تمارس فيه رقصات متنوعة من حيث عدد المؤدين وجنسهم، فهناك رقصات خاصة بالرجال وأخرى بالنساء.

تتمثل رقصات الرجال في مجتمع البحث في تلك التي يقومون بها في سهرية العقد في الرحيبة وهي رقصة جماعية. أما رقصات النساء فتكون جماعية أو فردية في الغالب، حيث ترقص امرأة واحدة في وسط حلقة من النساء وهن يصفقن تصفيقا متتالياً وعالياً يبعث الحماس في الراقصة لأداء حركات تعبيرية بالأيدي والأرجل والبطن والأرداف، ويتزافق الرقص مع الأغاني المرححة ذات الإيقاعات الخفيفة، وما يزيد في براعة بعض النساء في الرقص إيقاع البندير أو الدربوكة الذي يعطي صوته تناغماً بين حركات الجسد والغناء، وما يزيد من حماس بعض الفتيات للرقص الزغاريد التي تطلقها الحاضرات بعد نهاية كل مقطع من الأغنية، حيث نجد من حين إلى آخر واحدة منهن تقفز إلى وسط الحلقة لتظهر براعتها في الرقص. وتعتمد الرقصات على البطن الممتلئ والأرداف حيث تركز عليهم الراقصة المشهورة في مجتمع البحث "رقصة الكرش" أو "الرقصة الشاوية" حيث تقوم الفتاة بدفع بطنها في الاتجاهين يمينا وشمالاً وإلى أعلى فيتحرك في اهتزازات متتالية مع التلويح بالأيدي والوقوف على أمشاط الرجلين من حين لآخر فتشكل منظراً وجواً مبهرًا يأخذ الأنفاس ويأسر قلوب الحاضرات وهي رقصة صعبة نوعاً ما لا تجيدها جميع النساء، لذا تحتاج إلى الملاحظة والتدريب.

¹ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، 1993، ص 130.

2.3- سهرة العقد

1.2.3- الرحية أو الرحابة

نوع غنائي يرافقه رقص جماعي قوامه مجموعة من الرجال تتجاوز الستة يعبرون عن الفرحة الجماعية، يستعمل فيها البندير والقصبة. بالنسبة لهذه التسمية يقول المبحوث رقم(20): "نحن نقول الرحية وكاين لي يقول الرحابة ومعنتها نرحبو بالضياف لي جو للعرس يباركو"¹ أما بالنسبة لطريقة أداءها في مجتمع بحثنا فإن الرجال يصطفون في صف واحد ممسكين بأيدي بعضهم البعض وهم يغنون على إيقاعات البندير والقصبة، وهم ملثمين لمنع الغبار المتطاير بفعل ضرب الأرجل القوي ومن حين لآخر، في بعض المقاطع يبدأ الرجال في التقدم والانحناء ثم تزداد أصواتهم علواً ثم يضربون على الأرض ضربة واحدة مدوية ثم تتوالى الضربات التي تشتد كلما زاد الحماس الذي تغذيه النساء بالزغاريد العالية والقوية جدا وضرب البارود² الذي يعد طقساً مهماً يرافق الرحية وكل خطوات العرس.

يعد ضرب البارود ممارسة احتفالية طقوسية رمزية تجري في مجتمع البحث حين تغادر العروس بيت والديها وحين تهم بالدخول إلى بيت زوجها حيث تتوقف رفقة إختها وبعض أقاربها العاصبين عند عتبة المنزل، فيقوم بعض أهل العريس من الشباب بضرب مكثف للبارود من عدة بنادق وهم واقفون ويحيطون بالعروس، ويوجهون الطلقات إلى الجدران الأمامية للبيت وأرضيتها بحيث تترك آثار سوداء ترمز إلى رد العين الشريرة والحسد، كما ترمز الأصوات المدوية لإطلاق النار إلى تحصين العروس من الأرواح الشريرة والجن المترصين بها عند العتبة وبهذا يشكل ضرب البارود طقس احتفالي رمزي وطقس عبور في نفس الوقت، كما يشكل طقس تحصيني ضد كل الأشياء السيئة³.

بالعودة إلى الرحابة وإلى طريقة أدائها نجد أن الحركات الجماعية تشبه " الدبكة " الشامية، إذ أن الرقصة تتكون من أجزاء أو حركات أساسية تتشابه في أدائها مع تلك التي يقوم بها الرجال في الرحابة وهي القفز إلى الأعلى والدق على الأرض بالأقدام ومسك كل

¹ - مقابلة مع المبحوث رقم(20)، سبق ذكرها.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من ميدان أعراس يوم 28 جويلية، 09 و 25 أوت 2016 و 2017 على التوالي على الساعة 21:00، 21:30، 22:30 على التوالي.

³ - مادة إثنوغرافية مكررة جمعناها من ميدان أعراس أيام 04، 11 و 16 ماي 2016 على الساعات 16:30، 17:00، 18:00 على التوالي.

واحد بيد الآخر وأيضا الغناء المرافق للرقصة. لقد قام بعض الدارسين بإعطائها بعض التفسيرات وهي أن هذه الحركات لها جذور بدائية، حيث يرمز القفز إلى أعلى نمو الزرع وارتفاعه ومن ثم تطور هذا الرمز ليشير إلى علو الهمة، وتشير حركة دق الأرض إلى محاولة طرد القوى الشريرة والإشارة إلى القوة¹ ومن أغاني الرحابة المشهورة في مجتمع البحث نورد مايلي:

• أغنية فرخ الحمام²

يا فرخ الحمام الحمام ويا سكان لبروج تعلا إذا كنتي فهام لجام تعنالي مبرومة الخلة
مبروكة طلبت شرع الله يا بكرة لمراس خد النجمة الفردية سايف ها تراس
قاصد لبلاد بعيدة أعمي الجلاب أسوف للعثمانية خير من لكباش لصفير ليك ولدرع ليا
أعمي محمود أجاري دبار عليا الناس تبات رقود وأنا النوم حرم عليا
أعمي الخياط خيطلي جبة وسورية وسع في لكمام الراقد لعزيز عليا

* * * * *

• أغنية غرد الحمام³

غرد الحمام دير مزية خطار اليوم هابويا توصل لثدا منهوليا ناس هبيلة ما فعلوا خير
يا بيكم ها القراضة يهبيكم وين تتلموا عطيت العربون عشرة لاف قويت المال وديتوه
الشايب دير دبار على وليدك لابي يصبار هلكاتو زينة المنحار زادت على قلبو كية
يا الشايب راني جضيت من طفلة ساكنة في البيت في عقلي راني جضيت الكبدة راهي مقلية
يا الشايب ثور تتعشى وليدك طالب المشية هلكاتو طفلة عيشة زادت على قلبو كية
يا الشايب راني جضيت من طفلة ساكنة في البيت في عقلي راني باصيت زادت على قلبي كية
آه يا همي ناي المهموم لا نرقد لا يجيني نوم على جال الواهمة وفتوم الخيوثة لثنين ملاح

* * * * *

• أغنية غرد الحمام الثانية⁴

غرد الحمام سعاني ها الطير و زيد كلفتك ها ولد أوما ها الموشم زيد

¹ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سبق ذكره، ص 131.

² مادة اثنوغرافية جمعناها من الميدان عرس يوم 22 مارس 2017 على الساعة 21:00.

³ مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان، سبق ذكره.

⁴ مقابلة مع المبحوث رقم (04)، سبق ذكرها.

قالتلي بكر بكري لذراع الحلفاء طاحوش هـناي يعطيهـم تلفة
 غرد الحمام سعاني ها الطير و زيد كلفتك ها مظنوني ها موشم ليد
 قالتلي بكر بكري لذراع الـديس راجل ماهوش هـناي سواق لخميس
 بشر ها البشار بخالي روح لابس القيطان و المسك يـفـوـح
 * * * * *

• أغنية مبروكة¹

مبروكة لبست و خلت وكان فرس القايد و طلت
 حلقة والنبيان والنبيان
 مبروكة لبست جريدي تتفصع ها ربي سيدي
 حلقة والنبيان والنبيان
 عذابي من مبروكة عذابي
 مبروكة لبست جريدي تتفصع ها ربي سيدي
 سفة والنبيان و الحلقة مايلة
 عذابي من مبروكة عذابي
 مبروكة لبست خواتم تتفصع كي فرس الحاكم
 سفة والنبيان و الحلقة مايلة
 عذابي من مبروكة عذابي
 * * * * *

• أغنية أورشان²

أورشان أجمال رد علي صافي النبيان هزنتي وغدت بيا
 النونة النونة وشامك من فوق عيون
 الدل الدل خلخالك مشري بجمال يا فحل الببل أمو ناقة مهريـة
 القاف القاف البيضاء تحت الوقاف فيـدو مخطاف يخطف ما يعطي دية
 أليف أليف خلخالك مشري بوصيف شوشان ظريف يخطف ما يعطي دية

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من ميدان عرس، سبق ذكره.

² - مادة إثنوغرافية من أعراس، سبق ذكرها.

الواد الواد صيفية رن الخلخال هابويا ساف عويشة البيضاء

راني عطشان آه ممييه من ريقك نوخذو شرية

* * * * *

• أغنية أنا محون¹

أنا محون عدت نغني جاني الكيلان بالهيئات مهموم

وقلبها متهني وأنا على السروج نبات

يظهر خيالها مقابلني تطرح بالخطوات

ربي الرحيم تغفلي في السيات بكرة مغفية

غدتلي بين النواجع مالي دبار

أجبرها ها إله عليا وإنتايا كريم الجبار

نفتش ونلوج كل ثنية ونحط في القواعد عند البشار

أجبرها يا إله عليا وإنتايا كريم الجبار

ربي الكريم أغفلي في السيات

2.2.3- الطعام في العرس

تحتل الاحتفالات مكانة مهمة وهي ممارسات متكررة في الكثير من المناسبات الدينية والاجتماعية، وتحمل محتويات ومضامين ثقافية واجتماعية وشعائرية تتجسد فيما يقوم به الناس في هذه المناسبات مثل تقديم الطعام في مناسبة الزواج، كما هو حاصل في كل المجتمعات العربية وكذلك في مجتمع بحثنا حيث يقدم الطعام على مدار أيام العرس دون انقطاع.

ويعد الطعام من العناصر الهامة في الاحتفالات لأن تناول الطعام يعد أمراً رمزياً عالياً فبعض الأطعمة تستخدم للإشارة أو الترميز لمناسبات بعينها كذلك التي تقدم في الأعراس، فتناول الطعام له مضمون رمزي كبير²، إذ أن تناول الطعام ضمن مجموعة أثناء ولائم العرس يحمل مضامين رمزية تتعلق بالتضامن والتآزر والمشاركة، وتوطيد علاقات القرابة والجيرة والصدقة.

¹ - مادة إثنوغرافية من عرس سبق ذكره.

² - فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص113.

فالتعامل مع الطعام يشكل نسقا منظما في ثقافة كل مجتمع من خلال بنيته ومكوناته التي تنتقل من خلالها المعاني، فالطعام ليس مجرد منتجات غذائية تستهلك، بل يمثل نسقا للتواصل بين الناس الذين ينظمون طرق تعاملهم مع الطعام في نسق معين مواز للأنساق الثقافية الموجودة في مجتمعاتهم ثم يضيفون عليها المعاني¹. فأنواع الطعام وطرق تحضيرها وتقديمها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن مناسبة إلى أخرى فالطعام في ولائم الزواج يختلف عنه في حالة الوفاة وفي حالة الولادة وغيرها.

كما أشار الأنثروبولوجيون إلى المواد والأشياء المستخدمة في هذه الاحتفالات، إذ يختلف استخدامها من ثقافة إلى أخرى فالماشية مثلا تتحر وتستخدم في مناسبات معينة في ثقافة ما وتعد مقدسة في ثقافة أخرى لذا لا يسمح باستخدامها أو المساس بها.

بالنسبة لأنواع الطعام المقدمة في أعراس مجتمع بحثنا فهي موحدة إلى حد كبير حيث تشترك جميع الأسر سواء الثرية أو متوسطة الحال في تقديم الكسكسي بمرق أحمر غالبا مع الكثير من لحم الخروف وشربة الفريك المعروفة بـ "الجاري"، وهما الطبقتان الرئيسيان اللذين لا يمكن الاستغناء عنهما، بالإضافة إلى السلطة ونوع أو نوعين من فواكه الموسم والمشروبات الغازية، وهذا ما كان معمولا به في العقود الماضية. لكن حاليا أضيفت إلى مائدة العرس بعض الأطباق وهي "مرقة حلوة" و "الكفتة"، لكن يختلف تقديم هذه الأطباق من يوم لآخر من حيث عدد المرات وفي بيت العروس والعريس. ففي بيت العروس تقدم وليمة واحدة وتكون يوم العقد باستخدام ما أحضره العريس من مستلزمات الكباش، وتتكون أساسا من الكسكسي و "الجاري" والسلطة والفواكه والمشروبات. هذا ما تقضي به العادات حيث أنه لا ينظر باستحسان إلى سلوك زيادة الأكلات في بيت العروس إذ يقال "مد بنتك وزيد مخضة" لأنه في مجتمع البحث لا ينظر إلى زواج البنت بأنه مكسب، لذا فعلى أهلها أن لا يسرفوا في تنويع الطعام، لكن تغيرت هذه النظرة بعض الشيء من أجل السعي إلى كسب ود أهل العريس وإرضائهم وترك انطباع جيد لديهم² والثابت أنها كانت عادة عند العرب قديما أن تقدم وليمة في بيت العروس حيث كانت تجري الاحتفالات بالعرس في بيتي

¹ محمد تركي الربيو، أنثروبولوجيا الطعام في المجتمعات المحلية العربية <http://www.Alquds.Co.uk>

² مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

آل العروس وآل العريس. وإن كانت في البيت الأول محدودة بوليمة لمن وفد من آل العريس¹.

هذا على عكس أهل العريس الذي يعد زواج ابنهم مكسبا وحدثا لا يتكرر حيث تنظم الأسرة عدة ولائم بين غداء وعشاء، فتتحر عدة ذبائح وتكون أول وليمة يوم الركوب لكن عادة يكون العدد أقل من الأيام الموالية، وتقتصر على الكسكسي والجاري والسلطة والفواكه والمشروبات، وهو نفس ما يقدم ليلة المسنونة. أما يوم العقد ويوم " المرواح " أي قدوم العروس فتكون وليمة الغداء والعشاء كبيرتين والأكلات المقدمة أكثر تنوعا وكمية. في هذا الشأن نجد القهوة من مستلزمات وأساسيات استضافة المهنئين والمدعوين، والتي تكون متوفرة في كل الأوقات وفي كل مكان يتواجدون فيه، تجدد باستمرار وتقدم مرفوقة بأنواع مختلفة من الحلويات.

إذا نظرنا إلى ولائم العرب المرافقة لدورة الحياة نجدها خاضعة لبنية تفكيرهم وما يسودها من اعتقاد وما يتبعها من احتفالية، حيث أنها كانت تمارس بهدف إرضاء قوى غيبية أو أبعادها أو تجسيدا لقيم وتحقيق ما يؤمنون به في بيئتهم التي تطلب منهم الكثير لجلب حسن الذكر والمحمدة². بالعودة إلى مجتمع بحثنا نستخلص مما وجدناه في دراستنا الميدانية أن تقديم الطعام في مناسبة الزواج من مظاهر الترحيب بالمدعوين والمهنئين ويحمل معاني حسن الاستقبال والضيافة ويعبر عن الفرح والابتهاج والمشاركة وتوطيد العلاقات، كما يعكس التفاخر والمباهاة فمن يكون طعامه أفضل من حيث النوعية وكيفية التحضير والتقديم وأكثر من ناحية الكمية يكون حديث الناس، ومصدر للفخر وعلو المكانة الاجتماعية.

4- ممارسات طقسية: وظائف ودلالات رمزية

1.4- احتفالية الحنة

1.1.4- الحنة الاختيارية والنقش

يتجلى استعمال الحناء في مجتمع بحثنا في نوعين يمارسان خلال العرس وهما: النوع الأول وهو ممارسة اختيارية تقوم بها العروس في بيت أهلها مع أخواتها وأمها من أجل الزينة من خلال زخرفة الأيدي والأقدام والنوع الثاني هو طقس إلزامي تقوم به بعد العقد وقد

¹ - ليلي صباغ، مرجع سبق ذكره، ص 167.

² - بركة بوشيبية، المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة أنثروبولوجية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر المركزية، السنة الجامعية 2008-2009، ص 171.

عرفت الحناء لدى الإنسان منذ القديم وهي في نظر العرب والمسلمين تأتي من شجرة مباركة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناسبات والأفراح لأنها توحى بالفأل الحسن. للحناء منافع كثيرة ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام "وتتمثل في أنها تعطي رائحة طيبة لمستعملها، وتسكن الدوخة، كما تزيد في شباب المرء وجماله **ونكاحه**، وأن الملائكة تستبشر بالتخضب بالحناء¹. وللحناء فوائد صحية حيث تستخدم كوصفة علاجية لبعض الأمراض كالتهابات فروة الرأس وإزالة قشرتها، وتمنع تشقق الجلد وتمنحه القوة.

أما من الناحية الجمالية فالحناء تصبغ الشعر وتغذيه وتمنحه لونا براقاً يزيد من جماله وينعكس نوره على بشرة الوجه. وقد جرت العادة في مجتمع بحثنا أن الحناء تستعمل في مناسبة الزواج لكي تزين بها العروس يديها وقدميها وتتفنن في نقشها ورسمها حتى تزيد من جمالها، وتكون هذه العملية يوم الكباش ليلاً حيث تعمد أخواتها أو قريباتها إلى تزيين يديها بالكامل ورجليها مع النقش، وهي عملية اختيارية هدفها زيادة جمال العروس، لكننا لاحظنا أنها ضرورية عند كل عروس وأهلها ولا يتخلون عنها، حيث ترسم على يديها رسومات ونقوش جميلة متناهية الدقة. وهناك العديد من النماذج لنقش الحناء، حيث نجد حناء كثيفة النقش وتعطي اليدين بشكل كبير وهناك حناء تتركز نقوشها في أماكن معينة على اليدين مع ترك مساحات فارغة يظهر منها الجلد الأبيض متناغماً مع لون الحناء البني أو الأحمر الداكن. كما تفضل بعض العرائس النقوش التي تزين أصابع اليد وتمتد إلى المعصمين وحتى الذراعين لتعطي لفظة خاصة. وتتميز النقوش بالرسومات الصغيرة والكبيرة أيضاً، وهي نقوش مستوحاة من الطبيعة و تتمثل في الورود والأزهار والطيور وغيرها، وتزين القدمين أيضاً بالحناء مع النقوش الجميلة التي تمنح إطلالة مميزة وجميلة للعروس خاصة عندما ترتدي معها الحلي أو مع فستان الزفاف الأبيض. وبالنسبة لألوان الحناء فإن العروس وأهلها يستخدمون الحناء ذات اللون الأحمر الداكن أو البني القاتم لكن لا يستخدم اللون الأسود أبداً بالنسبة لهم حيث أنه يرمز إلى الحزن وينظر إليه أنه فأل شؤم في مجتمع البحث.

2.1.4- رأسمال رمزي مقابل رأسمال اقتصادي

النوع الثاني لاستعمال الحناء هي طقس إلزامي تقوم به العروس والعريس كل في بيته بعد عقد الجماعة، هذا إضافة إلى طقس آخر مرافق له وهو قيام واحدة من المرافقات للكباش

¹ - الجليلي الغرابي، مرجع سبق ذكره، ص 10.

التي تبيت عند العروس بوضع الحناء على كامل قدم العروس اليمنى وتربطها إلى الصباح، وتحنى القدم اليسرى ليلة دخولها بيت زوجها وهو طقس ضروري لكن يجري على انفراد مع المكلفة بذلك فقط. كما يوضع للعروس بعد العقد القليل من الحناء في راحتي يديها اليمنى واليسرى مع وضع حبة اللوز فوق الحنة في كل يد، لكن هذا الطقس علني وبحضور الطرفين وهما عائلة العريس وعائلة العروس، من هنا تعد طقوس الحناء جزءا مهما في مجموع الطقوس الاحتفالية التي ترافق الزفاف في مجتمع بحثنا، حيث أنها لا ترمي إلى بعد تزييني، لكنها تأخذ أبعاد رمزية وربما سحرية تمنحها نوع من القداسة.

من الأمور الملاحظة في ليلة حنة العروس أنها ترافقها عادة " وضع الباروك " النقدي للعروس بعد وضع الحناء ويرافق هذا التبراح أي الإشادة بما قدم ومن قدم، وأيضا الاسترسال في مدح العروس وذكر خصالها الحميدة وبحضورنا في عدة أعراس سمعنا العبارات التي تتناولها البراحات وهي عادة وهن عادة شخصيات مرحة تتمتعن بسرعة البداهة والطرافة في هذا المقام فقمنا بتدوينها حيث تقول إحداهن " قول عليها يا صفيح وما تعرفشي في لي قالوا قصتها سودة زنية والسخاب على صدرها مال، ما عطيت وما رميت غير على فلانة بنت فلان ...وتذكر خصال من رمت والعروس" ¹ ولتزيد البراحة في حماس الحاضرات لإعطاء الباروك ولتحسس من لم تعطي بصغر قيمتها وتدفعها إلى تدارك الأمر إلى درجة إثارتها فنجدها تستلف من عند الحاضرات أو تهول مسرعة إلى زوجها لتتقذ نفسها من المعاني التي تحملها عبارات البراحة والتي تقول: " ناس الهمة ما ينسوا همتهم لو يبقوا في الدار حبوس وناس الشحنة ما ينسو شحتهم لو كان يديرو من الذهب برنوس ما عطيت وما رميت غير على فلانة... " ² وتقول أخرى " في خاطر منة ومنة والخلخال فوف الحنة وفي خاطر منة ومنهيه والسر من يكميه ما عطيت وما رميت غير على ... " ³ وما يزيد الحماس في هذه العملية زغاريد النساء بعد التبريحة وتكون عملية "إعطاء الباروك" ليلة حنة العريس أيضا مع التبراح أحيانا ويقال في منطقة الدراسة "حط الباروك".

في بحثنا عن معاني ودلالة هذه العادة وجدنا أنه في محافظة السويداء بجبل العرب كانت في الماضي تمارس عادة مشابهة تسمى "الشويشة" والذي يقوم بها يطلق عليه

¹ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

³ - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

"المشوبش" حيث أنه بعد تسليم العروس لعريستها عند الباب تبدأ عملية تقديم النقوط إلى وصيفة العروس أو والدتها فيعلن المشوبش عن اسم الذي قدم النقوط بأعلى صوته قائلاً: "خلف الله عليك يا فلان... ومحببة براس أقاربك أو والديك. وإن شاء الله نردها عليك بالأفراح..."¹ ويكرر ذلك لكل من يدفع النقوط أو الباروك.

تسمى هذه العملية في مجتمع "عبيد بن عبتن" بتونس في احتفالات أعراسهم "الرمو" أي "الرمي" أي وضع أو إعطاء وهي عملية يتكفل بها شخص ذو شخصية مرحة لا يثير قلق المدعويين وله قدرة على انتزاع الأموال من الحاضرين بطريقة تعتمد النكتة والطرفة. حيث يبدأ هذا الشخص والذي يسمى "البحري" عملية "الرمو" على "السلطان والسلطانة" أي العريس والعروس ويكون من يقدم المال أولاً أخ العريس الأكبر أو أحد أقاربه الذين يجازى بزغردة من النساء. ثم تنتقل عملية "الرمو" إلى الأجنب الذين يشكلون قبائل بعيدة في قرابتها الدموية من صاحب العرس. وتكون العملية بجمع العائلات والعروش نفسها ويبدأ ذكر أسمائهم من الكبير إلى الصغير، وتقوم كل امرأة بزغردة على أفراد العرش الذي تنتمي إليه أو تربطها قرابة دموية، وتكون الزغردة متواصلة ومرتفعة لمن كان من أعيان العرش وضعيفة للأفراد البسطاء الذين لا يملكون مكانة اجتماعية². وهناك استثناء لهذه القاعدة حيث أنه إذا قام فرد غير معروف ومهمش بدفع معلوم مرتفع فإن النساء مجبرات على الزغردة له بصوت مرتفع بغض النظر على مدى قرابتهن لهن، لكن هذه المكانة الرفيعة بسبب الدفع المرتفع تبقى وقتية ويبقى الانتماء للعرش هو المحدد الأساسي في هذا الحفل³. كما يتجلى هذا في مجتمع بحثنا عندما يتعلق الأمر بالرحابة الذين يكونون عادة من أقارب العريس حيث أن النسوة حينما يتعرفن على أصوات من يغني في الرحبية ومن يضرب البارود تزغرد له قريباتهم كثيرا وبصورة مستمرة حتى نهاية الاحتفال. إذا تحيلنا عملية "التبراح" إلى دلالات عميقة ترمز إلى مكانة الفرد وانتماءه ومركزه وقيمه لدى الجماعة، كما يبرز لدينا تبادل بين رأسمال رمزي وهو عبارات المدح وذكر الخصال

¹ عطا الله الزاقوت، مرجع سبق ذكره، ص 39.

² محمد الهادي الجويلي، مجتمعات للذاكرة، مجتمعات للنسيان دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء في الجنوب التونسي،

سراس للنشر، تونس، 1994، ص ص 124 - 125.

³ المرجع نفسه، ص 126.

الطبية والأسماء وبين رأسمال اقتصادي وهو ما تحصل عليه العروس أو العريس من نقود تتمثل في الباروك.

3.1.4- حراسة العروس ووظائف المرافقات لشاة الحلال

لا يسمح للعروس بالخروج من بيت أبيها منذ أن تحضر شاة الحلال هذا ما تقتضيه العادات منذ زمن الأجداد، في محاولة منا لإيجاد تفسير لهذا قالت لنا الإخبارية رقم (04): " بكري إلي يعطي الطفلة برضايتها ولا بلا رضايتها معنتها ما يشاورهاش وكي يقرب العرس ما عادش يخلوها تخرج لا تهرب إذا كانت ماشي راضية، ديما تعسها أمها وفي نهارات العرس يكونو لاتيين وقادر تغفلهم وتهرب وديرلهم العار هذا علاش مالي لعريس بيعثو زوز نساء يفعدوا معاها ديما ويكونو كي ظلها وين تتحرك يتحركو"¹.

وتضيف الإخبارية رقم (03): "هاذوك النساء يعسوا العروس وما يخلوش الرجال يشوفوها حتى القراب ليها وهوما لي يدوشوها ويلبسولها الكسوة تاعها ويحنولها في الليل ويجيبولها ماكلتها وأي حاجة تستحقها وبكري خلاص كيما تحكيلي جداتي كانو النساء هاذوما لثنين يمشطو ويزينو لعروس ويقومو بيها حتى تروح لدار راجلها وتعطيهم أم العريس وبيو هدية كبيرة كي يجيبوها، والنساء هاذوما في زوز يكونو من النساء المقدرات وكبار ويعرفو كلش"².

مما تقدم نستخلص أن المرأتين المرافقتين لشاة الحلال لهما وظائف ومهام تسند لهما حيث أنهما تحرصان العروس وتقدمان لها كل الخدمات التي تلزمه، وكأنهما وصيفتان تعملان على تلبية طلباتها وعلى العروس احترامهما وعدم التصرف بطيش أمامهما لأنهما تسجلان عليها كل ما تقوم به فيكون ذلك لحسابها أو ضدها، لذا عليها أن تكون لبقة وتتصرف بلياقة في حضورهما وعلى أمها إكرامهما من حيث المأكل والمبيت.

2.4- ممارسات وطقوس مرافقة لشاة الحلال

1.2.4- القيمة الإعتقادية لمرآة الكبش

أما فيما يخص المرآة وقطعة النقود التي توضع في فم الكبش فتسلم إلى العروس فلا تفتحها إلى يوم الغد حيث تفتحها وتضعها في حجرها وتنتظر فيها كل الوقت وهي جالسة في

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (04)، سبق نكرها.

² - مقابلة مع الإخبارية رقم (03)، سبق نكرها.

مكانها المعد لها، والذي لا تغادره طيلة يومين حتى تذهب إلى بيت زوجها، أما قطعة النقود فتخبئها في جهازها لعدة سنوات أو تعلقها كما في القديم حيث كانت تثقبها وتعلقها في حزامها حتى ترزق بالذرية والمال، تقول الإخبارية رقم (02): "في المسرورة متاعنا نديرو مارية وخمسميات فرنك في فم الكبش وشوية سكر باش تجي العشرة بين المرا والراجل حلوة ومليحة أما المريا نعطوها للعروس تحطها في حجرها من نهار العقد حتى تروح لدار راجلها حتى ثم تفعد تخزر فيها وما تهزش عينيها للغاشي ل خاطر عندنا عيب كي تهز العروس عينيها وتبقى تخزر في العباد يعايروها النساء يقولو فلانة ما حفلتس وما ذبلتس عينيها، المسرورة هادي كانو جدياتنا وماتنا يديروها من بكري وقعدنا نحنا نديرو فيها، والخمسميات فرنك تعلقها العروس في حزامها باش ينوب عليها ربي بالذرية والمال. ولي ما تحبش تخبيها في بتاتها"¹.

في تحليلنا لكلام الإخبارية نجد أن ما كان يمارس من طقوس مع الكبش في الماضي لازال حاضرا بقوة إلى اليوم، لكن نفهم من كلامها أنهم كانوا ومازالوا يمارسون هاته الطقوس دون معرفة فائدتها أو أهدافها، فمثلا تلك المرأة التي كانوا يضعونها في فم الكبش والتي تسلم إلى العروس لتتظر فيها طيلة الوقت فهدفها أن لا تتشغل بالحضور فهي أداة تلهيها عن النظر إليهم أو تبادل الحديث مع أي كان لأن والدتها أوصتها وحذرتها من فعل ذلك لأنه يعد في مجتمع الدراسة من الأمور المستهجنة جدا والغير لائقة، وهي التفسيرات التي تحصلنا عليها من كلام المبحوثات لكن في الحقيقة هو أن العروس تحذر من الكلام مع الناس حتى لا يتعرفوا إلى شخصها جيدا ولكي لا تفشي أسرارها ساعة الفرحة التي تتسيها التكتم والحرص، وحتى يلاحظ النساء خاصة قريبات العريس حياءها ويحكمن عليها بأنها "عاقلة" والمرأة هي التسلية الوحيدة حتى لا تضجر ولا تمل.

لكن يقال للعروس بأنه يجب أن تكون "حافلة" أي تطأطئ رأسها طيلة الوقت وتتنظر في تلك المرأة وإلا فإن ذلك يعود عليها بالمشاكل وسوء الحظ فيكون إيمان واعتقاد لدى العروس في قوة تلك المرأة عن طريق النظر إليها طيلة الوقت، حتى أنه إذا حدث وانكسرت المرأة عن طريق تخبط الذبيحة فإن ذلك يدخل الفرع والانزعاج لدى العروس وأنها لأن ذلك يترجم غالبا حسب مجتمع الدراسة بالطلاق وفساد الأمور بين العائلتين.

¹ - مقابلة مع الإخبارية رقم (02)، سبق ذكرها.

2.2.4- طقوس طهي الكبش واقتسام الرأس

بعد ذبح الكبش يجهز لحمه لتعد منه وليمة الغداء لأهل العريس وكل الذين يحضرون في بيت العروس من أجل عقد الجماعة، حيث يتغدى منه الجميع. وتحفظ أم العروس ببعض أجزاء الكبش لأن لها طقوس خاصة للطهي والتوزيع، حيث تحتفظ بالرجل اليمنى والتي تكون طهيت مع الأجزاء المعدة لغداء الجماعة. كما يختص الرأس والأرجل بطقوس طهي تجري ليلاً حيث تعمد أم العروس إلى غسل الرأس وتنظيفه دون سلخه ثم تقوم بحشوه بالقمح الذي يرمز إلى الخصب وحبّة حلاوة التي ترمز إلى حلاوة العشرة والحياة الزوجية ويوضع معه الأرجل.

في صباح اليوم الموالي تدعو العروس صديقاتها وقربياتها لحضور طقس الاقتسام ويحضر هذا الطقس وتمارسه العازبات فقط حيث يشترط أن يوضع في قصعة (جفنة) مصنوعة من الخشب وتقوم العروس بقسمة الرأس على إثنين في وسط زغاريد الحاضرات، ثم تتناول قطعة من اللسان والعين اليمنى وجزء من بقية الرأس، ثم تتدخل صديقاتها فتتناول كل واحدة قليلاً منه مع الأرجل ما عدا الباقي من اللسان والعين اليسرى اللذين يوضعان مع الرجل اليمنى التي احتفظت بها الأم. يوضع الكل في محرمة خضراء ويرسل في نفس اليوم إلى العريس مع أخته أو والدته والتي تعيدها وهي مملوءة بالعمود والمكسرات والحلوى من عند العريس. يتناول العريس اللسان والعين وحده لكن يقتسم الرجل مع أصدقائه. في سؤالنا عن معنى ذلك كله تقول الباحثة رقم (08): في عوايدنا نديرو السبر هذا باش المرا تبقى محضية في عين راجلها والراجل يبقى محضي في عين مرتو وباش هي تتكلم بلسانو وهو يتكلم بلسانها"¹. وتقصّد الباحثة بأن لهذه الطقوس دلالة ورمزية حيث يمثل أكل العين بالنسبة للعروسين في اعتناء كل واحد منهما بالآخر ونيل حظوة لديه لما للعين من قيمة لدى الإنسان، كما يعبر الاشتراك في أكل اللسان عن التفاهم وكأن الاثنين يتكلمان بلسان واحد، أما اشتراكهم في أكل الباقي مع الأصدقاء هو التمني لهم بالزواج القريب أي أنه فآل خير لهم ومشاركة في طقوس العبور.

¹ - مقابلة مع الباحثة رقم (08)، سبق ذكرها.

3.2.4- الممارسات التحصينية

يتخوف أفراد مجتمع الدراسة في مناسبة الزواج من أمور كثيرة ويعتقدون في قدرتها على إلحاق الأذى بالعريس أو العروس وتأثيرها عليهما عاجلا أو آجلا. وقد لاحظ باخ Bach أن الاعتقاد بزيادة الأذى والشور وتزداد خطورتها خاصة في فترات الانتقال من حالة إلى أخرى كالميلاد والزواج وتعاقب فصول السنة¹. تتمثل هذه المعتقدات في التصور الشعبي لمجتمع البحث في مدينة الشريعة في عدة أشياء أولها الاعتقاد بوجود مخلوقات غير مرئية والمتمثلة حسبهم في الجن الذي يمكن أن يلحق الأذى بالإنسان من خلال التعرض للسحر، الذي يتم بواسطته وعن طريقه فيتلبس الإنسان لأنه خادم الساحر فيسبب له الكثير من المشاكل أو التعرض لأذاه عن طريق المرور على مكان نجس أو الجلوس على العتبة خاصة أو المرور على دم أو قشور البيض. كما يعتقد أفراد مجتمع البحث في العين الشريرة والضارة التي يمكن أن تلحق الأذى بالعريس أو العروس.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هناك اعتقاد راسخ في الثقافة الجزائرية بصفة عامة وهو الإيمان بالتأثير الضار للنظرة ومشاعر الحسد التي ترافقها لدى بعض الناس لأفراد يتمتعون بالصحة الجيدة أو الأملاك أو الذرية الصالحة² إلى غير ذلك ويرتبط الحسد بالعين، فالحاسد يتمنى زوال النعمة على الذي يحسده وينظر إليه بنفس خبيثة ملؤها الحقد والغل ويرغب في إمتلاك ما يملكه. كما يعتقد مجتمع الدراسة في الممارسات السحرية التي يقوم بها الحاقدين على العريس أو العروس أو الذين يريدون الانتقام منهم بحجة إعراض العريس مثلا عن الزواج بامرأة معينة أو رفض العروس رجلا تقدم لخطبتها فيقوم ذلك الشخص بربط العريس ليلة دخلته حتى يصبح غير قادر على فض بكارة عروسه، خاصة إذا كان الرفض في الأقارب، أو قد تتعرض العروس إلى عملية ربطها عن الإنجاب لمدة معينة أو قطع نسلها نهائيا.

في هذا الشأن يتبين بعض الباحثين الجزائريين أن هناك ثلاث خطابات حول السحر في الجزائر، وهي الخطاب الديني الذي يتخذ من الإسلام مرجعا له لصياغة موقفه من

¹ مرفت العشماوي عثمان العشماوي، مرجع سبق ذكره، ص 213.

² إسماعيل قيرة وعبد الحميد دليمي وسليمان بومدين، التصورات الاجتماعية ومعناه الفئات الدنيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، د.ت، ص 87.

موضوع السحر حيث يميل الموقف الديني إلى أن الممارسات السحرية محرمة تحريماً قاطعاً، ويرى آخرون أن له تأثير فعلي ودليل ذلك تعرض الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للسحر. ومنه فإن ممارسات إزالة السحر مباحة. أما الخطاب الوثني الذي يصوغه السحرة وزبائنهم وهو الإيمان بحقيقة السحر وفاعليته ومن ثم تعاطيه، أما الخطاب العقلاني فيحيل المعتقدات والممارسات السحرية إلى ضرب من اللاعقلانية والابتعاد عن الواقع¹. من أجل هذه الأسباب فإن كلا من العريس والعروس يلجأ إلى طرق تحصينية واحترازية تبتعد عنه الأذى وتجعله في منأى عن أعين الحاقدين والحاسدين والسحرة.

لذا نجد الأمهات خاصة يقمن بعدة ممارسات شعبية لوقاية العروس والعريس من الحسد والعين والسحر والجن. من الممارسات والإعتقادات التي يؤمن أفراد مجتمع البحث بها إيماناً قاطعاً أن الجن يخاف من عدة أمور، مثل وضع المصحف في حجر العروس أو بجانبها أو عند رأسها أو حمله في جيب العريس والملح والشب وتلاوة القرآن. ومن أجل ذلك تقوم أم العريس أو العروس بإذابة الملح في الماء وترش به البيت خاصة غرفة جلوس العروس أو الغرفة المقرر أن يسكن فيها العروسين كما يوضع على النار حيث ترمز فرقعاته إلى طرد الشياطين والأرواح الشريرة والجن، كما أن هناك رمزية الاحتراف للعين الحاسدة وإذا حصل وتوعدت العروس أو العريس فإن أمه تلجأ إلى أخذ قطعة من الشب وتمررها على مكان الألم سبع مرات ثم تضعها على النار مدة معينة ثم تقوم بقراءة ذلك الشكل إن كانت عارفة أو تعرضه على إحدى العجائز العارفات بهذه الأمور ثم تقوم بسحقه ووضعها في الماء وتسكبه في البالوعة ليأخذ كل شر وحسد معه. وكان العرب قديماً عند وصول العروس إلى بيت زوجها تذبج عدة ذبائح لإرضاء الأرواح الشريرة وطردها ويقال بأنها ذبائح الجن²، كما يلجأ الكثير إلى الرقاة ليقروا عليهم بعض الآيات ويمنحهم بعض الماء لشربه والاعتسال به من أجل التحصين من أعمال السحر والجن. وتوخى للعين والحسد يتبع العروسين وأهلها نظاماً وقائياً احترازياً يتمثل في العديد من الوسائل والأساليب منها ترديد عبارات كتعاويذ لدرء الحسد كقولهم "خمسة في عينين الحسود" أو "خمسة في عينيك" أو "عين الحسود لا تسود" مع توجيه أصابع اليد الخمسة إلى الشخص المقصود حتى ولو

¹ - إسماعيل قيرة وعبد الحميد دليمي وسليمان بومدين، مرجع سبق ذكره، ص ص 96-97.

² - ليلي صباغ، مرجع سبق ذكره، ص 167.

خفية، ويعتقد مجتمع البحث في نجاعة هذه العبارات في إبعاد عين الحاسد ورد شرها على صاحبها. ويرى إيفانز بريتشارد Evans Pritchard " أن التعويذة هي مخاطبة العين الشريرة، وتصحبها بعض الشعائر والطقوس المرتبطة بها" ¹. وهو ما يتفق في مجتمع البحث في ممارسات وقائية أخرى وهي حرق البخور في بيت العروسين على مدار أيام العرس خاصة ليلة الدخلة في غرفتهما الخاصة وترديد بعض العبارات المتداولة يوميا مثل "ياربي بعد عليهم عين الحساد" و"عين الحسود فيها عود" أو "عين الحسود فيها عود فيها الملح والبارود". ويقابل هذا في بعض المجتمعات الريفية في مصر بنثر الملح وترديد عبارة "الملح الفاسد في عين الحاسد واللي يبص لك برداوة تتحط على عينه غشاوة، يكفيك شر النفاثات في العقد، وشر حاسد إذا حسد". في هذه التعاويذ والرقى يؤمن الناس بقوة الكلمة التي تقال، خاصة إذا كانت مصاحبة لبعض الطقوس المتوارثة. كما تسود عادة نثر الكمون الأسود في كل غرف بيت أهل العريس والعروس خاصة وبصورة ملفتة للانتباه حيث تلاحظه العين فوق الزرابي وفي كل أرجاء المنزل. وهي عادة متوارثة يعتقد ممارسوها في قوة هذه المادة في درء العين والحسد.

كما تستعمل بعض الحلبي الذهبية كالخمسة أو العين أو قطعة على شكل " قرن فلفل حار" للحماية من العين ودرء الحسد لما للعدد خمسة من رمزية والفلفل الحار، الذي يرمز إلى احتراق العين وعدم قدرتها على الرؤية. أما ما يعرف باليد ذات الأصابع الخمسة ويعتقد أنها رمز لحماية الإنسان لأنها عضو الحركة والعمل وترمز إلى القوة. كما يتجسد استعمال هذا الرمز في وضع الأم ليدها في الحناء ثم طبعها على مدخل البيت أو الغرف وهي بمثابة تحصين ورد لعين الحاسد حتى أنه أصبح مجرد توجيه اليد مفتوحة في عين من يشك فيه ردا لعينه. كما أن هاته الأشياء يمكن أن تكون تحف للزينة وهي " أشياء فينيشية " يربطها البعض في أعناقهم (...). لتوجيه أول نظرة إليها، لأنه يسود تصور شعبي مفاده أن "الفيتيش" يمتص العين. ² كما أن أفراد مجتمع البحث يسود لديهم اعتقاد في جدوى ونفع الأحجية التي يطلق عليها " الحروز" ويختص بكتابتها شخص يطلق عليه " الطالب" ويكون عادة شخص يحفظ القرآن حيث يقوم بكتابة بعض الآيات القرآنية في قصاصات من الورق، وهي عادة

¹ - إسماعيل قيرة وعبد الحميد دليمي وسليمان بومدين، مرجع سبق ذكره، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

سورة الفلق والناس وآية الكرسي وبعض أسماء الله الحسنى كما يرسم فيها بعض الأشكال وهي عبارة عن طلاسّم.

إذا تعذر أو تعسر على العريس فض بكاره عروسه يعزى ذلك إلى ربطه لجعله غير قادر على أداء دوره الجنسي في تلك الليلة، فيسبب ذلك القلق والتوتر لدى العائلتين ويضع العريس في موقف حرج يفسر بضعفه الجنسي، هذا ما يؤدي بأهله إلى الاستتجاد بأشخاص يفكون هذا السحر، فيكتبون بعض التعاويذ لفك الربط مقابل مبالغ مالية كبيرة لمعرفةهم بالحاجة الماسة إليه.

والملاحظ أن هذه الممارسة تخلط بين الدين والسحر للتأثير على الناس وجعلهم يؤمنون بفاعلية ما يقومون به لأن الدين من الأمور الأساسية ذات القيمة العليا عند كل مسلم وأي شيء مرتبط به يكون مقدسا، وله قيمة لذا يلجأ الدجالون إلى إضفاء الصبغة الدينية على أعمالهم من خلال كتابة آيات قرآنية في الأحجبة والحروز التي يكتبونها للناس ويتكلمون باسم الدين لذا نجد الشخص الذي يحمله يحس براحة نفسية فيتغلب على توتره وضعفه وتعود المياه إلى مجاريها.

3.4- بتات العروس (الجهاز)

1.3.4- اللباس والحلي

يتمثل جهاز العروس في مجتمع البحث في قسمين هما اللباس الخاص بها والحلي وبعض أثاث ولوازم المنزل، واللباس هو أحد مقومات كل مجتمع لأنه يعكس خصائصه ومميزاته الاجتماعية والأخلاقية لأن المظهر له صلة وثيقة بالشخصية وهو عنوان على ذات الفرد وانتمائه إلى ملة دون أخرى وإلى أمة دون غيرها وإلى طبقة اجتماعية معينة، "فالثياب تخبئ الجسد لكنها تكشف عن صورة الجسد الاجتماعي"¹. ولللباس وظيفة الحماية وستر العورة ووظيفة جمالية تزيينية وأخرى رمزية تعبر عن تقاليد وعراقة مجتمع معين. ويمثل جهاز العروس وما يطلق عليه في منطقة الدراسة "البتات" أمر بالغ الأهمية تفكر فيه الأم بصفة خاصة منذ أن يشتد عود ابنتها وتصبح مؤهلة للزواج وهو في مجتمع البحث اللباس والحلي الذي تقتنيه وبعض لوازم المنزل². أما لباسها فيتمثل في العديد من الفساتين اليومية

¹ - صوفية السحيري بن حتيرة، مرجع سبق ذكره، ص 118.

² - مادة إثنوغرافية جمعناها من الميدان من خلال المعايشة.

التي تلبسها في بيتها وتسمى " فنادر الدار " وفساتين تشتري جاهزة وهي خاصة بالمناسبات وتتنوع بين التقليدية والعصرية كفساتين السهرات التي تواكب الموضة لكن الغالبية تكون فساتين من مناطق معينة من الوطن مثل المنصورية والققطان والفساتين الصطايفية والجببة القبائلية ويتركز الإهتمام على فندورة الفرقاني المطرزة بخيوط ذهبية والتي تتألق بها العروس في وقت حنتها، ورغم غلاء ثمنها فغالبية العرائس يقمن بشرائها وإذا كان العريس ميسور الحال يقتنيها لعروسه وفي بعض الأحيان تكون في قائمة الشروط التي تكون مع المهر. أما أول لباس تقليدي يميز المنطقة والذي توليه العروس عناية خاصة فهو الملحفة. والملحفة هي قطعة قماش تكاد تكون معدومة الخياطة ماعدا بعض الزينة المتمثلة في بعض الأشرطة أو القالون الحريري الملون تلتحف المرأة بها التحافا يغطي كامل جسمها، تمسك في الوسط أي على مستوى الخصر بحزام مصنوع من الصوف والقطن الحريري وتجمع كلها بقبضات من الصوف أو القطن أو الحرير¹، وحسب بعض المبحوثات والإخباريات فإن الملحفة كانت في الستينات والسبعينات وفي الثمانينات لباس المرأة الريفية خاصة، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة فهي لباسها اليومي الذي يقيها من الحر ويحميها من البرد وتتزين به في المناسبات غير أن الألوان كانت تختلف فالوان الملحفة التي تلبس في المناسبات كانت زاهية وفاتحة وقماشها فيه بعض الرسوم التي تزينها، أما ملحفة الأيام العادية فكانت ذات ألوان قاتمة أو داكنة حتى لا تتسخ بسهولة. ومن المميزات المهمة للملحفة العبون وهو ثنية تكون من الأمام تغطي بها الفتيات نهودهن حتى لا يراها أحد، أما العجائز فيدخلن فيها أيديهن لتسخينها وحمايتها من البرد²، كما يضعن فيها محفظة النقود وعلبة الكبريت التي تكون دائما معهن وعلبة " النفة " أي أنها ذات وظيفة عملية. وحاليا تشتري الملحفة جاهزة أو تقوم العروس باختيار قماش لها من نوع رفيع جدا وتقوم بخياطتها عند أمهر الخياطات لأنها لم تعد كالسابق غير مخاطة تماما، لكن أدخلت عليها بعض التعديلات التي تتماشى مع العصر، ترتديها العروس في يوم الحزام وفي مناسبات كثيرة للتعبير عن التمسك بعادات وتقاليد المنطقة وتراث الأجداد.

¹ - زينب التبسي الميلي، عرائس من بلادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط1، 2007، ص ص 26-27.

² - المرجع نفسه، ص 27.

كما تشتري العروس العديد من الألبسة الداخلية المتنوعة والأحذية بمختلف أشكالها وكل ما يخص لباس النساء وتكثر من عدد كل نوع وتكون الأعداد غالباً فردية والألوان متعددة. أما اللون الأسود فيستبعد لأنه فال شؤم. ويرافق هذا الجهاز سلات تملأ بأدوات الزينة والعمود والصابون والتي لا تعد ولا تحصى. وتنظم الألبسة في حقائب كثيرة ومختلفة الأحجام أما الأحذية فتوضع في سلات يطلق عليها "سابات".

مما لا شك فيه أن لباس العروس يرافقه دائماً إكسسوارات وأنواع مختلفة من الحلبي التي تتنوع في أشكالها ومواد صنعها وأغراضها فمنها ما هو مثلث ومنها ما هو دائري وأخرى تأخذ أشكال نباتات وبعضها يكون في صور حيوانات، فيها ما هو مصنوع من الفضة وفيها ما هو مصنوع من الذهب وقد خصصت لتزيين الرأس والأصابع والخصر واليدين والأذنين إلى غير ذلك. وشغف المرأة بالحلي قديم حيث يظهر اهتمام نساء العرب القدماء بالحلي بشكل بارز من خلال ما عثر عليه من أنواع مختلفة للحلي في حوران وجبل العرب والتي تعود حسب الدراسات إلى العصر الروماني والمعروضة في جناح الحلي بالمتحف الوطني بدمشق، كما يظهر ذلك الشغف في تماثيل نساء التدمريات إذ يرجح أن تكون تدمر مركز للصياغة¹.

ويتميز حلي العروس في مجتمع الدراسة أنه إما يكون من الفضة أو الذهب حيث لا تستغني العروس عن شراء تشكيلة من بعض الحلي الفضية التقليدية ذات اللمسات العصرية وتتمثل عموماً في:

- الجبين: وهو حلية توضع على الجبهة تتدلى منها قطع فضية صغيرة.
- المساييس: هي أساور وتوجد على أنواع مختلفة.
- المقياس (المقواس): هو نوع من الأساور العريضة والمشهور منها مقواس دق حجر.
- الخواتم: تأخذ أشكال حيوانية ونباتية خاصة خاتم الثعبان أو الأسماك.
- السلاسل والعقود والقلادات: توضع في الرقبة منها ما هو قصير ويحتوي على بعض المرجان وأنواع أخرى من الحجارة الزرقاء أو الخضراء ومنها ما هو طويل يتدلى على الصدر.

¹ - ليلي صباغ، مرجع سبق ذكره، ص 170.

• **المحزمة:** تكون على أشكال مستطيلات أو مربعات أو دوائر تتخذ أشكال نباتية عادة، أو شكل سمكة.

• **الأقراط:** المعروفة هي المشرف وهي أقراط دائرية تنتهي بمثلثات.

• **الخلاخل:** ومنه الرفيع والسميك أو العريض ويحمل في نهايته رأس ثعبان.

• **الخلالات :** وهي عبارة عن مشابك أو بروشات تمسك الملحفة من الكتفين وتستعملها العروس للزينة، ومنها ما يكون في شكل خمسة تستعملها المرأة في النفاس على الجبين في الجهة اليمنى لحمايتها من العين كما تضعها لابنها أو ابنتها لنفس الغرض. وللأشكال سواء النباتية أو الحيوانية المستعملة في الحلي المختلفة دلالات رمزية، إذ نجد مثلا السمكة ترمز إلى الخصوبة لأن لها قدرة على التكاثر الدائم ووضع البيض بعدد لا نهائي، وترمز الورود و الأزهار إلى الصفاء والجمال. أما الثعبان فقد ارتبط تجسيده بالجن فوجوده طارد للجن و مخيف لهم لأنه رمز للشر.

هذا بالإضافة إلى الحلي الذهبية التي تقتنيها المرأة لهدف الزينة أولا وكثروة ولو بسيطة تحتاج إليها في المستقبل كما تقول المبحوثة رقم (07) "الذهب كنز تلقاه المرا في الظروف الصعبة"¹ وتتمثل الحلي الذهبية العصرية في الخواتم والأساور والأقراط والسلاسل و العقود والمحزمة التي تكون بسيطة وثمانها معقول أو "المشبكة" وثمانها باهظ . ومن الحلي الضرورية و التي لا يمكن بأي حال من الأحوال التفريط فيها وهو "السخاب" الذي يرتبط بطقوس تكلمنا عنها سابقا. والجدير بالذكر أن العروس تجد بعض هذه الحلي سواء الفضية أو الذهبية جاهزة، لكن أخرى تكون بحسب الطلب وتستغرق مدة صنعها وقتا طويلا مثل محزمة الفضة و الذهب وبعض أنواع الأساور.

2.3.4- أثاث و لواحق البيت

جرت العادة في مجتمع البحث أن تجهز العروس ببعض الأثاث المنزلي و لواحق للزينة و بدأت قائمة هذه الأشياء تزداد يوما بعد يوم وأصبحت ترهق كاهل والد العروس، وما كشفته ملاحظاتي أن كل عروس تصر أن تجهز نفسها وبيتها المستقبلي مثل ما فعلت جاراتها وقربياتها و صديقاتها، حتى وإن كانت ظروفها لا تسمح كما تصر أمها أيضا على هذه الفكرة من باب التفاخر والتنافس ومساواة ابنتها بمثيلاتها حتى لا يحتقرها أهل زوجها

¹ - مقابلة مع المبحوثة رقم (07)، سبق ذكرها.

وينظرون لها نظرة دونية. وهذه النظرة ليست مقتصرة على مجتمع الدراسة بل إن التفاخر والمباهاة من الظواهر التي تسود في المجتمعات العربية. يعود هذا إلى الاعتقاد الشائع بأن فخامة الجهاز وغلاء مقتنياته وكثرتها دليل على ثراء الأهل ووجاهتهم.

نعود إلى مجتمع بحثنا التي تتجهز العروس فيه بكل ما يلزمها خاصة الأغطية الصوفية بمختلف أنواعها وأشكالها وأحجامها والأفرشة القطنية والحريرية كما تتزود بالكثير من الوسائد الخاصة بغرفتها وغرف الضيوف والجلوس وغيرها، إضافة إلى الستائر الفاخرة والزرابي ذات النوعية الرفيعة والبطانيات الشتوية وأنواع عدة من البساط الصوفي "المطرح" وأضيفت مؤخرا الأرائك الخاصة بقاعة جلوس الضيوف وملاحق الزينة الخاصة بها من لوحات ومزهريات وغيرها، والصالون المغربي من النوعية الجيدة والغالية. ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد بل تعدت حاليا إلى شراء أجهزة وآلات الكترونية وكهرومنزلية مثل آلات الغسيل والطبخ والثلاجات وأجهزة التلفاز وأواني المطبخ وأطقم من أنواع مختلفة إلى غير ذلك. كما يجب أن يتوفر جهاز العروس على تشكيلة من الأغطية التقليدية وهي الزربية أو ما يطلق عليها "الدراة" وهي زربية مرقومة ووسائد أيضا بالرقم و"الحولي" أو "الحنبل" وبعض سجادات الصلاة التقليدية أيضا.

في تحليلنا لما تحصلنا عليه في هذا الشأن وجدنا أن جهاز العروس يتألف من كل ما هو عصري مساعد على حياة الرفاهية، كما أن أفراد مجتمع البحث لم يتخلوا تماما عما هو تقليدي و تراثي.

خلاصة الفصل

تهتم المجتمعات عامة ومجتمع الدراسة بصفة خاصة بالزواج وإجراءاته المختلفة لأنها تدعم قيام الروابط الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية بين الجماعات القرابية التي ينتمي إليها كل من العروس والعريس وموطدة أيضا لعلاقات الجيرة والصدافة، وتبين لنا ذلك في مجتمع البحث من خلال الدعوات الموجهة للأقارب والأصدقاء والجيران والمعارف وعادات التهادي والمشاركة في الاحتفالات وتقديم الخدمات المعنوية والمعونة المادية للعروسين وأسرتهما. من هنا تعلق أهمية كبرى حول ممارسة الكثير من العادات والطقوس المتنوعة كما كشفت لنا ملاحظتنا الميدانية أن العرس يشكل فضاء رحبا غنيا بأشكال فرجوية شعبية كالرقص والغناء وضرب البارود والرحبية التي تتجلى وظائفها الظاهرية في الترويح والتسلية والمدح، لكن تحمل في طياتها دلالات ورمزية. كما تمارس في محطات العرس المتعددة عادات اجتماعية شعبية وطقوس تحصينية احترازية وقائية تعبر عن المعتقدات الموجودة عند الأفراد في مجتمع البحث.

نتائج الدراسة

نتائج الدراسة

لقد كشفت لنا الدراسة الميدانية التي قمنا بها في مجتمع مدينة الشريعة على أن هذه المدينة لازالت غينة بالكثير من عناصر التراث الشعبي، منها المتعلقة بموضوع بحثنا حول عادات وطقوس الزواج والتي تتضمن العديد من القيم التي لازال مجتمع البحث متمسكا بها ومحافظا عليها، وأيضا الطقوس التي تعكس تمسك أفرادها بالمعتقدات الشعبية وقد توصلنا إلى العديد من النتائج في بحثنا نلخصها فيما يلي:

- يعد التعاون بين أفراد المجتمع المحلي ميكانيزم مهم يعمل على استمرار الجيرة والصدقة والقربة لأن هذا الأخير عملية اجتماعية ثقافية تنفذ إلى كل أوجه النشاط الإنساني وتمثل مناسبة الزواج مجالا للتعاون بين أفراد مجتمع بحثنا، الذي يتجلى في التحضير للعرس وتقديم الخدمات والأشغال المنزلية من طهي وغسل وتقديم الطعام وتهيئته كقتل الكسكي وترتيب الغرف والتنظيف إلى غير ذلك، لكن ما لاحظناه أن بعض الأعمال الجماعية التعاونية في العرس بدأت تزول تدريجيا نتيجة إلى بدء ضعف هذا الميكانيزم، حيث أصبحت الأعمال الخاصة بالعرس تنحو لأن تكون فردية، هذا ما يفسر تراجع سلطة بعض العادات التي كانت موجهة للجماعة وتلاشي البعض منها وسير أخرى إلى الاندثار بتعبير آخر تراجع الضمير الجمعي.

- صمود قيمة العذرية أمام التغيرات الاجتماعية، مما يدل على أنها قيمة عميقة بالرغم من وجود معطيات جديدة ومعايير للحكم على أخلاق الفتاة فإن معيار العذرية فاق كل المعايير الأخرى.

- نلمس في منطقة الشريعة مجال بحثنا، الطابع التوفيقي بين اللباس التقليدي والعصري وذلك بسبب عدم انقطاع الصلة بالماضي الذي تمثله الأمهات والجيدات اللاتي مازن يحافظن على الظهور بتلك الألبسة التقليدية ومحاولة الحفاظ عليها وإقناع وترغيب الجيل الجديد بها، هذا بالرغم من التعديلات التي أدخلت على بعض الألبسة حيث أصبت تتميز بلمسات عصرية جعلت الإقبال عليها كبيرا.

- تلعب الهدايا المتبادلة والباروك المقدم لكل من العريس والعروس وأهلها دورا اجتماعيا يتمثل في توطيد العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع البحث، كما تمثل بعدا اقتصاديا من خلال المعونة المقدمة من الأقارب والجيران والأصدقاء، بالتالي توسيع دائرة العلاقات

الاجتماعية، حيث يمتد هذا التبادل من الدائرة القربانية إلى الجيرة ثم الأصدقاء والمعارف ومن ثمة زيادة التضامن الاجتماعي بين مختلف الشرائح والطبقات.

- تحظى ليلة الحنة ويوم العقد في مجتمع الدراسة باحتفالية خاصة ومميزة لأن هذه الليلة تمثل مرحلة انفصال كل من العروس والعريس عن عائلتيهما وفراق لحياة العزوبية واندماج في فئة جديدة هي فئة المتزوجين، حيث يتحملان في الوضع الاجتماعي الجديد أعباء ومسؤوليات جديدة.

- تستند العادات والطقوس الممارسة في منطقة الدراسة إلى إرث ثقافي ومعارف قديمة وإرث عقيدتي في جوهره، كما أن بعض العادات هي انعكاس لمعتقدات شعبية مثل تعليق التمام والحروز لرد الحسد والعين، حيث نجد الناس يعتقدون في القوة الموجودة فيها والكامنة وراءها.

- ارتباط احتفالات الأعراس بتناول بعض الأنواع من الأطعمة وبعض الاعتقادات الشعبية المتوارثة حولها، فالكسكي مثلا يعبر عن الرخاء ولا يمكن أبدا أن تخلو ولائم العرس منه، كما تعكس الاحتفالات بكل أنواعها التضامن والتآزر العائلي والقربي من خلال مشاركة الأقارب في تزويد أهل العريس ببعض المواد المستخدمة في الطبخ كاللحم والفواكه والدقيق وغيرها من مستلزمات تحضير الأطعمة. كما يساهم الاحتفال بالزواج بصورة عامة في لم شمل العائلات التي تفرقت بسبب ظروف الحياة.

- تعتبر بعض مظاهر الاحتفالات والطقوس والعادات التي تمارس في الزواج من أمور جذب ورواج بعض الحلي والألبسة الخاصة بالمنطقة، إذ تتناقلها النساء من جهة إلى أخرى، بالتالي عدم اندثارها الكلي واستمرارها حتى ولو أدخلت عليها بعض التعديلات، إلا أنها تحتفظ بروحها وجوهرها وتقوم بدور التعريف بمنطقة الدراسة .

- تلعب العادات الممارسة خلال الزواج دورا كبيرا في الضبط الاجتماعي، إذ أنها تعبر عما هو مقبول وما هو مرفوض أو مستهجن لدى مجتمع الدراسة مثلا من الأمور المستهجنة إغفال دعوة الأقارب والاستعانة بهم، ومن ثمة نجد أن مظاهر الاحتفالات المختلفة تؤكد على الاندماج والتضامن الاجتماعي والعائلي وهو تضامن جمعي قائم على الاشتراك في السلوكات وتجانس القيم والولاء للجماعة القربانية ولتراثها.

- تعكس احتفالات الزواج وطقوسه بعض العناصر الفلكلورية التي تعمل على تكيف الأفراد مع بيئتهم وتثبيت القيم الاجتماعية والثقافية ، كما تؤدي وظيفة التسلية والترفيه وإدخال السرور والبهجة على النفس عن طريق الفرجة أو المشاركة في القيام بها كالأغاني والرقص الفردي والجماعي النسوي والرجالي .
- إن الرمزية التي تحملها الأشياء والممارسات هي التي تحافظ على وجودها واستمرارها عن طريق الاعتقاد فيها والإيمان بها وبجدواها ونفعها، حتى إن كانت عمليا مفرغة من هذه الفائدة، فمثلا تلك الطقوس التي تمارس للتحصين والوقاية من السحر والعين كرش موكب العروس بالماء أو نثر الكمون والملح في أماكن مختلفة من البيت الذي يقام فيه العرس، في الحقيقة أن الاعتقاد المتوارث حولها هو الذي يدعمها ويغذيها ويعطيها تلك القيمة ومن ثمة الاستمرارية. فالأشياء التي فقدت الاعتقاد فيها زالت واندثرت. بمعنى آخر أن ذهنية أفراد مجتمع البحث لم ترق بعد إلى درجة تخلصهم من الاعتقاد في بعض الطقوس، بالتالي عدم المعارضة بل المشاركة في ممارستها هذا من جهة. من جهة أخرى فإن التخوف من المجهول يفرض استمرار بعض الطقوس والعادات.
- وجدنا في عادات الزواج رصيد كبير من الثقافة المادية، التي تكون قاعدة حضارية متجددة تستحق الرعاية والتوثيق لأنها رصيد حضاري حي يوفر مادة معرفية هامة للباحثين في مجالات كثيرة إذ تمدهم بعض الأدوات كالحلي واللباس مثلا بمعرفة مراحل تاريخية معينة وهي فائدة كبيرة وقاعدة لجيل المستقبل.
- تؤدي عادات الزواج وظيفة استمرار حرف معينة كصناعة الحلي والملابس التقليدية وبعض الأواني، وهذا استمرار للتراث وحفاظ عليه من الاندثار.
- ما كشفته لنا الدراسة الميدانية أن هناك الكثير من العادات تلاشت وأخرى دخلت عليها بعض التغييرات نتيجة تطور المجتمع بسبب التطور التكنولوجي الحاصل واحتكاك المجتمع المحلي بمنطقة الدراسة بمجتمعات أخرى عن طريق التعليم والزواج خارج حدود المنطقة. وتتجلى هذه التغييرات في اللباس، الحلي، الغناء حيث لاحظنا توافد بعض العادات الجديدة كزيادة لائحة جهاز العروس واحتوائها على أشياء لم تكن مدرجة في الماضي كالأواني والآلات والأجهزة الالكترونية.

الغائمة

الخاتمة

الزواج مؤسسة إجتماعية مهمة لها قوانينها وقيمها ونصوصها التي تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى، وهو نظام إجتماعي يحدد العلاقة بين الجنسين، ويصطبغ بصبغة دينية واجتماعية تعطيه الشرعية في المجتمع. وهو مرحلة انتقالية هامة في دورة حياة الفرد، يرتبط في مختلف مراحل عادات تعبر وتؤكد عن قيم اجتماعية، دينية، ثقافية وأخلاقية لها تأثير في الناس لما تحتويه من أفكار ومعتقدات تثير في أنفسهم الانصياع والخضوع والاستحسان. كما تتجلى في الزواج طقوس تتصل بنواحي أسطورية وخرافية كالاعتقاد في الأرواح الشريرة والقوى الخفية والجن، بالتالي ينظر الى تلك الطقوس بالتبجيل والقداسة، لذا نجد الناس لا يحدون عنها ولا يرغبون في تغييرها أو التخلي عنها. والطقوس ثوابت حضارية وممارسات إنسانية منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، يصطبغ بصبغة الدنيوي حيناً وبصبغة القداسة غالباً، ولها صفة الرمزية وتؤدي وظائف كالوظائف التطهيرية والوقائية والعلاجية التي تؤدي إلى إضفاء الارتياح النفسي والسلام الداخلي والتخلص من التوتر لدى ممارسيها.

كما للعادات الشعبية الاجتماعية دور في الضبط والتوجيه، فهي سلطة المجتمع على أفرادها لأنها تحدد منطقتي التعامل بينهم فيسيرون وفقاً لها دون وعي منهم ودون تفكير، فهم يجارونها وينساقون لها ويخضعون لسلطانها دون محاولة تغييرها أو تعديلها، لأنها تبدو ثابتة أصيلة وراسخة في كيان المجتمع.

في الحقيقة إن الكثير من العادات والطقوس المتعلقة بالزواج والممارسة في منطقة الدراسة تغطي عليها الخرافات والأساطير، ولا تخضع لمنطق يسيرها أو عقل يدبرها، بل هي ناتجة عن الخوف من المجهول والتوجس الدائم من الغيب والعالم الماورائي والأفكار التي تسيطر على عقل الإنسان، بالتالي فالقيام بها وممارستها باعث للراحة والطمأنينة في النفس البشرية. كما أنها ترتبط بالكثير من الاعتقادات حيث ينظر إلى الطقوس والعادات المرتبطة بالزواج في مجتمع الدراسة أنها ذات وظائف نفعية تجلب الحظ والسعادة والفأل الحسن والتوفيق كما تؤدي وظائف الحماية وإبعاد الضرر والشور والإخفاق. فمثلاً عادة وضع السكر في فم الشاة قبل ذبحها وفي فم العروس بمجرد الانتهاء من العقد وتقديم الطمينة والرئيس والتمر، حتى تكون حياة العروسين حلوة وعشرتهما طيبة فهذه عادة تستهدف

السعادة. وعادة ضرب البارود عند خروج العروس من بيت أبيها وعند دخولها لبيت الزوجية وطقوس تخطيها للعتبة، ونثر الملح على دم شاة الحلال وفي أرجاء المنزل، وحرق البخور لطرد الأرواح الشريرة والجن فهي عادات تستهدف إبعاد الشرور والضرر. كما تمارس طقوس أخرى تستهدف الحماية والتحصين كتعليق التمام والحروز كتلك التي تستعمل لدرء العين ورد عين الحاسد. وطقوس أخرى تمارس ليلة لقاء العريس بعروسه لهدف الابتعاد عن الفشل والإخفاق في فض البكارة.

يرتبط الزواج بعدة رموز وطقوس وجوانب، منها الرموز الاقتصادية المتمثلة في المهر والهدايا المقدمة من عدة أطراف، والباروك المقدم في احتفالية الحنة وفال العرس، وجوانب دينية تتمثل في طقس قراءة الفاتحة وطقوس وجوانب اجتماعية تتمثل في حمام العرس وطقس الحزام والمسنونة و قسعة الفراف والاحتفالات والعروض الفنية الثقافية، التي تتجلى في الغناء والرقص والرحبية والإطعام كشيفرة للتواصل الرمزي بين الناس.

الملاحق

ملحق رقم 01: دليل المقابلة

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم علم الاجتماع

رقم الدليل:

دليل المقابلة

عادات و طقوس الزواج

مقارنة أنثروبولوجية للمجتمع المحلي بالشرعية

إشراف

د. قويدر سيكوك

إعداد الطالبة

نافجة عبد المالك

المعلومات الواردة في هذا الدليل سرية

ولا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

المحور الأول: بيانات أولية

- السن:.....
- الجنس: ذكر أنثى
- المستوى التعليمي: أمي أقرأ وأكتب
- ابتدائي متوسط
- ثانوي جامعي
- الحالة العائلية: عازب(ة) خاطب/مخطوب
- متزوج (ة) أرمل (ة) مطلق (ة)
- الأصل الجغرافي: المدينة الريف

المحور الثاني: معلومات متعلقة بالخطبة وعاداتها

- 1- من يقوم بفتح موضوع الزواج في الأسرة ؟
- 2- من الذي يقوم باختيار الزوجة ؟
- 3- ما هي الفضاءات التي يمكن فيها تعارف الشاب بالفتاة ؟
- 4- ما هي المقاييس المعتمدة في اختيار الزوجة ؟
- 5- لمن يكون الحق الأول في الزواج من الفتاة ؟
- 6- ما هي مراحل البحث عن زوجة مناسبة ؟
- 7- ما هي إجراءات الخطبة الرسمية ؟ والعادات الممارسة فيها ؟
- 8- ما هي الالتزامات التي يقوم بها الخاطب تجاه خطيبته ؟
- 9- كيف يكون التوثيق لعقد الزواج ؟

المحور الثالث: معلومات متعلقة بعادات العرس والطقوس الممارسة

- 10- ماهي العادات والطقوس التي تمارسها العروس في يوم الحمام؟
- 11- كيف تعتنى العروس بزینتها وجسدها ؟
- 12- كيف يبدأ الاحتفال في العرس ؟
- 13- ما هي الاستعدادات التي تقوم بها العروس بعد الحمام في يوم الكباش ؟
- 14- ماذا يمارس من عادات وطقوس عند ذبح شاة الحلال ؟
- 15- ما هي إجراءات عقد الجماعة؟
- 16- كيف يتم الاحتفال بليلة الحنة في بيت العروس وبيت العريس ؟
- 17- من يقوم بتهيئة العروس وتزيينها يوم زفافها ؟
- 18- كيف تتم تهيئة العريس (السلطان) يوم زفه واستقبال عروسه ؟
- 19- كيف تنتظرون إلى شرف الفتاة وعذريتها ؟
- 20- صفوا لنا ليلة نصره العروس ؟

المحور الرابع: معلومات متعلقة بالتحضير للعرس ومراحله التكميلية والممارسات والعروض الشعبية

- 21- كيف يتم التحضير للعرس عند أهل العروس والعريس ؟
- 22- من هم المدعوون للعرس ؟
- 23- متى يتم تقديم الهدايا والباروك للعروسين ؟
- 24- ما نوع الهدايا المقدمة ومن يقدمها ؟
- 25- ما هي المراحل اللاحقة ليوم الزفاف وماهي طقوسها ؟
- 26- كيف يتم اختتام العرس ؟
- 27- ما هي الأطعمة المقدمة في العرس ؟
- 28- ما هي العروض والممارسات الشعبية التي تقدم في العرس ؟ صفوها لنا ؟

- 29- ما هي مختلف الأغاني النسائية والرجالية التي تغنى في مناسبة الزواج ؟
- 30- إلى ماذا ترمز وعلى ماذا تدل ؟
- 31- كيف يتجلى الرقص في فضاءات العرس ؟
- 32- ما هي المعتقدات الشعبية المتعلقة بشاة الحلال ومراتها ووظيفة مرافقاته ؟
- 33- ما هي مختلف الطقوس والعادات التي تطبق على العروس والعريس وماذا تعني ؟
- 34- مما يتألف جهاز العروس ؟
- 35- من يقوم بشراءه ؟

ملحق رقم 02: بطاقة مونوغرافية لمدينة الشريعة

كانت دراستنا لعادات وطقوس الزواج دراسة أنثروبولوجية ميدانية تناولت المجتمع المحلي لمدينة الشريعة الواقعة بولاية تبسة بالشرق الجزائري. وباعتبار المجتمع المحلي مجموعة أفراد يقطنون منطقة جغرافية معينة لها طابع خاص بها وجب علينا التطرق إلى بعض النقاط التي تعرف بمنطقة الدراسة لتكوين لمحة عامة ومجملتها حولها، فتناولنا موقعها الجغرافي وأصل تسميتها وخصوصيتها الطبيعية والمناخية، إضافة إلى إمكانياتها الاقتصادية وقاعدتها الصناعية وبعض المنشآت القاعدية كشبكة الطرقات وأيضا بعض الجوانب السوسيو إقتصادية.

1- الموقع الجغرافي لمدينة الشريعة وأصل تسميتها

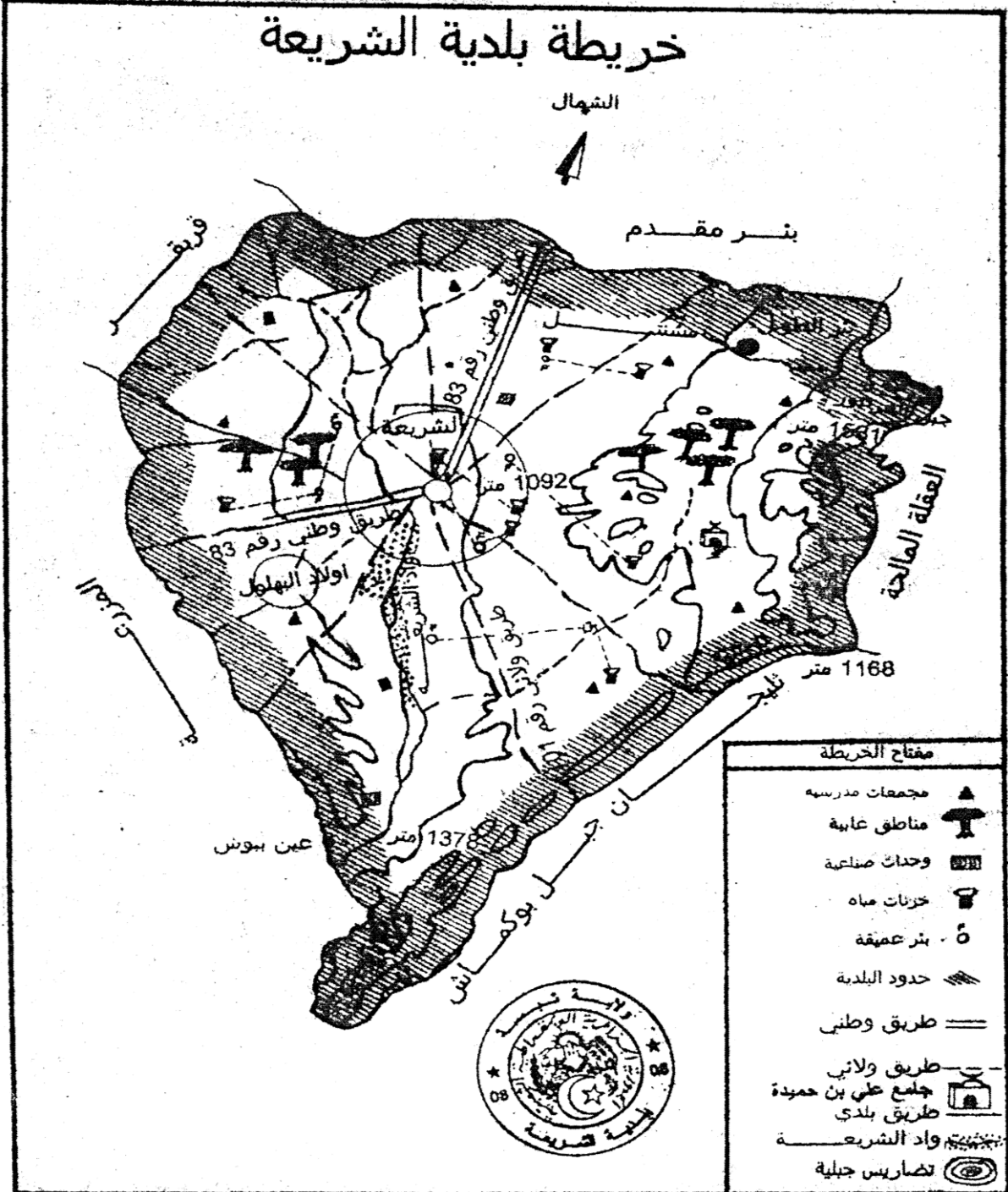
تقع مدينة الشريعة، وهي إحدى بلديات تبسة بالجنوب الغربي للولاية تتربع على مساحة قدرها 317.89 كم² يحدها من الشمال: بلدية بئر مقدم ومن الجنوب: بلدية تليجان. ومن الشرق: بلدية العقلة المألحة. ومن الغرب: بلدية المزرعة وتبعدها الولاية بحوالي 45 كلم وهي أكبر دوائر الولاية من حيث الكثافة السكانية ترتفع على مستوى سطح البحر بحوالي 1050 م. يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 2003 حوالي 74129 نسمة. تمتاز الشريعة بأرضها المسطحة وهي أرض زراعية وتهتم بتربية المواشي¹.

يعود أصل تسمية مدينة "الشريعة" بهذا الاسم نسبة إلى الثروة المائية الباطنية بها. إذ تتربع على شبكة مائية باطنية هائلة تسمى هذه الشبكة باللهجة الشعبية منطقة "المشعر" وهذا ما أفادنا به **الإخباري** رقم (01): "في وقت جدودنا كانت الشريعة عامرة بالماء لخاطر فيها واد كبير ديمما معمر الواد هذا كان جاي من المرجة ويفوت على عين ببوش ويصب في جارش، بصح الواد هذا نشف في وقتنا بصح تبقى ديمما الشريعة فيها الماء ياسر وعامرة على شكل مشعر كبير أذاك علاه سموها بكري الشريعة"².

¹ - مونوغرافيا سياحية لمدينة تبسة، تصدر عن مديرية السياحة لولاية تبسة، الجزائر، 2007، ص 08.

² - مقابلة مع الإخباري رقم (01): سبق ذكرها.

نشأت الشريعة كبلدية سنة 1958 ثم انبثقت من التقسيم الإداري لسنة 1974 كمقر للدائرة، تحتوي بالإضافة إلى التجمع الحضري الرئيسي التجمع الثانوي أولاد البهلول والعديد من القرى والمشاتي من أهمها: بئر الطويل، مشنتل، أولاد ذياب... إلخ



شكل رقم (01): خريطة بلدية الشريعة

2- التوزيع السكاني

بالاعتماد على مونوغرافيا ولاية تبسة لسنة 2013/2012 فإن السكان يتوزعون حسب الجدول المبين إلى ثلاث مناطق.

التجمعات	عدد السكان(نسمة)	النسبة %
التجمع الرئيسي الشرعية	70704	87.81
التجمع الثانوي أولاد البهلول	1618	02.01
مناطق التشتت	8197	10.18
مجموع البلدية	80519	100

جدول رقم (01): جدول يبين توزيع السكان في مدينة الشرعية

من خلال الجدول المبين أعلاه نجد أن السكان في بلدية الشرعية يتوزعون على ثلاث مناطق هي:

- مناطق التركيز القوي : تتمثل في التجمع الرئيسي الشرعية، إذ بلغ سكان هذا الأخير 70704 نسمة.
- مناطق التركيز المتوسط: تتمثل في المنطقة المبعثرة، إذ بلغ عدد سكانها 8197 نسمة.
- مناطق التركيز الضعيف: تتمثل في التجمع الثانوي أولاد البهلول. إذ بلغ عدد سكان هذا الأخير 1618 نسمة.

3 - التطور السكاني

يتضمن الجدول المبين أدناه تطور السكان حسب الإحصاء العام للسكن والسكان من سنة 1987 إلى سنة 2008، ويسمح لنا بتحليل تطور السكان داخل إقليم مدينة الشرعية مجال الدراسة، ومعرفة زيادة أو انخفاض عدد السكان وكذا توزيعهم ومدى تنظيم منطقة الدراسة باعتبارها وحدة مصغرة.

التعيين	إحصاء 1987	إحصاء 1987	إحصاء 2008	تقديرات /12/31 2012	معدل النمو 98/87	معدل النمو 2008/98	معدل النمو /2008 2012
التجمع الرئيسي الشريعة	32953	53645	66160	70704	%04.53	%02.12	%01.67
التجمع الثانوي أولاد البهلول	657	1249	1511	1618	%06.01	%01.94	%01.67
مناطق التشتت	8935	9744	7673	8197	%00.79	%02.34	%01.67
البلدية	42545	64638	75344	80519	%03.88	01,54	01.67

جدول رقم (2): جدول يبين تطور السكان لبلدية الشريعة¹

من خلال الجدول السابق يبين لنا انخفاض معدل النمو في التجمع الرئيسي والتجمع الثانوي، هذا عبر مختلف الإحصائيات العامة للسكن والسكان وتقديرات مديرية البرمجة والمتابعة لسنة 2012، بينما المنطقة المعتبرة انخفض بها معدل النمو بين كل من إحصاء (2008/1998) من 00.79% إلى 02.34% ليرتفع مجددا إلى 01.62% وهذا بين (2008 - 2012)، بينما المعدل العام للبلدية فهو في تراجع عبر الإحصائيات العامة للسكن والسكان من (1998 - 2008) إلى أ، ارتفع خلال الفترة الممتدة بين (2008 - 2012).

4 - التركيب العمري والنوعي

يعتبر التركيب النوعي والعمري من العناصر الأساسية التي تفيد في معرفة ما تمتلكه منطقة الدراسة من موارد بشرية وما يحتاجه مختلف الفئات من متطلبات اجتماعية واقتصادية والجدول التالي يبين لنا ذلك.

¹ مديرية التعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تبسة، مرجع سبق ذكره، ص 36.

البلدية	الشريعة (A.C.L)			أولاد البهلول (A.S)			مناطق التثتت (Z.E)			البلدية		
	المجموع	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور	المجموع	إناث	ذكور			
4-0 سنوات	3930	3768	7698	90	86	176	456	437	892	4475	4291	8766
11-5 سنة	3773	3642	7415	86	83	170	437	422	860	4296	4148	8444
15-12 سنة	2931	2805	5736	67	64	131	340	325	665	3338	3194	6532
18-16 سنة	2423	2324	4747	55	53	109	281	269	550	2759	2647	5406
59-19 سنة	20182	19899	40080	462	455	917	2340	2307	4647	22983	22661	45644
60 سنة فما فوق	2398	2631	5028	55	60	115	278	305	583	2730	2996	5727
المجموع	35636	35069	70704	815	803	1618	4131	4066	8197	40583	39937	80519

جدول رقم (03): جدول يبين الفئات العمرية والتركييب النوعي لبلدية الشريعة حسب تقديرات سنة 2012¹

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن هناك ست مجموعات تمثل السكان وهي الفئة العمرية الأولى (0-4 سنوات) وتمثل نسبة 10.89 من إجمالي سكان البلدية. والفئة الثانية (5-18 سنة) وتمثل نسبة معتبرة تقدر بـ 25.31% من عدد السكان. أما الفئة الثالثة (19-59 سنة) وهي الفئة التي تمثل أعلى نسبة والتي تقدر بـ 56.69% من العدد الكلي للسكان. وأخيرا الفئة الرابعة (60 فما فوق) وهي فئة الشيوخ وهم حملة التراث ويمثلون الذاكرة الشعبية وتقدر نسبتهم بـ 07.11% من إجمالي السكان. بمعنى أن هذه الفئة المهمة في

¹ - مديرية التعمير والهندسة المعمارية لولاية تبسة، مرجع سبق ذكره، ص 37.

دراستنا يتضاءل عددها يوما بعد يوم وهذا ما يستدعي المسارعة إلى توثيق تراث منطقة الدراسة.

5- الأنماط العمرانية

النمط العمراني هو مجموع الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي تتفاعل معا فينتج عنها الطابع العمراني الذي يتنوع بعدد تلك الخصائص وتنوعها، وتؤثر الخصائص الاجتماعية بصفة خاصة في تكوين الطابع العمراني للمدينة فينتج عنه أنماط ريفية أو شبه حضرية أو حضرية. وتتمثل الأنماط العمرانية في منطقة دراستنا في¹:

- الأنماط العمرانية التاريخية التلقائية القديمة تتواجد في الكتلة العمرانية القديمة من المدينة.
- الأنماط العمرانية الحديثة والمعاصرة تتواجد غالبا عند أطراف الكتلة العمرانية للمدينة والتي ظهرت فيها بعض ملامح التغيير مثل تنظيم البناءات.
- الأنماط العمرانية العشوائية: تتوجد عند أطراف المدينة أيضا لكنها لا تخضع لأي ضوابط أو قيود تحكم تخطيطها وتسييرها وتعاني من مشاكل اجتماعية واقتصادية وبيئية.
- الأنماط العمرانية الريفية: تتواجد بالقرب من الحدود الخارجية للمدينة، ويغلب عليها الطابع الريفي بكل مقوماته.

6- التقسيمات الطبيعية

6-1- التضاريس

تعتبر بلدية الشريعة إحدى بلديات الهضاب العليا أرضيتها شبه معتدلة ذات ارتفاع يقدر بـ 1050 م فوق مستوى سطح البحر، وتميز وجود جبل لمهادة الواقع بالجهة الشرقية لمدينة الشريعة، حيث تقدر أعلى قمة 1364 م.

وقد زدنا الإخباري رقم (04) بمعلومات حول أراضي المنطقة وتكوينها فقال: " من الناحية الجيولوجية نجد أن التكوين الغالب لبلدية الشريعة ينتمي للزمن الرابع والمتمثل في رسوبيات من الرمل. واعتمادا على القوانين الجزائرية الزلزالية لـ 2003 فإن منطقة الدراسة الشريعة تنتمي إلى المنطقة الأولى وهي المنطقة ذات الزلزالية الضعيفة. وبالنسبة للخصائص

¹ مديرية التعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تبسة، مرجع سبق ذكره، ص 45.

الجيوثقنية فإن أراضي الجهة الوسطى والغربية من التجمع الريفي عبارة عن تكوينات رسوبية متمثلة في الطمي والحصى وكتل من حجر كلسي. كما تتميز المنطقة الشرقية بأنها تكوينات عبارة عن طين وطيني. إضافة إلى أراضي التجمع الثانوي وهي عبارة عن تكوينات رسوبية والمتمثلة في الطمي القديم، الرمل والحصى وتتميز بأنها مستقرة¹.

أراضي الشريعة عبارة عن مساحات محاطة بمرتفعات جبلية صخرية تكون سهل الشريعة. ويضيف الإخباري رقم (04) قائلاً: "الشريعة عبارة عن مساحات مسطحة تتكون عليها تلال ذات ارتفاعات منخفضة تتراوح ما بين 300 و 500 وبصفة عامة بلدية الشريعة هي منطقة ذات تضاريس مسطحة إلى حد ما وتتكون من السهول والهضاب وهي مشننل والمرجة التي يمر عبرها واد الشريعة وهي مناطق خصبة جدا. وأيضا مجموعة من التلال تزرع فيها الحبوب كالقمح والشعير بالإضافة إلى تربية الأغنام والأبقار والماعز"² هذا بالإضافة إلى منطقة جبلية في الجهة الجنوبية تتكون من ردامة، زرحاتة، الكريمة (جبال مكشوفة ومتدرجة) مسارات ممزوجة بطبقة الحلفة³.

6-2- الجانب الغابي

تقدر مساحة الغابات في إقليم البلدية بـ 2240 هكتار تتشكل من النوع النباتي المتمثل في الصنوبر الحلبي والصفصاف.

أضاف الإخباري معلومات تفصيلية عنها فقال: "الغطاء النباتي في الشريعة هو الصفصاف والصنوبر الحلبي وهو موزع على ثنية الكليل بـ 317.50 هكتار وقارة العمري بـ 45 هكتار وقارة علي بن حميدة بـ 687.50 هكتار وبوكماش بـ 290 هكتار الردامة بـ 900 هكتار وأيضا منطقة من الحلفة في منطقة تسمى العرعور وتقدر بـ 1130 هكتار"⁴

¹ - مقابلة مع الإخباري رقم (05)، يوم 26 سبتمبر 2016، على الساعة 10:00.

² - مقابلة مع الإخباري رقم (05)، سبق ذكرها.

³ - Direction de L'environnement de la wilaya de tebessa, Shema de la Coherence Urbaine de la ville de cheria Mission N: Diagnostic strategique, Urbaco, juin 2010, P 71.

⁴ - مقابلة مع الإخباري رقم (05)، سبق ذكرها.

7- المعطيات المناخية

فيما يخص المعطيات المناخية فإن ولاية تبسة تتميز بمناخ شبه جاف بارد وممطر شتاء وجاف وحار صيفا، يبلغ معدل التساقط السنوي ما بين 200 إلى 500 ملم/. أما مجال دراستنا مدينة الشريعة فإن المناخ السائد بها متقلب حيث يكون حار صيفا وبارد جدا شتاء خاصة في بداية النهار ونهايته.

وتبدأ درجة الحرارة في الانخفاض من نوفمبر إلى نهاية مارس، أين يتساقط الصقيع الأبيض¹.

في حين يقدر معدل درجة الحرارة المتوسطة بـ 15.85°م أما العليا فتتجاوز 45.50°م في حين تقدر الدنيا بـ 05°م، أما اتجاه الرياح السائد فهو شمالي غربي. وتقدر كمية الأمطار المتساقطة سنويا بـ 250 ملم.

8- المعالم والمواقع التاريخية والسياحية

تعد منطقة الشريعة منطقة أثرية تعاقبت لها عدة حضارات مما جعلها فضاء أثري لكنها غير مستغلة ومهملة وتوجد بالشريعة تسعة مواقع أثرية مصنفة وطنيا تعود إلى ما قبل التاريخ وهي :

• بئر السادات

• شعبة السيبون

• دامو كرماية

• فج غيلالي منقب

• فج غيلالي منقارت

• مرجة سام الغربي

• وادي الرتم

¹- Direction de L'Environnement de la Wilaya de tebessa, Schema de Coherence Urbaine de la Ville de Cheria ,op. Cit, P10.

بالرغم من هذا لا تتوفر البلدية على أي مركبات سياحية أو هياكل لتفعيل السياحة وحتى الفندق الوحيد بها لا يشتغل.

9- الإمكانيات الاقتصادية

إن التطور الاقتصادي مرتبط بعوامل عدة منها ما هو طبيعي ومنها ما يتعلق بمدى توفر مختلف الشبكات والمنشآت القاعدية في مدينة ما.

يقول الإخباري رقم (04): "إن المساحة الفلاحية ببلدية الشريعة واسعة وتقدر الأراضي الفلاحية المستغلة بـ 200.000 هكتار من المساحة الإجمالية للبلدية"¹. وهذا ما يعطيها الصفة أو الطابع الغالب وهو الطابع الفلاحي. كما تتوزع الأرض المتبقية على مراعي وغابات وأخرى غير مستغلة. ويركز أهالي بلدية الشريعة على زراعة الحبوب خاصة القمح والشعير بالإضافة إلى زراعة الأعلاف التي تعد من الزراعات الحيوية بمنطقة الدراسة باعتبار المنطقة رعوية لأنها ترتبط مباشرة بتربية المواشي التي تمثل ثروة حيوانية كبيرة خاصة الأغنام. وتساهم هذه الثروة الحيوانية في تزويد البلدية بكميات معتبرة من اللحوم الحمراء والبيضاء والبيض والعسل وبعض الاحتياجات كالصوف التي تستخدم في الصناعات التقليدية بصفة خاصة.

10- شبكة الطرق

تعد شبكة الطرق من المقومات الهامة في تحقيق الاتصال بين المدن والمناطق والقرى، فهي بمثابة الشريان الحيوي في المنظومة الحضرية. وتتوفر بلدية الشريعة على شبكة من الطرق التي تمثل عنصر ربط واتصال بين مختلف التجمعات السكانية الموزعة عبر إقليمها، وبالنظر إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي سمح لها بمرور طرق وطنية وولائية وبلدية عدة وهي الطريق الوطني رقم 83 يربط بين تبسة وخنشلة والطريق الولائي رقم 01 الرابط بين الشريعة وبئر العاتر بالإضافة إلى الطريق الولائي الذي يربط بين الشريعة وتبسة والمؤدي إلى تليجان والعقلة المالحة.

¹ مقابلة مع الإخباري رقم (05): سبق ذكرها.

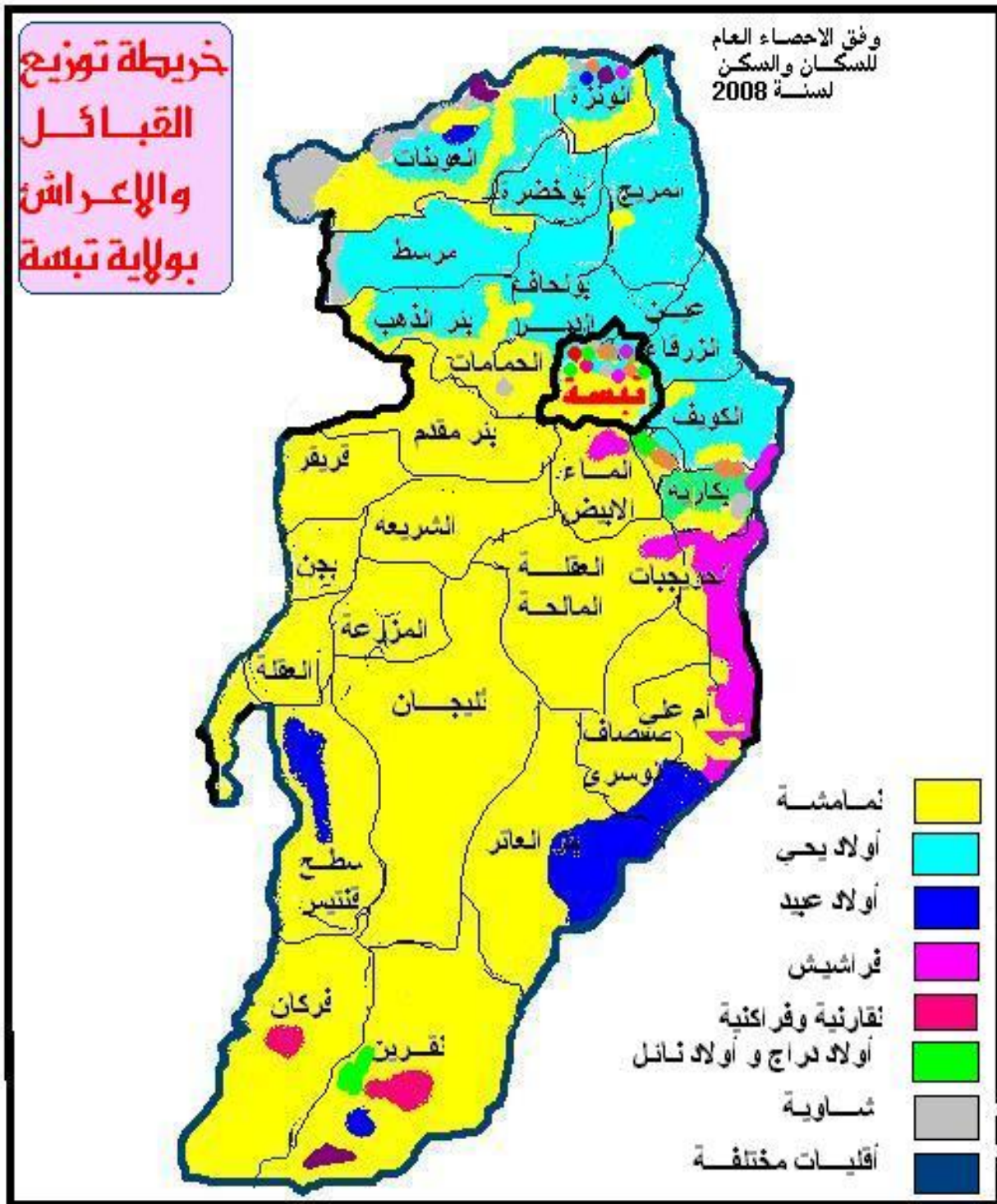
11- توزيع القبائل والأعراش في الشريعة

لقد استوطنت القبائل العربية بعد موجات الهجرة العربية بولاية تبسة في القرنين الرابع والخامس الهجريين خاصة بعد هجرة الملايين من بني سليم وهلال وعامر وقيس وعيلان في منتصف القرن الخامس هجري كما سكنت بها القبائل الأمازيغية المستعربة المعروفة بقبائل النمامشة¹.

أما فيما يخص مدينة الشريعة فتوجد ثلاث قبائل أساسية الأولى قبيلة النمامشة بنسبة 50% والمتكونة من أولاد ساسي، أولاد سيدي علي وأولاد سعيدان وقبيلة ثانية هي قبيلة الزرامة بنسبة 30% وتتكون من الفراحنة، أولاد عمر، أولاد مبارك، أولاد علي بن عيسى، أولاد البهلول، أولاد إبراهيم وأولاد محبوب والقبيلة الثالثة هي قبيلة أولاد مسعود بنسبة 05%². والشريعة هي مزيج من الكثير من العروش المنحدرة من هاته القبائل التي تجمعها نفس العادات والتقاليد وتشارك في ثقافة وتراث واحد.

¹ - أحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، بوابة الشرق ورثة العروبة وأريج الحضارات دار البلاغ للنشر والتوزيع، ط1، باتنة، الجزائر، 2005، ص 20.

² - عبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط1، الرويبة، الجزائر، 1996، ص 67.



شكل رقم (02): خريطة التقسيم القبلي ولاية تبسة

12- الجانب الصناعي

1-2- المؤسسات الصناعية

تعد بلدية الشريعة بلدية فلاحية بالدرجة الأولى بالنظر إلى خصائصها الطبيعية والاجتماعية، لكنها تتوفر على بعض المؤسسات الصغيرة و المتوسطة.

يقول الإخباري رقم (04): " حسب إحصائيات مديرية السياحة والصناعات التقليدية لولاية تبسة لعام 2014 فقد قدر عدد هذه المؤسسات بـ 440 بين مؤسسة صغيرة ومتوسطة ويعمل بها حوالي 2839 عامل تتوفر على ثروات تنتج لها أن تحقق تنمية كبيرة فيها" ¹ ما نلاحظه من خلال هذه الأرقام أن المدينة لازالت في طور التحضر وهي لم تقطع أشواط كبيرة في التنمية والتطور مما يعطيها صبغة المجتمع المحلي الشبه ريفي.

12-2- الصناعات التقليدية

تشتهر ولاية تبسة عموما وبلدية الشريعة خصوصا بصناعة الزرابي الصوفية. وتأتي في مقدمتها الزربية اللموشية ذات الشهرة الواسعة تقول المبحوثة رقم () : " الشريعة بلاد الرقم والمنسج ملي خلقنا لقينا ماتنا يديرو المنسج كيما القشايية والبرنوس والحولي والحبل والحاجة المهمة لي ينسجوها الزربية إلي مازالت محافظة على قيمتها بكري لازم كل بيت تكون فيه الزرابي وتو ولو يقولو عليهم حوايج تقليدية" ²

ما نستشفه من كلام الإخبارية أنه لا يمكن لأي بيت من البيوت أن يخلو من أنواع الزرابي التي تزخر بها منطقة الشريعة ولازالت الكثير من هذه البيوت خاصة "البيت الكبير" أو "بيت العائلة" كما يقال يحتوي عليها كإرث من الجدات والأمهات.

ولعل الزربية اللموشية إكتسبت شهرتها من خلال محطات تاريخية بالرغم من محاولة الاستعمار الفرنسي طمس الثقافة الجزائرية إلا أن صيتها تعدى حدود الوطن لذا نالت الزربية اللموشية الميدالية الذهبية في محفل دولي بمدينة برلين الألمانية. وفي سنة 1928 تحصلت على مرتبة عالية ومشرفة أيضا.

¹ - مقابلة مع الإخباري رقم '05)، سبق نكرها.

² - نوبري عاطف، أصل النمامشة يوم 20-12-2016 على الساعة 19:00 <http://www.khbarbladi.com>.

بالرغم من التطور التقني والتكنولوجي الذي مس كل ميادين الحياة والذي وصل إلى أبسط المجتمعات بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة إلا أن المرأة الشرعية لازالت تحافظ على بعض الحرف والصناعات التقليدية كجزء من كيانها ووجودها وتراثها كصناعة الزربية والفخار وبعض الحلي. كما علمت بناتها إتقان طهي بعض الأكلات التقليدية التي يجب أن تكون في أفرانها واحتفالاتها ومناشطها الاجتماعية المختلفة وتتمثل هذه المأكولات في الكسكسي، الشخشوخة، العصيدة، البركوكش، الرخساس والمطلوع.

وبالنظر إلى حفاظ المرأة الشرعية على تراث أجدادها وتمسكها بعادات منطقتها وإحيائها في إحتفالاتها وأفرانها وحرصها على نقلها إلى الأجيال اللاحقة فقد كان من واجبنا المساهمة في الحفاظ على الذاكرة الشعبية لتراث المنطقة عن طريق مساهمتنا بهذه الدراسة حول عادات وطقوس الزواج في مدينة الشرية.

ملحق رقم 03: جدول المعلومات الخاص بالمبحوثات والمبجوثين

الرقم	مجتمع البحث	التاريخ و الساعة
01	المبحوثة رقم 01	يوم 20 مارس 2015 على الساعة 09:00
02	المبحوثة رقم 02	يوم 27 مارس 2015 على الساعة 10:00
03	المبحوثة رقم 03	يوم 02 أبريل 2015 على الساعة 14:00
04	المبحوث رقم 04	يوم 13 أبريل 2015 على الساعة 15:30
05	المبحوث رقم 05	يوم 20 أبريل 2015 على الساعة 16:00
06	المبحوثة رقم 06	يوم 02 ماي 2015 على الساعة 18:00
07	المبحوثة رقم 07	يوم 11 جويلية 2015 على الساعة 11:00
08	المبحوثة رقم 08	يوم 10 أوت 2016 على الساعة 09:30
09	المبحوث رقم 09	يوم 15 أوت 2016 على الساعة 10:30
10	المبحوثة رقم 10	يوم 20 أوت 2016 على الساعة 11:30
11	المبحوثة رقم 11	يوم 25 أوت 2016 على الساعة 13:00
12	المبحوثة رقم 12	يوم 31 أوت 2016 على الساعة 14:30
13	المبحوثة رقم 13	يوم 31 أوت 2016 على الساعة 14:30
14	المبحوثة رقم 14	يوم 31 أوت 2016 على الساعة 14:30
15	المبحوثة رقم 15	يوم 31 أوت 2016 على الساعة 14:30
16	المبحوثة رقم 16	يوم 20 سبتمبر 2016 على الساعة 16:30
17	المبحوثة رقم 17	يوم 21 سبتمبر 2016 على الساعة 15:00
18	المبحوثة رقم 18	يوم 23 سبتمبر 2016 على الساعة 08:30
19	المبحوثة رقم 19	يوم 02 مارس 2017 على الساعة 12:00
20	المبحوثة رقم 20	يوم 04 مارس 2017 على الساعة 17:30
21	المبحوثة رقم 21	يوم 08 مارس 2017 على الساعة 22:00
22	المبحوثة رقم 22	يوم 08 مارس 2017 على الساعة 22:00
23	المبحوثة رقم 23	يوم 8 مارس 2017 على الساعة 22:00
24	المبحوثة رقم 24	يوم 12 مارس 2017 على الساعة 18:00
25	المبحوثة رقم 25	يوم 15 مارس 2017 على الساعة 20:00
26	المبحوث رقم 26	يوم 19 مارس 2017 على الساعة 15:00
27	المبحوث رقم 27	يوم 19 مارس 2017 على الساعة 15:00
28	المبحوث رقم 28	يوم 19 مارس 2017 على الساعة 15:00
29	المبحوث رقم 29	يوم 19 مارس 2017 على الساعة 15:00
30	المبحوثة رقم 30	يوم 25 مارس 2017 على الساعة 09:00

ملحق رقم 04: جدول المعلومات الخاص بالإخباريات والإخباريين

الرقم	الإخبارية أو الإخباري	التاريخ و الساعة
01	الإخباري رقم 01	يوم 28 مارس 2015 على الساعة 11:00
02	الإخبارية رقم 02	يوم 13 أبريل 2015 على الساعة 13:30
03	الإخبارية رقم 03	يوم 28 جويلية 2016 على الساعة 17:00
04	الإخبارية رقم 04	يوم 18 سبتمبر 2016 على الساعة 09:00
05	الإخباري رقم 05	يوم 20 سبتمبر 2016 على الساعة 10:00

قائمة المصادر

والمراجع

- المصادر

القران الكريم

- المراجع

1- المراجع باللغة العربية

- 1 إبراهيم خليل أبراش، المنهج العلمي و تطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول، 2009.
- 2 إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1988.
- 3 أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة، 1986.
- 4 إدوارد وستر مارك ، تاريخ موسوعة الزواج ، الجزء الأول ، ترجمة مصباح الصمد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2001.
- 5 إسماعيل قيرة وعبد الحميد ليمي وسليمان بومدين، التصورات الاجتماعية ومعناه الفئات الدنيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ، ت.ت.
- 6 الجيلالي الغرابي، دراسات في الثقافة الشعبية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2013.
- 7 السيد حنفي عوض، قراءات ودراسات في علم الإنسان، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1997-1998.
- 8 بيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكور، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط2، 1973.
- 10- بيار بونت وميشال ايزار ، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا ، ترجمة محمد الصمد ، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- 11 جان كوبان، المسح الإثنولوجي الميداني، ترجمة: جهيدة لاوند، معهد الدراسات الإستراتيجية، العراق، ط1، 2006.
- 12 جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع،

- 13 حسان حلاق، مقدمة في مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 14 حسن أبو حمود، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الملايين للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، دمشق سوريا، 2009.
- 15 حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993.
- 16 خالد حامد، مدخل الى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2008.
- 17 خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
- 18 خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1986.
- 19 خليل احمد خليل، معجم مفاتيح العلوم الانسانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1989.
- 20 راجح درواش، علم اجتماع العائلة ، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2011.
- 21 ر. بودون و ف. بوريك، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
- 22 رث والاس ألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، ترجمة: محمد عبد الكريم الحوراني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011-2012.
- 23 روجيه كايوا، الانسان والمقدس، ترجمة: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 24 زينب ابراهيم العزبي، برنامج دراسة المجتمع علم الاجتماع العائلي المستوى الأول- فصل دراسي أول، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة بنها، د.ت.
- 25 زينب التبسي الميلي، عرائس من بلادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط1، 2007.

- 26 سامية حسن الساعاتي، المرأة والمجتمع المعاصر، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
- 27 سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1983.
- 28 شارلوت سيمور-سميث، موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الاثروبولوجية، ترجمة علياء شكري وآخرون، المركز القومي للترجمة، 2009.
- 29 شاقا فرانكفورت-ناشميز ودافيد ناشميز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: ليلى الطويل، بترا للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2004.
- 30 شاكرا لعيبي، العمارة الذكورية فن البناء والمعايير الاجتماعية والأخلاقية في العالم العربي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
- 31 صلاح الدين شروخ، مدخل في علم الاجتماع، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2005.
- 32 صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- 33 صوفية السحيري بن حثيرة، الجسد والمجتمع دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2008.
- 34 طوني بنيت - لورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- 35 عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية دراسة الجالية اللبنانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- 36 عبد الحميد حواس، أوراق في الثقافة الشعبية، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2005.
- 37 عبد الرحمان بوزيدة، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، سلسلة جديدة بعنوان الجزائري وأسطورته المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول، الجزائر، 2003.

- 38 عبد الرؤوف الضبع، علم الاجتماع العائلي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003.
- 39 عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية دراسة في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1999.
- 40 عبد المالك مرتاض، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 8، 1972.
- 41 عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الأزريط، الإسكندرية، 1998-1999.
- 42 عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1998-1999.
- 43 عطا الله الزاقوت، العادات والتقاليد في جبل العرب، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000.
- 44 علياء شكري ومحمد الجوهري وآخرون، علم الاجتماع العائلي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2009.
- 45 علي عبد الرزاق جلي، الاتجاهات الأساسية في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، الإسكندرية، 2011.
- 46 عيسى عبد الحميد أحمد رشوان، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص 130.
- 47 على محمد المكاوي، الأنثروبولوجيا و قضايا الإنسان المعاصر مدخل اجتماعي وثقافي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط1، 2007 .
- 48 فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
- 49 فاتن محمد شريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط1، 2008.
- 50 فادية عمر الجولاني، اتجاهات الأسرة العربية نحو عادات الزواج، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2004.

- 51 فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2013.
- 52 فاروق أحمد مصطفى ومرفت العشماوي، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2013.
- 53 فاطمة الزهراء قشي، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن 18، دار القصبية للنشر الجزائر، 2007.
- 54 فتيحة محمد إبراهيم ومصطفى حمدي لشنواني، مدخل الى مناهج البحث في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا".
- 55 فضيلة كريم، الحمامات موجز تاريخ الحمامات، ترجمة: حضرة يوسف، دار النشر، دحلب، الجزائر، 2007.
- 56 فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980.
- 57 فيصل محمد خير الزراد، المرأة بين الزواج والطلاق في المجتمع العربي والاسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2010.
- 58 ليلى صباغ، المرأة في التاريخ العربي في تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1975.
- 59 محمد إدريس، الأسطورة والنص المقدس - ماهية الاسطورة في العهد الجديد والقران.
- 60 محمد الجوهري وعبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، لا توجد، القاهرة، الطبعة الخامسة، 2008.
- 61 محمد زيان، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر - مقارنة سوسيو ثقافية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2012-2013.
- 62 محمد الهادي الجويلي، مجتمعات للذاكرة، مجتمعات للنسيان دراسة مونوغرافية لأقلية سوداء في الجنوب التونسي، سراس للنشر، تونس، 1994.

- 63 محمد بعلي، الاتصال الأسري ومتغيرات المجتمع المعلوماتي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.
- 64 محمد سعيدي، البحث في العلوم الاجتماعية، مفهومه و أسسه المعرفية والثقافية والتقنية، الجزائر، ط2، 2011.
- 65 محمد صفوح الأخرس، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية لواقع العائلة في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1976.
- 66 محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2006.
- 67 محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.
- 68 محمد عباس إبراهيم ، الثقافة الشعبية " الثبات والتغير " ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة، الإسكندرية، 2009.
- 69 محمد عبد المعيد خان، الأساطير و الخرافات عند العرب، دار الحدائث للطباعة و النشر والتوزيع، لبنان، ط4، 1993.
- 70 محمد عبده محجوب وفاتن محمد شريف، الثقافة والمجتمع البدوي، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2006.
- 71 محمد عبده محجوب، طرق ومناهج البحث السوسيو أنثروبولوجي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005.
- 72 محمد عبد محجوب، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقربانة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005.
- 73 محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرابي، لبنان، الطبعة جديدة منقحة، 2005.
- 74 محمد يسرى إبراهيم دعبس، الأسرة في التراث الديني والاجتماعي " رؤية في أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقربانة"، دار نشر غير مذكورة، الإسكندرية، 1955.

- 75 هرفت العشماوي عثمان العشماوي ، دراسات في التراث الشعبي دورة الحياة - دراسة للعادات والتقاليد الشعبية ، دار المعرفة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1، 2011 .
- 76 معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثاني، 2006.
- 77 معن خليل العمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، عمان، ط1، 2003.
- 78 مصطفى عمر حمادة، دراسات أنثروبولوجية في المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012.
- 79 هوريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الأنسانية تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2004-2007.
- 80 ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل مختار الهواري و سعد عبد العزيز مصلوح، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1999.
- 81 تادر سراج، الحمامات العامة في الموروث الثقافي العربي الأمثال والأغاني الشعبية نموذجاً، أعمال ندوة النصوص المطبوعة ودورها في صون الموروث الثقافي وتوظيفه في خدمة المجتمع، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 20 أبريل 2010.
- 82 تاهد بوخالفة، تراثيات حضارة تبسة، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة، المسيلة، 2015.
- 83 نخبة من أعضاء هيئة التدريس، طرق البحث وأدلة العمل الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
- 84 نصيرة قشيوش، الزفاف في تلمسان دراسة فنية أنثروبولوجية، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
- 85 نور الدين الزاهي، المقدس الاسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- 86 نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، مرجع سابق.

87 هادية العبود البهلول، الاختيار للزواج مقاييسه واستراتيجياته، دراسة اجتماعية ميدانية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2010.

2- المراجع باللغة الأجنبية

-Aissa CHENOUF, Les Juifs d'Alg 88-erie 2000 ans d'existence, Editions eL Maarifa, Alger, 2004.

89-David le Breton: La sociologie du corps, Editions PUF, Paris, 1997.

90-Jean Copains , L'enquête Ethnographique de Terrain, ouvrage publie sous la direction de Francois Singly , NATHAN UNIVERSITE, 1998.

100-Levi- Strauss .C, Anthropologie Structurale, Plon, Pari, 1958, P398.

101-Levi-Strauss, Les structures élémentaires de la parenté, Paris, 1949.

102-Radia Toulbi Taalibi, LE MARIAGE DES FILLES EN ALGERIE (de l'imaginaire au réel), OUNOUTH, Alger, première édition, 2003.

103-Simone de Beauvoir: Le deuxieme sexe, Editions Gallimara, Paris, 1949.

3- الأطروحات و الرسائل

104- فرفار جمال، تمثلات الشباب الجامعي للقيم السوسيو ثقافية- طلبة كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة معسكر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

105-ثياقة الصديق، المقدس والقبيلة- الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري- زيارة الرقاني نموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، 2014.

106- بن عبد الله زهية، الجمال والجسد الأنثوي: التمثلات والممارسات مقاربة سوسيو أنثروبولوجية حول التزين وممارسات العناية بالجسد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الانسانية، قسم علم الاجتماع تخصص الهوية والتغير الاجتماعي، جامعة وهران، الجزائر، 2004-2005.

107- راضي لبرش، نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت و المتغير، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإسلامية والعلوم الانسانية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع العائلي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2002.

108- بركة بوشيبية، المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة أنثروبولوجية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر

المركزية، السنة الجامعية 2008-2009.

4- الدوريات

109- قويدر سيكوك و الزهرة قريصات، اشكالية المنهج في البحوث الانثروبولوجية، الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات التنوع الثقافي و فلسفة السلم، كلية العلم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد خريف و شتاء 2014.

110- منصور مرقومة، التاريخ عند مارك بلوك و المنهج السوسيو-أنثروبولوجي: دراسة مقارنة في منهج البحث العلمي، الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي و فلسفة السلم، كلية العلم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد ربيع و صيف 2013.

111- مريم لمام محمدي، العادات والتقاليد الأسرية بقصر "تمرنة" (ولاية الوادي): بين الاسمرارية والتغير، مجلة إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد 59، جانفي-مارس، 2013.

112- محمد حمام، المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، الجزء الأول، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004.

113- رشيد نجيب سيفاو، حفاظ المرأة الأمازيغية على تقاليد العرس بالأطلس الصغير العربي سلسلة الندوات والمناظرات رقم 14، المرأة والحفاظ على التراث الأمازيغي، مركز الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008

114- باشا محمد، إشكالية العمارة في الجزائر من أزمة إبداع إلى إبداع الأزمة، الحوار الثقافي مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، كلية العلوم الاجتماعية جامعة عبد الحميد بن باديس، عدد خريف وشتاء 2013.

5- الملتقيات

115- وسيلة بورقي، ورقة في إشكالية الملتقى المقدمة في الملتقى الثاني للأيام السسيو أنثروبولوجية لتيفاست تحت شعار: السسيو أنثروبولوجيا في الجزائر التأسيس و الأفاق، تبسة، الجزائر، 18-20 جانفي.

5- وثائق من مؤسسات عمومية

116- مونوغرافيا سياحية لمدينة تبسة، تصدر عن مديرية السياحة لولاية تبسة، الجزائر، 2007.

117- مديرية التعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تبسة،

118- Direction de L'environnement de la wilaya de tebessa, Shema de la Coherence Urbaine de la ville de cheria Mission N: Diagnostic strategique, Urbaco, juin 2010

6- المراجع الالكترونية

119- محمد تركي الربيع، أنثروبولوجيا الطعام في المجتمعات المحلية العربية .www.

. http:// Alquds. Co. uk

120- نويري عاطف، أصل النمامشة يوم 20-12-2016 على الساعة 19:00

htt //:www.khbarbladi.com.